التحول

(سيرة ذاتية)

الأستاذ الدكتور
مسعد بن عيد العطوي

مسعد بن عيد العطوي

الألوكة

التحول (سيرة ذاتية) أ.د. مسعد بن عيد العطوي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التحول

(سيرة ذاتية)

الأستاذ الدكتور
مسعد بن عيد العطوي

عالم الكتب الحديث
Modern Books' World
إربد- الأردن
٢٠١٤

الكتاب

التحول سيرة ذاتية

تأليف

مسعد عيد العطوي

الطبعة

الثانية، ٢٠١٤

عدد الصفحات: ٢٥٨

القياس: ١٧×٢٤

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(٢٠١٢/١٠/٣٧١٢)

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-70-694-4

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (٢٧٢٧٢٢٧٢- ٠٠٩٦٢)

خلوي: ٠٧٨٥٤٥٩٣٤٣

فاكس: ٠٠٩٦٢ -٢٧٢٦٩٩٠٩

صندوق البريد: (٣٤٦٩) الرمزي البريدي: (٢١١١٠)

E-mail: almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

www.almalkotob.com

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو طربوش

كان عيد العطوي لا يتجاوز خمس سنوات، وهو الخامس بين سبعة أولاد، خمسة ذكور وابنتان. حين جاء الخبر الصاعق بقتل والده في معركة الشعثاء ١٣٤٤هـ. بينما هم كانوا ينتظرونه مع القوافل التي تحمل المؤن من الشام وقد تعرضت القافلة لكمين من الإخوان المتمردين على توجيهات آل سعود فتجاوزت الحدود الأردنية، وقصفت الطائرات البريطانية بقايا الحملة في مشارف الكرك.

كادت الأم تلحق بزوجها القتيل حزنا وكمدا لولا إرادة الله، لتحمل متاعب الأيتام، ثم توافد إليها الأقارب يطلبون جمالها ومالها، ولكنها آثرت تربية أولادها على كل مُتع الحياة. واستمرت معاناة الأم بين تربيه المواشي وإعالة أبنائها حتى شب أكبرهم (بنية)، فكان يتعلم الفروسية والهجوم والكر والفر شأن أبناء القبائل التي يغير بعضها على بعض. حتى اشتهر من فرسان القبيلة، بيد أن هؤلاء أكثرهم لم يلتزم بتوجهات الدولة الأمنية، وظلت عادة الغزو في بداية تواجد الدولة السعودية في الشمال الغربي، وفى صباح أحد الأيام اهتزت الأسرة لسماع الرماية حول الإبل التي يرعاها الطفل (خضر) أحد أفراد الأسرة، فما كان من الشاب بنية إلا أن حمل سلاحه واتجه صوب مراتع الإبل ونادى أخاه (خضر) فلم يسمع له همسا، وانطلق يقتفى أثر الإبل حتى أدركها بعد مشقة: فرأى مضارب أبيات شعر فجاءها لعل رجالها يسعون لاسترداد الإبل، ومعرفة أحوال الفتى دون أن يصيب دما ولم تفلح المساعي، فقتل الذين أخذوا الإبل. ثم عاد بها وإذا بأخيه خضر قد اختبأ وكان قد خشي أن يستجيب لندائه إذ اختلطت عليه الأصوات من الرهبة التي عاناها.

وكانت الحادثة تمثل تواصلا مع اليتم ونكبات الأسرة وتتالي المآسي وكان الشاب الحدث الهائج المندفع هو رب الأسرة آنذاك، فارتحل بها إلى الأردن، وجاور نزل أحد الوجهاء، فطمع الشيخ في إبله واقتادها عنوة من بين يدي راعيها الطفل (عيد).

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فما كان من أخته الكبيرة إلا أن خبأت البندقية عن أخيها، فلما عاد سأل عن الإبل فأخبروه بالحادثة فنهض ليتناول سلاحه من مكانها، فلم يجدها، ففزع فقالت له الأخت لم يأخذها أحد ولكني لن أناولك إياها فقال: ((والله لأبحثن بالمعروف والطرق السلمية قبل أي قتال))، وهنا أخرجت له سلاحه، فذهب إلى أحد الشيوخ في النزل وكان رجلا حكيما، فحاول الصلح، واندفعت أم الشيخ تساند الإصلاح لكي يحل القضية، فكلا الخصمين شاب مندفع، والشر واقع لا محالة. وبعد محادثات غير مباشرة تنازل الشيخ العاقل عن الإبل إلا واحدة. فرضي الشاب بنية بذلك على إضمار أخذها، وارتحل في الصباح الباكر بأسرته إلى فلسطين. وغير بعض المعالم وارتحل حتى قارب الحدود الفلسطينية وجاور نزلا كبيرا، واصطحب أخاه (خضرا)، وعاد به لإبل الشيخ، فوجدها مع رعاتها مساء، وامتد على صخرة كبيرة يراه الرعاة بسلاحه، وأرسل أخاه فاقتاد الناقة على مرأى من الرعاة، الواقع أنهم أهل شجاعة وفروسية فهم أعقل من جساس الذي قتل وائل (كليب) ولعل الإسلام زرع حرمة الدم ، فذهب الشيخ إلى مركز الدولة، وأعطاهم المواصفات، فلحقت فرقة من الدرك بهم عند النزل وطلبوه في الشق (منتدى الرجال) فجاء وقد غير اسمه وبعض معالمه، فقال رئيس الفرقة ليس هو المطلوب، ثم جاء العشاء فجلس الشاب بنية بجانب رئيس الفرقة وقال: تعش فأنت (بنية) ولكن لن أعود بك إلى ذلك الشيخ مراعاة لحال الأسرة اليتيمة الضعيفة.

وأنطلق (بنيه) بأسرته حتى جاء بئر السبع في فلسطين، ومكثت الأسرة هناك بين الجوع والخوف واليتم، ثم عاد الشاب (بنيه) حبا للغزو مع مجموعة من الشباب، يظنون أن الدولة لم تتشكل بعد، وبعد غارات متعددة أصيب فيها برصاص في رجله فاتجه هو وصحبه إلى مشارف تبوك وكانت الفرق السعودية متواجدة والأمن في بلدة تبوك متذبذب والقوة السعودية مندفعة، فتعرض مع صحبه لهجوم من الرجال الذين يحرسون إبل الدولة، فلم يقدر على الفرار وفر الآخرون. فقبضوا عليه وصدر في حقه

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

حكم شرعي يقضي بقتله قصاصا في الاثنين اللذين قتلهما، وقد كان ولى الأمر طلب دية ثمانية من الإبل، فتبرع بعض الحاضرين حتى لم يبق إلا بعيرين فلم يستطيع أحد من الحاضرين الالتزام بهما، فلما رأى (بنيه) الإحجام دعى ولي الأمر إلى قتله فقتله، وكانت حادثة لها صداها ردحا من الزمن، بل حتى يومنا هذا يعرض الناس بأولئك المحجمين ويلومونهم، ولكن المال قليل ولم يجتمع ويسمع بقتله إلا القليل ولو علم كثير من رجال القبيلة لتدافعوا إلى بذل المال ومن عادات القبيلة المحمودة التعاون في زمن الديات والقود لها وفي غيرها ومن العرف أن المحتاج يحمل الأعنة ويضيف النزل أو موارد المياه فتهدى إليه الإبل.

وكانت الغارات وتشجيعها موضع تهجين من كثير من أبناء القبيلة، حتى أخوه (خضر) كان لا يفتخر بفروسيته ولا بتلك الغارات، وكان شيوع الأمن له قبوله بل استبشر الناس به ولم يتمرد إلا قلة، وكثير منهم مات قتلا تحت هجوم فرق الأخوان، الذين يفتقر بعضهم إلى الروية والتأني، بل يفتقدون إلى الفقه الحربي، وهم لم يلتزموا بالتعاليم الشرعية التي يوصيهم بها الأمراء والمشايخ، وغالبا ما يكون الفتك قبل الرجوع إلى ولاة الأمر وكان الملك عبد العزيز يحاسب أولئك.

ومن محاسن هذه القوة الصارمة أنها أخضعت القبائل لنظام الدولة والشرع وأعرضت عن الفتك والقتل وقطع الطرق.

الواقع أن المرحلة مرحلة تحول بكل الأبعاد. فالأردن تحكمه القبائل حتى جاء (لورنس)، وجيّش القبائل ضد العثمانيين واحتل بلاد الشام، ووضع الانجليز يدهم على فلسطين؟؟؟، وسمحوا للهجرة اليهودية إليها، وتدفق اليهود لبناء وطن لهم، وأخذت الدول الأوربية تتصارع حول اقتسام الدول العربية، فكان مؤتمر (سايكس بيكو) ١٩١٤م، فكانت فلسطين والأردن والعراق تحت وصاية بريطانيا، وكانت سوريا ولبنان تحت وصاية فرنسا، ولذلك انتقل الملك (فيصل بن الحسين) إلى العراق، أما الأردن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكان في مرحلة تكوين دولة، فجمع الأمير (عبد الله بن الحسين) القبائل وبدأ بتأسيس إمارة الأردن، وفي تلك المرحلة وحد الملك عبد العزيز البلاد وضم الحجاز ومنطقة حائل وتبوك وأخذت الدولة تتشكل، وهذا أمر لم تعهده القبائل الشمالية التي كانت في شمال الحجاز، فهي تذهب إلى فلسطين والأردن كل عام لتجلب الحبوب وضروريات الحياة، بل وتذهب للرعي وقت الجفاف وما أكثره، ومن هنا كان الامتزاج القبلي الفعلي بين تلك الدول الناشئة، ولولا الحكمة بين الدولة السعودية بقيادة الملك (عبد العزيز) والحكمة من الملك (عبد الله بن الحسين) لكان الصراع بين الدولتين، ولكن دهاء (غلوب باشا) المندوب البريطاني كان له تأثير، فقد استدرج القبائل في جنوب الأردن بدهائه. ولكن قبيلة بني عطية كان تواجدها حول تبوك فلم يرضِ شيوخها على الرغم من حجم الإغراءات التي كانت تعرض عليهم.

وبدأ تشكل الدول وتحديد الدخول والخروج بجوازات السفر، ولكن لم يكن هناك التزام فكانت أول رحلة لي عام ١٣٨٩هـ ذهبت مع أخي محمد وأحمد سليم السويلمي فدخلنا بجوازات سفر وأخفينا جوازاتنا إذ لم يسألنا عنها أحد، والقبائل ترتحل بين الحدود في تلك المرحلة، وقد اختفت ظاهرة التواصل بين الدول بلا جوازات.

ومن حكايات أسرة الطرابشه وكل أسرة لها حكاياتها، أن الجد الأعلى (خضرا) كان مجاورا لعشيرة الكعابنة وهم من بقايا بني عذرة وتداخلت قبيلة بني عطية معهم، وكان الكعابنة يملكون آبار (قنا) الواحة الزراعية، واتفق أن ضرب أحد الكعابنة زوجته فهربت إلى بيت (خضر) واحتمت به، لكن زوجها تابعها، وزوجة خضر تحاول أن تحميها وتقول إنها في وجه صاحب البيت، فلم يعبأ الرجل فسحب زوجته وكانت متمسكة بأحد أعمدة البيت وسحبته معها حتى تجاوز عشرة أبواع، فلما عاد (خضر) أبو طربوش أخبرته زوجته بالحادثة وكان أمرا جللا عليه فأخذ يطلبهم الحق وهو قضاء العشائر، فإذا لم يعطوا الحق فإن القتال لا محالة، فاستجابوا لطلب القضاء وتنازعوا عند

ثلاثة من القضاة وحكموا (لخضر) بتسعة من آبار (قنا)، وكانت الأسرة تتوارث هذا العمود، حتى أن الوالد والعم يذكرانه دائما، وفقد أثناء رحلة التحول إلى الحاضرة والمعاناة والمآسي التي تنسى كل شيء وما زالت واحة (قنا) محبوبة لنا ولنا عليها بعض الآبار.

وما زالت الشريفات البيض لأبي طربوش معروفه إلى الآن في البدع جنوب تبوك على طريق البديعة. وهذا يشير إلى أن أحد الأفراد قتل رجلا من الطرابشة، فأهدر دمه وأقسم على قتله، ومضى الرجل مشردا حتى جاء بعد سنوات إلى بيت طالب الدم هذا، وعلى حين غفلة في الصباح الباكر، دخل وسط أولاده وهم نيام. وطلب شفاعة المرأة وأولادها، فأخبرت المرأة زوجها، وهذا معناه الاستسلام. ووقف صاحب البيت شاهرا سلاحه على رأس الجاني فقال الجاني أنا بين يديك والأمر لك ولا سلاح معي فعفا عنه، وانطلق الرجل يرفع رايته البيضاء ويضعها على جبيلات على درب القوافل، فعرفت ببيضاء أبو طربوش. وقد ملك الأرض الأخ (محمد أبو طربوش) في واحة البدع على بعد ستين كيلو متر تقريبا من تبوك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطفل مسعد

ما انفك الطفل (مسعد) يصحب والده إلى ديوان المسامرة من بعد صلاة المغرب، وهو ما يطلق عليه (الشق)، وهو جانب من بيت الشعر، يكون فيه ساترا بين النساء والرجال. والساتر يسمى (المعند) وهو من السدو الجميل المطرز ويرتكز على حقائب الشعر الكبير ((العدول)) المملوءة بالملابس، وبما يدخر من الأغذية والأدوية، وتشعل في الشق النار بعد صلاة العصر بحطب جزل ضخم، يأتي به صاحب البيت بخلاف حطب المرأة الذي يعتمد على الأعواد الطويلة ويسهل اشعاله.

وتدار القهوة ويفد إليه رجال الحي وشبابه، بل وأطفالهم، والمنتدى الليلي حول النار المشتعلة والقهوة جاذب لهم، ففي الكثير من الليالي يتولى سلاطين المجالس سرد القصص عن الأسلاف والحكايات الغريبة. وكثيرا ما يصدح الشعراء بشعرهم وبرواياتهم فإذا لم يكن هناك ضيوف فإن السمر ينتهي بنداء الأبناء لآبائهم عن بعد للحضور للعشاء، وكل يعرف صوت ولده، أما إذا كان هناك أضياف فإن الأمر يختلف، فمعروف تناوب القرى بين النزل إذا لم يكن الضيوف من الذين تجب لهم الذبائح، أما إذا كان من أولئك، فإنه يخضع لحقوق متعارف عليها بل لجلسة قضائية.

وكان الطفل وغيره من الأطفال يسجلون المشاهد كلها، وقد انغرس في ذاكرته: النداء من جماعة مقبلين يقول لهم (غسلوا على الرجال فيقوم أحد الشباب ويدور عليهم بأباريق الماء فيغسلون أيديهم، ولبث الطفل حتى استمع إلي جلبة مقبلة، فإذا البعض يحملون على رؤوسهم الصحاف المملوءة بالأكل، وبعضهم يحمل قدورا صغيرة فيها الأدم من المرق أو السمن، ويقدم الضيوف أولا ثم من يليهم من كبار السن والوجهاء، ويقدمون بعضهم بعضا في نظام متعارف عليه، فلا يقدم الشاب ما وجد

كبير ولا يقدم الطفل على شباب، فإذا تكاملوا على العشاء قال لهم صاحب الوليمة (سموا) فيبدؤون بالأكل وهذه سنة حسنة جاءت في الجاهلية وفي الإسلام.

وجدل الحي وصراعهم على قرى الأضياف عادة عربية منذ العصر الجاهلي، وتوارثتها القبائل في سائر القرون، فأهل المضارب يشعلون النار ليلا ليهتدي إليها الساري، وما أكثر السراة الجياع الذين يجوبون الصحراء من أجل سفر أو اتباع بهائم ضائعة، وهذا أبو الفوارس يصف مضارب بني تميم في القرن الخامس الهجري:

لمعت كتلويح الرداء المُسبَل — والليل صبغ خضابه لم ينصل

نار كسَحْر العَوْد أرشد ضوؤها — بالبيد أعناق الركاب الضُّلل

طابت لمعتسف الظلام كأنما — شبت على قنن اليفاع بمندل

فعلمت أنَّ بني تميم [عندها] — يتقارعون على الضيوف النُزَّل

العاقرين الكومَ وهي منيفة — والضاربين الهام تحت القسطل(١)

وتلك العادة مازالت متوارثة في بادية أعالي الحجاز، ومن قبائل شمال غرب المملكة، مثل قبيلة بني عطية وأكثر منها عنفاً وتصادماً بالأجساد في بادية الشام. وهي

(١) ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس، ص٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مازالت إلى يومنا في المدن، فتجد أن الحضور يتصارعون لكسب الأضياف، وقد شهدتها في تبوك وفي مدن نجد وبين القبائل في الجنوب.

ومن العادات عند أهل الشمال، إذا حّل عندهم الأضياف أن يعمي على الضيف، كأنه يأتي بشيء من عند النساء، فيبادر إلى ذبح الشاة إكراما خشية أن يحرم الضيف الذبيحة، وتارة يكون الرجل يشحذ سكينة أمام الضيف ليشعره بأنه يريد أن يكرمه بذبيحة، وهذا في حالات نادرة، إما للبخل أو لأن الأغنام غير صالحة للذبح لضعف حالها. أما إذا كان النزل كبيراً والضيوف متعددة فإن الحق العربي هو الفيصل الذي يحكم لأحدهم.

ويتوافد الشباب للانتظار، ويرسم الطفل لوحة أخرى في هذا المشهد المتوالي، فيرى الكلاب تتجمع أمام البيت، حتى إذا رفع الجمع أيديهم من الأكل، يقول الضيف (أنعم الله عليكم) نهض الجمع وكل منهم جمع في يده لقمه كبيره ويقذف بها إلى الكلاب التي تتخطفها من الفضاء، أو تلقطها من الأرض، ومن المعيب أن يقوم أحد قبل الضيف فهو الوحيد المخول لهذه العبارة.

ثم يأتي الشباب إلى السور، ويأكلون في عجلة من أمرهم، ثم يرفع الباقي إلى النساء، فتقوم صاحبة البيت بتوزيعه عل النزل إن بقي شئ، وهو قليل ضئيل، أما السمر فيبدأ بعد العشاء، وغالبا ما يسود الصمت عندما يتحدث أحد الكبار ويسرد قصص البطولات، والحكايات المأسوية، والرحلات وكلها تحمل قيما، وهنا تنغرس المروءة، والشيم والصدق والتربية العملية وحسن الجوار والكرم، والشجاعة وسائر القيم بأساليب قصصيه غير مباشرة. وفي منتدياتهم يتداولون أمورهم في حلهم وترحالهم، واجتماعاتهم وتفرقهم، ورحلاتهم الشبابية أو الساحلية أو رحلة الحج الشاقة على الإبل.

الراعية:

ولدت الأم ابنتها (سارة)، فاستبشرت بها فهي الأولى بين إخوتها. ونشأت محفوفة بالرعاية من أمها، وأخذت الأم تستعين بها في قضاء الحاجات السهلة من إحضار الأدوات وهي بعد لم تتجاوز الثالثة من عمرها فتناولها الأوعية، وتحضر الحطب، وتدني البعيد عن مجلس الأم. وكانت الأكسية شحيحة قليلة، فكانت تستر بنوع من الجلد المظفور تحتزم به ليستر عوراتها، ثم لما تجاوزت الثالثة لبست الثوب الوحيد، واهتمت الأم بالرأس شأنها شأن غيرها فهي تلبسها قبعة مكونة من بقايا الألبسة، متعددة الألوان لتعدد الأقمشة. فلما تجاوزت الخامسة من العمر أخذت ترعى البهم مع أترابها من البنين والبنات، ينطلقون برعاياهم من البهم قريبا من مضارب البادية حفاة بألبسة متواضعة، يتعرضون لقارص البرد شتاءً، ولوهج الحرارة صيفا، ولغلبة الجوع غالبا، وهم في أسمالهم وأجسامهم النحيلة لا تتجاوز أطوالهم البهم، وهؤلاء الأطفال يلعبون ألعابا تقليدية، فهي تمثيل أو مسرح فهم يحاكون أسرهم، فالأم والأب والبنات، وربما يحكون سيرة الأبطال، وسيرة العجائز. وظاهرة هيمنة الأب، فالألعاب المسرحية هي المسيطرة على مسرح ألعابهم. وفي الصباح الباكر يتهيأ النزل، فالإبل تنطلق للمرعى والأغنام تتبع رعاتها والبهم ينطلق إلى الشعاب القريبة ويلتقي الأطفال:

- سالمة: يا سارة قربي البهم من سلمى، وسعيد وعلي وخضرا كي نلعب.
- سارة: نريد أن نغني الأغاني كأننا في عرس مثل ما تغني الأمهات.
- نعم نعم.
- سلمى: من تحفظ من الأغاني (وإذا بالفتيات كل واحدة تحفظ أبيات فيجتمعن ويلعبن).
- سعيد: نحن نغني مثلكن ويتضامن الجمع ويقلدون أمهاتهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- خضرا: هيا ندح ونبدع كالرجال.
- علي: بشرط واحد ترقصين لنا.
- سارة: أنا مستعدة للرقص (فتأتي بعصا وتتماوج أمام فريق الدحة من الأطفال والحاشي منتشر في قبائل الجزيرة بطرائق محتشمة قبل انتشار الدعوة وهو موجود حتى الآن في كثير من القبائل المجاورة في البلاد العربية وهو متنوع ، فتارة يتماسك الشاب والشابة في شكل صفوف أمام الملأ وفي شمال الجزيرة لا وجود للرقص بمعناه الحقيقي حتى في ألعاب النساء فهن يجتمعن وينشدن أراجيز واضحة المعاني تسمى الطوارق يطورقن "
- وقد قابلت متقدمي السن في مختلف المناطق فذكروا ألوان الرقص ريفا وحاضرة وبادية وكلها اندثرت مع توحيد المملكة وانتشار التعليم وتمازج المجتمعات في سائر قبائل الجزيرة بما فيها قبيلة بني عطية
- الحاشي المتعارف عليه قديما هو من يقوم بالتمايل أمام الدحة أو البدع والحاشي الصغير من الإبل وسائر الأشياء أو من الغض الناعم أو هو المنفرد أو هو من الحشأ وهو من العطف والحب أو هو القريب النسب.
- والحاشي هو السائد في القبائل المجاورة للشام من جهته الجنوبية فإنه يكون في مناسبات الأفراح وفي الليل بعد العشاء أمام جمع النساء وهن داخل بيت الشعر في (المحرم) مكان النساء لا يرى أحد معالمهن إلا السواد الكثيف ، والرجال في الشق ويفصل بينهما حاجز (المعند) وليس هناك أنوار كاشفة وليس هناك ظلام دامس وإنما مع أضواء نار الشق أو القمر ، ويخرج الحاشي حتى يقف إمام الصف على بعد أكثر من ثلاثة أمتار ويحمل عصا طويلة ثم يبتدر الشاعر بالترحيب بأهل الفرح والأقوال الجميلة الرائعة وتارة يعرجون على الغزل العفيف

والحاشي تهز العصا أكثر من حركات الجسم التي تزداد شيئا فشيئا ولكن لا يستطيع الراءي إن يرى حتى أقدام الحاشي ولا أصابعه فهو متزمل بالعباءة من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه فلا يعرفه أحد والويل لمن يتعرض للحاشي بالكلام البذيء أو محاولة الاقتراب منه وكثير مايكون الحاشي من الرجال كما هو الآن.

- إنها حركات بدائية وكانت المرأة تخرج في المجتمع الضيق ولكن اندثر خروج المرأة ومازال الرجل يقوم بهذه المهمة

وكثيرا ما تغير الذئاب على البهم ورعاتها من الاطفال، فيلتهم الذئب السخل على مرأى منهم، فيعودون يصرخون للبيوت والبهم يتثاغى معهم. وكانت أيام الطفولة من الذكريات العالقة في النفس والتي ولدت الحب العذري، يقول مجنون ليلى:

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم[١]

أم سارة ترقب ابنتها وتحاورها في ألعابهم وتقول الأم للبنت لا تمازح الأولاد ولا تلامسهم وكل ما ابتعدت البنت عن الأولاد زاد حبهم لها وتمنوا حديثها. فهي تبني التمنع في ضمير الفتاة حتى يظهر ذلك في ألعابهم بل تبني روح الحشمة والتستر.

---

(١) داود الأنطاكي: تزيين الأسواق ص١:٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- سارة: يا أمي إن سالم يحاول أن يمسكني ويلاعبني.
- الأم: حاولي أن تبتعدي عنه وإذا اقترب منك أمسكي بحجر ودافعي عن نفسك ولا تضربيه في وجهه وهو مع شدة الكلام يبتعد عنك.
- سارة: تسرح مع البهم صباحاً ويجتمع الأطفال ويلعبون ولكنها تحض رفيقاتها على توجيهات أمها، فهن يلعبن مع الأولاد ولكن بحذر وحيطة وبكلام لطيف عفيف، وأخذت سارة تقلد اللاتي يكبرنها، فكانت مرحلة الممانعة والابتعاد ورحلة الحياء.
- تعود سارة قبل المساء ببهمها المعدود.
- الأم: أهلا وسهلا، هل جاءكم الذئب اليوم.
- سارة: لا يا أمي هذا بهمي كله رجع.
- الأم: البنت تساعد أمها.
- سارة: بماذا.
- الأم: تجمع معها حطبا حين تعود إلى البيت.
- سارة: حاضر يا أمي الحبيبة.
- الأم: أوقدي النار غربت الشمس ودائما قبل غروب الشمس لابد من إيقاد النار في البيت حتى لو لم يكن هناك طبخ عليها.
- سارة: تجمع سارة الأعواد من مكان الحطب في مقدم بيت الشعر وتسأل كيف إشعالها.
- الأم: هاتي شهابا من الجيران أو من شق الرجال.

وأخذت سارة تعاون أمها بإعداد الطعام، وخدمة الأسرة ولما تجاوزت العاشرة أخذت ترعى الغنم بجانب الرعاة الأقارب وتحمل قربة صغيرة فيها ماء قليل، وبدأت تحمل زادها كسرة خبز فالأم تصنع خبزا في الصباح الباكر وتوزعه على أولادها قبل انتشارهم في مهامهم العملية فكل من الاطفال والأولاد يعرف وظيفته في الأسرة.

فلما ذهبت سارة مع قريناتها الراعيات، عملت لها (عيبة) وهي الأداة الأولى التي تحمل فيها أدواتها، وتسمى (العياب) عربية فصيحة مصنعة من الجلد المدبوغ. وتحتوي تلك (العياب) على أدوات الأكل البدائية ومرآة ومشط وكحل وعطر إن وجد، ويماثلها الحقيبة النسائية اليوم.

كانت سارة تعاني من ملابسها فهي تقتصر على ثياب مرقعة، وتارة ممزقة، وقل أن تغسل بالماء وجل جسدها يتعرض للشمس المحرقة. لذلك تبدوا سمراء في يديها ووجهها ورجليها وما تكسوه الثياب فهو أبيض فإذا ظهرت بعض المعالم فإنها تبهر الناظر، كانت تلبس ثوبا من قماش قوي صعب المراس، وكانت تحتزم وتتنطق بحبل خفيف وتتعرض لارتفاع الثوب تارة إذا أشتدت الرياح. فالحياة صعبة كانت سارة تنام في طرف البيت من الداخل وتلتحف لحافا مرقعا بل مكونا من الرقع البالية واستمر هذا مكان النوم حتى كبرت واشتد عودها وكان هذا مدعاة لزيارة بعض الشباب الذين يريدون الخطبة، وهو أمر متعارف عليه في الجاهلية والقبائل الإسلامية غير أنه محاط بكثير من الأعراف والرقابة، والخشية من العواقب، وهو يكشف عن النزاهة والعفة فالفتيات يمتنعن عن الملامسة وما ورائها ويبتعدن بالمجلس عن الرجل ولذا تجد الشباب يتمنونها زوجة وهذا هو الأعم والأكثر.

وشأنها شأن الفتاة البدوية تحتجب ماعدا وجهها، وتلتقي الكثير على موارد المياه في الطرقات، وكذلك في المراعي وهي تحادث من تلتقي بأدب جم متلثمة تجلس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرفصاء ولا تجلس قبل من يحادثها ولا تقم قبله، ولا تركع أمامه ولا تمشي والرجل خلفها أبدا وهي تبادله الأحاديث الودية، وهي تخدم من يلتقي بها في لطف وظرافة أكثر من لطفها وظرافتها لزوجها.

وأحست سارة بأنوثتها، فأخذت تمشط شعرها وتعتني به، وتغسله بالماء ولكن أكثر ما تسرحه ببول الضأن فهو يقتل القمل ويلين الشعر، فإذا وجدت المرأة بول الإبل فذلك أعلى مطالبها لشعرها وبول الضأن وبول الإبل هو ما يغتسل به بعد الدسم.

وكانت سارة عونا لأمها مع أخواتها وكان أبوها يحفها برعايته، وكانت تحافظ على الأغنام وترعاها في اليوم كله تسمع لتوجيه أبيها أو أمها بكيفية رعي الغنم وتذهب إلى الشعاب التي ترعى فيها وكانت كلمة (الحراص الحراص) هي مكان التوديع عند مغادرة البيت فهي تعني الحذر الحذر من الذئاب ثم أخذت الفتاة تحمل زادها وقربة مائها وعيبتها على ظهرها وتسرح بعيدا عن مضارب البيوت.

وكانت عمتي خضراء والدة زوجتي قد عانت من حياة البؤس في مستهل حياتها فالأمراض الفتاكة قد غيبت والدها، ولم يكن له إلا ابن معاق وابنته خضراء فحملت الأم الهموم فلا مال ولا معين فلم تلبث الأم أن مرضت ولم تمكث كثيرا حتى وافاها الأجل فحفروا لها قبرا بجانب صخرة كبيرة وقال أحدهم هاتوا حبلا نقيس طول القبر وطولها فلم يجدوا فقال خالها (مسعد الغمضة) أنها قريبة مني وأمتد في القبر وإذا بحجر في القبر بجانب الصخرة فأخذ يحركه بعنف حتى أخرجه فإذا الصخرة الكبيرة تتداعى عليه وأضحت قبره. وحفروا للمرأة بجانبه وقبروها وكانت وفاة مسعد لها رنة حزن بين العشائر لأنه شاب شاعر ظريف أمّا خضراء فقد أخذها عمها الموظف في بئر ابن هرماس وزوجها الشاب سليمان فرج الأميلس الرجل المتعلم فهو أقدم المتعلمين والمتحضرين في القبيلة وعوضها الله تلك المآساة. وقد أنعم الله عليها بالابناء المتعلمين

وبنات متعلمات بذلوا لها المال وهي كانت سخية متصدقة عفيفة اللسان، محبوبة عند كل الأسر التي تعرفها رحمها الله.

وقد صحبت رعاة البهم وكنت صغيرا وقد رأيت الذئب يختطف البهم ونحن نتحادث فلم استطع حتى رفع الصوت. ثم نزلت إلى تبوك ومكثت زمنا حتى قرر الأب رحمه الله أن نخرج إلى البادية صيفا، وكان عمي حماد لا أولاد له، لذلك كان يغريني، ويخصني بامتطاء جمل، فاحمل عليه زادي وقربتي مع قِرَب الراعيات اللواتي كن على استعداد لرعاية أغنام العم لقاء حمل القرب المائية وربما لقاء صحبتهن فأنا محبوب لديهن أحادثهن وأمازحهن وألاطفهن رغم صغر سني، ولم استطع ممارسة المحادثات الجانبية ولا حتى ممارسة الألعاب مع الرعاة ولكني معابث للجميع وقد حاولن أن يعلمنني حدراً شعرياً وألغازاً فلم ينجحن في ذلك، ولكني أحمل أسرارهن وأحفظها، وبعض البنات تستشيرني لمن تختار من الخاطبين وهم كثر.

وفي إحدى المرات عرضت علي إحدى الفتيات الزواج فقلت هذا بعد انتهاء الجامعة فقالت: أنتظر إذا عاهدتني، فرفضت ذلك بلطف وتزوجت ولكن الزواج يحمل المرأة مسؤوليات فتذبل حالتها وتكون في شبه مأساة بين تربية الأولاد، والقيام بالأعمال المرهقة للبيت من الحطب والطحن والطهي وسقيا البهم والحلب وإعداد اللبن، وكثير من النساء بل ومن الرجال الذين هاجروا إلى تبوك من أجل الوظائف أو تدريس الأولاد وقد التحق بعضهم وبعضهن بالوظائف، حتى إذا تقدمت بهم السن ولا عمل لهم، وبعد فناء العمر في التربية وفقدان الزوج، وفقدان العمل لم تستطع النساء المكوث في عزلة من المجتمع داخل منازل ضيقة لا تستطيع فيها ممارسة المخترعات الحديثة، فتكونت حضائر أغنام تديرها نسوة يشتركن في حياة الملل وربما يحملن من الهموم ما يحملن، وتلك مأساة لكثير من النساء فالمرأة عندما تكبر في السن وليس لها بيت يكون فيه مجتمعا لأولادها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبناتها، وكذلك يجعلها تمارس العمل وإدارة البيت، كل ذلك يصيرها في غربة من أمرها، ونحن إذا قارنا ذلك بالأحوال الطبيعية التي تكون فيها الأم في بيت رحب تستقبل فيه من شاءت من ذويها وبناتها اللواتي قد تزوجن، عندما نقارن تلك بالتي لا تملك تلك المقومات ندرك حجم المأساة، ونقدر أن بعض النساء قد يعشن على هامش الحياة، وربما ينحوا هذا النحو الرجل وزوجته إذا تقدمت بهما السن وليت تكون هناك دراسة اجتماعية للحضائر بجانب المدن وأسباب تكوينها.

الشتاء

الشتاء وما أدراك ما الشتاء، إنه أشد فصول السنة قسوة على أبناء البادية، فبرده القارص وقلة الألبسة تزيد شدته وأثره، وكذلك قلة المراعى، وقلة اللبن وقلة المؤن، والتعب والنصب في ملاحقة المراعى القليلة، وتكاثر الأمراض فإن الأنفلونزا تفتك بهم فقد انتقلنا بعد الصيف إلى أماكن بعيدة عن المصيف وتفرق النزل الكبير إلى مجموعات صغيرة، ومشكلة المشاكل جلب المياه عن بعد وأرى نساء الحي وهن يَعدُن العدة ليوم جديد تقوم كل منهن بإعداد خبز وتقسمه على أولادها وتوزع أدوارهم ثم تستعد لجلب المياه بإحضار الحمر ووضع البردعة عليها لتقيها (الدبر) وهو تأثير الأحمال على ظهر الحيوان الإبل أو الحمير وتسمى (الدبلة) وهي مرقعة من أسمال الملابس وغزل الصوف والشعر والوبر. ويجتمع عدد من النساء لورود المياه التي يستغرق المسير إليها ثلاث ساعات ذهابا وثلاث ساعات عودة ويعدن أحيانا بعد زوال الشمس بساعتين.

وينزّلن المياه، وتسقي كل منهن بهمها الذي يتشاغى ظمأ، ثم يعدن لممارسة مهامهن اليومية وقل أن يصنع الطعام نهارا إلا إذا جاء ضيف، فإنها تقوم بالطحن على الرحى ثم تشعل النار وتصنع الخبز، وأرى والدتي وهى مرهقة من العمل المتواصل وأصحبها تارة حين تجمع الحطب فتربطه بحبل وتحمله على رأسها لتضعه أمام البيت للتدفئة وصناعة الطعام.

وكل امرأة لا تنفك تشعل النار في بيتها مع مغيب الشمس، وكم أرسلتني أمي كغيري من الأولاد إلى الشق مجمع الرجال وصناعة القهوة فالنار فيه متقدة دائما فنجلب منه شهابا لإشعال النار. وكان الأولاد والبنات يمارسون مساعدة أهاليهم مع صغر سنهم التي لا تتجاوز الخامسة وفي ذلك تدريب على العمل.

و تتوافد الراعيات في مجموعات متعددة من الأغنام ورعاة الإبل في مجموعات مماثلة عند مغيب الشمس من كل حدب وصوب في منظر بهيج جذاب فإذا اقتربت الأغنام فإنها تنطلق إلى أولادها الصغار وينطلق البهم لمقابلة أمهاته في ثغاء متبادل بين الفريقين للتعارف فكل رضيع يعرف أمه، وتبدأ معركة الليل بوضع البهم الصغير في الربق وهو حبل مقسم لرؤوس البهم يربط من أطرافه بأوتاد غالبا أمام البيت أو في داخله إذا أشتد البرد وتارة يوضع البهم في الزرب وهو بناء مبسط من الحجارة أمام بيت الشعر يحميهن من الذئاب والبرد وما زالت آثاره ومعالمه في الديار.

وتجتمع الأسرة شتاءً في بيت الشعر الذي تدخل فيه الأغنام أيضاً من شدة البرد، فيكون هو المأوى وحدث ما تحدث عن مخلفات الأغنام ومجاورته لكل فرد من الأسرة إنها معاناة البوادي القديمة ثم تبدأ الأم بإعداد العشاء وغالبا ما يكون من الخبز، أو الجريش وقل أن يكون هناك أدم له من سمن أو لبن أو إقط فهذه تقل أو تنعدم وتكون للضيوف غالبا. وكنت في إحدى الليالي بت جائعا فإذا بي في الليل البهيم أقول للوالدة رحمها الله أصبح الصباح، فتقول إننا ما زلنا في أول الليل ثم بعد فتره *أوقظتها* وأقول أصبح الصبح فقامت وأشعلت النار وصنعت الخبز، فتعشيت ونمت رحم الله الأمهات وآجرهن.

وفي يوم من الشتاء جاء ابن العم (سالم أبو أذينة) وكان يتيما وأخبر أن أخواته مقبلات بأغنامهن فقد فارق ابن عمه وخال أخواته بعد خصام وجاء إلى أبي وهو عمه، وأمي خالة أخواته. وقبيل المغرب طلعنا جبلا لكي يطمئن على أخواته ووصولهن للنزل، فلما رآهن نزل مسرعاً وأنا وراءه ويخطو طويلا وأقلده لكنى سقطت على الأرض فإذا بحجر تكاد تقلع عيني ولكن الله حماها وما زال أثر الجرح علامة بارزة فاحتملني

بين يديه وإذا بالوالدة تستقبلنا عن بعد بفزع وبكاء وكان حظي وافرا من الحنان، والغذاء الخاص، ومن لبن الإبل القليل النادر.

وقد أخذ السعال ينتشر بين أفراد النزل، ويتحدث الرجال عن انتشاره في النزل المجاور ثم اشتدت الحال وتكالبت الأنفلونزا وصحبتها الحصبة فكان كثير من الحي يتساقط بالموت من كبار السن ومن الأطفال ومن النساء فالمرض وقلة الغذاء ومجاورة الحيوان في الشتاء، كل ذلك جعل المضارب بيئة خصبه للأمراض الشتوية وكان الناس قلة والأطفال أقل، من ثم كانت معاناة فقدان أحد أفراد الأسرة كارثة حقيقية. فذكر الموت كالصاعقة لكل فرد في الحي، وكنت أتألم لكل مصيبة واستشعرها وأحلم بها ليلا، وثلة من الأطفال يعانون من فقد أمهاتهم أو آبائهم أو إخوانهم، وسمات المآسي تخيم علي الوجوه السمراء الصفراء المضلعة فلا لحم في الوجوه وإنما معالم العظام هي الأبرز يا له من شتاء جائر ببرده وبمرضه، لكن المصيبة تزداد، فالرجال والنساء يتحدثون عن ضعف البهائم، فهي لا تصلح للذبح ومات أكثرها لانعدام المراعى وكنت استمع لمحادثة النادي من الرجال إلي الانتقال إلي مشارف الشام فهي أكثر مرعى وقد عزموا الأمر فاعدوا عدة (النجيع) وهو الارتحال المتواصل للنزل، وأتذكره ولكنى لا أدركه غير أن الأحياء يدفنون الميت ثم يرتحلون عنه ويظل الحي مواصلا النجعة، وكنت أظن السير اليومي المتواصل هروبا من موقع الميت حتى رسخ في مخيلتي أن الارتحال للبعد عن قرب الأموات ضرورة حتمية.

أن المرأة كانت زوجة لأحدهم، ولما اشتد عليه المرض، وظن أنه الفراق طلق تلك المرأة ولها ولد وبنت رزقت بهما قبيل وفاته، فكانت المأساة أكبر فأضحت أرملة أو قل مطلقة بلا مال أو مأوى، فشارف الأولاد على الضياع والهلاك، وأثر كل ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على حياتهما وقد زهد الناس في الولد والبنت، وظلا يصارعان الحياة حتى قاما بأنفسهما.

وقد كانت النجعة ذكرى للأنين في النزل المتجاور في كل بيت، وكان (سالم شلهوب) قاضياً بين الناس، ويكاد يكون مختصاً بقضايا الدم مرضياً في أحكام الجروح وتقديراتها؛ وحدث أن مرض فأرسل في طلب الخال (مسلم العتيقات)، وعندما حضر قال سالم شلهوب: ((إني أحس بدنو الأجل)) فقال له الخال: ((قل لا إله إلا الله)) قال له: ((لا إله إلا الله))، وأخذ يرددها حتى فاضت روحه الطاهرة، فمما يروى عنه أنه كان معطاء في شح الأطعمة؛ فإذا علم بامرأة نفساء أرسل لها طعاماً ولو كان به خصاصة.

وكانت تلك الرحلة رحلة الأموات فالنساء يمتن والإبل تموت، والشابات يمتن، فالطريق معلم من الأموات، وجثث الإبل والأغنام تملأ الأودية وسفوح الجبال، إنها (السنة العظامية) لكثرة العظام في الفيافي، وخلفت اليتم والجوع والفقر ورب ضارة نافعة، فالفقر دفع بأبناء البادية إلى حاضرة تبوك فالتحق الأولاد بالمدارس، والشباب بالوظائف، فكانت نقلة نوعية للمعرفة، تلك بين عامي ١٣٧٩/١٣٨٠هـ.

وتكثر الرحالات الجماعية إلى مشارف الشام حين القحط الشديد، ويندر من يرفض الارتحال، وكان (علي أبو طربوش) يحب الزراعة على واحة قنا، فارتحل عنه العربان وظل زمنا لا يرى أحدا، ثم مرض فكان الكلب يحميه حتى تثاقل عليه المرض، وعجز عن إعداد الطعام فهزل وقلت حركته وجاع الكلب، ثم أخذ الكلب يقترب منه ويحدث أصواتاً (يعرعر) ليكشف عن الرجل أحيّاً أم ميتا حتى اقترب منه كثيرا، فأدرك أن الكلب آكله لا محالة، ولكن الله بعث له رجلا مسافرا فمكث عنده يعالجه ويخدمه

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

ويطعم الكلب حتى تعافى (علي أبو طربوش) فكانت رسالة عن الانعزال والخلوة ولكنه مات بين أسرته الصغيرة لوحدهم فلا راد لمشيئة الله.

وكانت المعاناة شديدة على المرأة ولاسيما إذا أخذت تخدم والدي زوجها أو أحدهما فيذكرون أن رجلا له أمّ عمياء وقد ضاقت زوجته بها ذرعاً، وذات ليلة اتفق مع زوجته على أن يتركها على الديار ويرحلا بعيدا عنها فوافقت له المرأة وارتحل في الصباح وهو يسكن لوحده ولما نزل في مكان بعيد سأل عن طفله الوحيد فقالت المرأة تركته على الديار عند أمك فغضب وسألها لماذا تتركيه فقالت: خشيت أن يتركني كما تركت أمك فعاد على مطيته مسرعا ووجد أمه محتضنة الطفل وهو يبكي وهي تبكي خشية على الطفل.

والمرأة في معاناة دائمة وقد أوحت لي قصيدة الشاعر مضحي الشيبان المغناة فقلت خواطر تصور واقع المرأة:

المرأة في حياتها البدوية   عملها دائماً كثير

حملها صعب وبالله تستعين وتقول يا معين يا قدير

قبل طلوع الشمس تعدّ لمشوارها الصعب الخطير

نارها أشعلتها وصاجها عليها مستدير

وتقطع العجينة وتنسفها على صاجها تدير

وتوزع على أولادها خبز الشعير

وترفع عقيرتها لشليتها وتجوب الوادي الكبير

والمشكلة الماء أمره عسير الرشاء طويل والدلو كبير

والرجال كلهم نفير   وتشمر تنزف الماء الكثير

وتصدر بالرعية وتعلو الجبال لظل يحور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وترقب التلال والشعاب بطرف كسير
وتتحدر نحو النزل تسير
والمغزل بين يديها بسرعة يدور
وتلقط العود الصغير والكبير
وتقبل والحطب على رأسها مثل البعير
والهدية كسرة خبز للطفل الصغير
وتبدأ الطحن والرحى لها زئير
وتشعل النار تحت القدر الصغير
وتغني خشية نوم الطفل الغرير

الربيع والصيف

ولما انقضى الشتاء بمآسيه، وتساقطت الأمطار، واستسقى كل نزل من الغدران القريبة منه، وأخذت الأرض تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، وقد علا البشر والإشراق على وجوه الناس بعد أن توالدت الأغنام، وأخذ الناس يحلبون وينتجون أدما لهم حتى تكاثر اللبن، ويستخرجون منه الزبد والسمن، وعادت الحياة الربيعية بالخير على الناس، وكانت معاناة المرأة أكثر، فهي تحلب ليلا وتارة ضحى بما يسمي (الحوشة) حيث تشبع الأغنام قبل منتصف النهار، فتعود للمضارب فتقوم المرأة للحلب ثم تحلب مساءً.

فكنا نشاهد معاناة الأمهات، فهن يضعن قرب الماء، وقرب اللبن المتعددة ثم يخضن اللبن في السعن لاستخراج الزبد منه ثم يجمع اللبن بعد الارتواء منه يملأ قدرا كبيرا ويطبخ طبخا طويلا حتى يستخرج منه الإقط ليكون لهم عونا في الصيف والشتاء والمرأة توفر السمن استعدادا للضيوف وادخارا للشتاء القارص وفي الربيع ترتاح النفس، وتقل الأمراض، ويكثر الطرب، وتقام الألعاب الشبابية وتجتمع الأسرة، فقد كان رعاة الإبل يذهبون بعيدا ولا يعودون إلا بعد أشهر، وكانوا يتغذون على ألبانها وقل أن يجدوا طعاما. أما الشياه فهي تسرح صباحا ولا تعود إلا في المساء، وربما أنها تبيت ليلة أو ليلتين بعيدا عن النزل والأغلب أن الرعاة يجتمعون في المساء للمبيت مع بعضهم أما في الربيع فإن الإبل والأغنام ترعى حول النزل وتعود مساءً وكان الأهل يجعلوننا نرعى البهم بالقرب من البيوت حتى يدربوننا بل هو نموذج تربوي، له ذكرياته الحلوة فملاعبه وأحاديثه ونداء الود فيه كلها تولد الحب وقد وصفه عروة بن حزام قتيل الحب العذري المتوفى في تبوك عام ٣٥هـ يقول:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لِعَفْراءَ إذْ في الدَهْرِ والناسِ غرةٌ وإذ خُلُقانا بالصِبا يَسَرانِ

لأَدْنوَ من بَيْضاءَ خفاقَةِ الحَشَا بُنَيةٍ ذي قاذورةٍ شَنَآنِ

كأنَ وِشاحَيْها إذا ما أَرْتَدَتْهُما وقامَتْ، عِنانا مُهْرَةٍ سَلِسانِ(١)

المياه:

كان الطفل مسعد يحرص علي المجالس العامة شأنه شأن سائر الأطفال، فكل أب يصطحب أبناءه إلى المجتمع الرجالي الذين يتداولون فيه أحاديث شتى، فيذكرون القصص الحربي والمأساوي، ويحرصون علي القيم بطرق عملية وقصص مؤثرة ويشيرون إلي القضاء الصارم، كما يذكرون حياتهم الرعوية ومعاناتها من جلب الأطعمة والارتحال، وظروف الحياة الشتوية، والصيفية والربيعية، فكل فصل له مظاهر حياته الرعوية، كما أن لكل زمن في النهار والليل أعماله التي يتطلبها، ولما انقضى الشتاء وانفرج الهم فشرب الناس من الغدران المائية، ثم إذا جفت الغدران أخذ النزل شيوخ وشبان يحفرون (الثمايل)، والثميلة: هي استخراج الماء من بطون الأودية في جانب جبل في مكان يبقى به الماء بعد الأمطار ويسمى الغدير فإذا جف ماء الغدير وغالبا يكون قبل الصيف فإنهم يجتمعون لحفر الثميلة ويتعاون النزل وينشدون ببعض الأناشيد الرمزية مثل: ((حفار الثمايل أقرع ورأسه مايل)) فيتضاحكون ويتعابثون وهم يحفرون، وهي لا تتجاوز المتر ويغرفون منها بالأواني، وتكون مياهها غزيرة إذا كانت الأمطار كثيفة قبل

---

(١) مسعد بن عيد العطوي: العاشق العفيف عروة بن حزام ص١٧٢.

أشهر من حفرها، ويلتقي أهل النزل حول الماء يتعاونون في جذب المياه وتعبئتها في القرب وتحميلها علي الحمير، ويأنس الواردون ببعضهم البعض، ويكون لقاء الفتيان بالفتيات في غفلة له طعمه الخاص، العابث حول الحمى ولا يقعون في المحاذير، لاسيما وأن النزل مترف بالربيع والخيرات، متقارب مكشوف أمام الجميع.

رحلة الصيف:

تقل الزراعة في شمال غرب الجزيرة، مما جعل أهل المنطقة وكثيرمن قبائل الجزيرة لاسيما القبائل *المجاورةيعتمدون* على زراعة البلقاء والكرك، وأحيانا فلسطين، فيذهبون في جماعات لا تضم أفراد الأسرة كاملة بل يصطحب الأب معه من أسرته من يجد عنده فرصة سانحة، ويكون متفرغا من رعاية الأنعام وحماية الأسرة التي تبقى في أرض الوطن، فيكون معهم أحياناً عدد من النساء والمراهقين والأطفال الذين يعملون أُجراء عند أصحاب المزارع في الأردن أو فلسطين، فيحصدون القمح ويصفونه، وقد يخدم القاصرون منهم في الحقول، فيحصلون من ذلك على مؤونة كثيرة ، ويعودون بعد ذلك بقوافلهم محملة قمحاً أو شعيراً وأكسية وقهوة وسكراً.

وتعود القوافل متعددة في جماعات متقاربة، الإبل تحمل أثقالهم وهم يسيرون ليلا ونهارا معهم الأغذية وبعض القهوة، والسكر والشاي بينما أهاليهم في (حسمى) و(الحرة) لا يجدون غذاء إلا اللحم، ولم يبق إلا النساء والضعفاء من الرجال وكانت أحمال الإبل قليلة لأنها المخزون لعام كامل لأسرة كاملة، ومع ذلك يكرمون الأضياف ويتصدقون ويقرضون المحتاج ويكتفون بها إلي العام القادم. لم أصحب هذه القوافل ولكن أخي الأكبر صحبهم، وأتذكر تلك القافلة لما أقبلت من الأردن وهي آخر رحلة يقوم بها الوالد بل كل أهل الحرة، فاستغنوا عنها بما يفد إلى تبوك حيث كثرت الواردات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتطورت تبوك في ظلال العهد السعودي المبارك وساد الأمن والاستقرار وازدهرت التجارة، وقد كانت قبل سنوات لا يستطيع الإنسان أن يأخذ زادا منها ولو قليل، وغالبا ما تكون مياه الثمايل حول المراعي، والنزل حولها قليل حتى يتمكن من الارتواء، وتنحصر المراعي حولها لرعي أنعام هذا النزل، وما تلبث الثما يل أكثر من شهرين حين يدخل الصيف بلهيبه، فيحتاجون إلي المياه الكثيرة، وهذه غالبا تكون في الواحات ذات الزراعة القليلة أو ما يسمي بالآبار العميقة (أو القلبان) من القليب وهو البئر وأحيانا يقطنون حول آبار زراعية وواحات وكل له ماء يشرب منه ومزارع محدودة. ويتقارب أبناء البادية إلي المياه، ويحيطون بها فينزل بعض على بعض وتكون مضارب النزل كبيرة وأبياتهم كثيرة وتسمي (القطين) وقد وصفها الأخطل في قصيدته:

راح القطـين مـن الثغـراء أو بكـروا وصدقوا من نهار الأمس ماذكروا[١]

والنـزل الكبـير في الصـيف لـه مذاقـه الخـاص، فالنـاس يتجـاورون بكثافـة فيتعـارفون، ويتكاتفون، فيجتمع الرجال في منتداهم ويكون السمر الليلي، وتكون الألعاب ضحى مثل (الشيزة)، وهم يلتقون في موارد المياه والمعاطن للإبل، ويشربون من ألبانها، وتحرص النسـاء على سماع أحاديث الرجـال من وراء السـاتر، وكـذلك يلتقـي الفتيـان بالفتيـات على موارد المياه أو في المراعي، وكثيراً ما يكون اللقـاء في مكـان المبيت للراعيات. فهـن يجتمعن مع بعضهم، ويبحث عنهن رعاة الإبل فيسمرون مع بعضهم ويلعبون الدحة والرقص. ويتوالد الحب والأنس ولكن للحق إن الأمر في حيطة وحذر من كلا الطرفين، اللهم إلا اللمم الخاطفة التي يتبعها عتاب شديد يقطع الطريق، ولذا يحدث الحب وطلب الزواج نتيجة الثقة والعفة. مع أنهم اختلطوا مرات متعددة، فكانت الفتاة تحتاط وتجتنب الشبهات حتى الشباب أكثر يحذرون ويخشون، وتغذي العفة أحاديث المجالس الصارمة في هذا وكذلك يغذيها الفضيحة، وأي فضيحة فالمرأة المهموزة قل من يخطبها، والويل كل الويل من الحكم القضائي القاسي الذي يتعرض له الشباب وإن نأى وأمتنع عن القضـاء فالموت المحقق له ويفوز من يقتله، والمغامرون من الشباب يحذرون حين يتسللون إلى معشوقاتهم بحذر شديد، وهي تماماً كما كانت عند جميل بثينة، وكُثير عزة، ومجنون ليلى وقد أشار إليها عدد من شعراء الجزيرة في نجد والحجاز والجنوب والشمال منهم الفرزدق، وامرئ القيس، والعرجي، والأحوص، ووصفها كثير من الشعراء الشعبيين

---

[١] الأخطل: شعر الأخطل ص٧١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشاعرات في بداية العهد السعودي وقد نشرت صحيفة الرياض أشعار لنساء يصفن هذا اللقاء الليلي في الجزيرة، وقد عبر عنهم عمر بن أبي ربيعة فوصف المغامرة الليلية والدخول إلى مهجع الفتاة والحديث معها وكل ذلك ينذر بالخطر الداهم ومع كل ذلك نستنبط كيفية التعللة مع المعشوقات:

إذا زُرْتُ نُعمْاً لم يَزَل ذو قرابةٍ ... لها، كُلّما لاقَيْتُهُ، يَتَنَمّرُ

وليلةَ ذي دَورانَ جَشّمْتِني السُّرَى، ... وقد يَجشمُ الهَوْلَ المُحِبُ المُغَرَّر

فَبِتُّ رَقيباً للرِّفاقِ على شَفاً، ... أُحاذِرُ منهمْ من يَطوفُ، وأنظُر

وبِتُّ أُناجي النفسَ: (أينَ خِباؤها؟ ... وكيفَ لِما آتي من الأمرِ مَصدرَ؟))

فلمّا فقدتُ الصّوتَ منهُمْ وأُطفِئتْ ... مَصَابيحُ شُبّتْ في العِشاءِ وأنْوُر

وغابَ قُمَيْرٌ كُنتُ أرجو غُيُوبَهُ، ... وَرَوّحَ رُعْيَانٌ، ونَوّمَ سُمَّرُ

فحَيّيْتُ إذ فاجأتُها، فتولّهَتْ، ... وكادَتْ بمَخْفوضِ التحيّةِ تَجْهَر

وقالت وعَضّتْ بالبَنانِ:((فضَحتَني! ... وأنتَ امرُؤٌ، ميَسورُ أمركِ أعسَر!))

((أرَيتَـكَ، إذ هُنّـا عليـكَ، ألَمْ تخَـفْ، وُقيِـتَ، وحـولي مـن عـدوّك حُضَّـر؟))

((فـوَ اللهِ مـا أدرْي أتَعجيِـلُ حاجَـةٍ، سرَت بك، أم قد نام من كنتَتحذر؟))

فقلتُ لها: ((بل قادَني الشّوْقُوالهوى إليكِ، وما عَينٌ من النّاس تَنظُر)) [(١)]

وملابس النساءِ دائما في حشمة فهي تلبس ثوبا طويلا يكون متدليا في طبقتين من بعد الحزام، فهو ثلاث طبقات إلي جانب السراويل التي تكون دكتها أي ربطها من الخلف بل إن بعضهن يعددن السراويل في مكان الخطر. خشية الاغتصاب وخشية غلبة الهوى، والفتاة تدافع عن نفسها، ونادرا يحدث أن يحاول الشباب اغتصابها، وهي تدرأ وتداري ولا تحاول إثارة الغضب لأسرتها، لأن الأمر يؤدي إلي القتل أو الصراع العظيم بين الأسر والنزل. ويقلن أن الرجل مثل الكلب إذا طردته فإنه يبتعد، ويلمن أي فتاة تتعرض للتحرش فهي تكون سبابا أوليا. ومن هنا فإن الزواج يكون عن معرفة مباشرة، فالفتاة مكشوف أمرها والفتى مكشوف أمره والتعارف مؤكد بينهما ومن ثم يكون الزواج أكثر ديمومة وهو امتداد للحياة عند القبائل العربية في العصر الإسلامي الأول وقد وصف جميل بن معمر أسباب حبه لبثينة:

وأول مـــا قـــاد المـــودة بيننـــا بـــوادي بغـيض يابـــثن ســباب [(٢)]

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ص١٢٠، ١٢٢، ١٢٣.

(٢) الديوان ص٢٤.

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد السباب يتم التصالح والقول اللطيف، لكن لا يظن ظان أن ذلك يؤدي إلى الوقوع في المحرمات.

يغلب أن يكون رعاة الإبل من الشباب، فيبتعدون عن المياه مسافة ليليتين أو أكثر، ويغلب أن يكون رعاة الأغنام من الفتيات، فيحملن القرب المائية وزادا من الطحين على ظهورهن تكفي ليومين إنها معاناة، لكن أنس الالتقاء بين الفتيات أنفسهن وممارسة ألعابهن وكذلك لقاء الشباب في روح مرحة عفيفة كل ذلك يخفف المعاناة عن الطرفين، وكانت الراعية تحمل حقيبة تسمي (العيبة) من العيبات وهي الحقيبة فيها مرآة وعطر، وكحل، ويوضع فيه الزاد الذي يتجاوز كيلا من الدقيق، وهي موضوع للتنازع مع الشباب كأنهم يبحثون عن أشياء وهي تمتنع على المنازع، ولكن يحدث حوار فيه ملاطفة ومداعبة ، ثم يقف الأمر عند هذا الحد، وأحيانا يتجاوز الشباب فيأتون للراعيات وقد أخذهن النوم أو يدعين ذلك لإتاحة الفرصة للشباب بزعم خياطة ثيابهم بعضهن مع بعض أو مع شيء آخر بلا تعرية فتقوم الفتيات في دفاع، ويدافع الفتيان عن أنفسهم في مزاح إنها ضروريات النفس والجسد، لكن أغلبها لا يتجاوز اللمم بدليل أنه يندر ذكر الاغتصاب وكذلك حمل السفاح وخير من ذلك توليد الثقة بين الشباب، فهن يجتنبن من كان نيته اللمس والهمس والتلاصق الصريح. ولذلك يفرغون شحناتهم بالممازحة غير المباشرة التي تضمر وراءها عفة وممانعة قوية. وكل منهن تتفاخر بأسرتها وعفتها، وكن يحذرن في المجالس فلا تقعد مع الرجل في بطون الأودية والشعاب والأماكن الخفية فلا يجلسن مع الشباب إلا في مكان بارز للعيان حتى لا يتعرضن للاتهام والغمز، فإذا كان المكان مكشوفا فلا ضير حتى ولو تنازعا على شيء ما بالأيدي فكل حالة عندهم لها مضمون ودلالة توحي برسائل، ولكن تبقى

الجديد والحصري
NEW & EXCLUSIVE

ذكريات الشجار والمداعبة والملاطفة لها تأثيرها النفسي على الشباب ولسان حال كل من الفتيات والفتيان بقولة أبو الفوارس التميمي في القرن السادس الهجري:

فلما دعا داعي النوى واستخفنا تجاوب غربان الفراق النواعق

ظللت أداري دمع عين قريحة أبى الوجد ألا أن تجود بدافق

كأن إهابي مُشْعَرُ خيبريةً غداة سرى ظعن الخليط المفارق

تنفست حتى قال صحبي ضَرِيمةٌ من النار هاجتها رياح المشارق

ذر الدمع يجري مستهلاً فما الهوى بدانٍ ولا وعد الحسان بصادق[1]

كانت المرحلة تلك زمن دخولنا في المدارس، ومكثنا سنتين لم نخرج إلي البادية، ثم قرر الوالد أن يخرج الأسرة إلي واحة زراعية هي (قنا) وقت الصيف، وذلك لأن الأم أصيبت بمرض السل المنتشر في البلد وتمت معالجتها، ولكنها أرادت أن تذهب عند أخيها لعل في ذلك شفاء وكانت تفيض بالحنان، ولاسيما وأنها لم تنجب إلا في آخر عمرها، وكنت أصغر أبنائها وقالت لي هل تبكي إذا لم تجدني في البيت قلت لها لا، ولكني لما عدت من المدرسة دخلت الغرفة ووجدتها مرفوعة الفرش مطوية فأركزت رأسي على تلك الفرش وأخذت أبكي وأبكي وحدي، وتواصل البكاء في الليل حين النوم فلم

---

(١) أبو الفوارس: الديوان ص١/٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعهد الخلوة عن جانبها الحبيب. خرجنا من تبوك على الإبل في قافلة، وكان يصحب الأسرة خالي (مسلم) وعمي (حماد) ولكن النوم في البر حالة صعبة عندي، فلم أنم إلا لماما، واستمرت الحال معي طوال مراحل الصيف التي نخرج فيها، وذلك خشية من الحيات والعقارب، وركوب الإبل لم أعهده لكني مارسته، حتى كنت أدخل في سباق مع الأقران، وفي هذه الرحلة كنت في عجلة من أمري حتى التقي بوالدتي المريضة، فجئنا ولكن المرض ثقل عليها فلم نمكث إلا أياما معدودة حتى عدنا إلي تبوك ونزلنا في واحة الجرثومة، وكانت الأسرة مكونة من الوالد والأخوين (محمد) و(رشيد)، وابنة عمي يتيمة فهي بمثابة الأم لي وقد تزوج الوالد ولكنها امرأة لم يعجبها الوضع. فطلقها الوالد ولكنها ندمت، وجاء وقت الدراسة وكنا في مدرسة (الأيتام) دار التربية الاجتماعية ثم سميت بمدرسة التوجيه فمدرسة الأيتام تستوعب من مات آباؤهم بل وكان المدير رجلا فاضلا قبل أبناء البادية ولو كان آباؤهم أحياء، وقد تغير أسمها الحالي فهي تسمي دار التوجيه وقد خصصوا (الأيتام) لمن لم يعرف آباؤهم، فهذا للتوضيح بين التسميتين، ومدارس الأيتام أسسها الملك عبد العزيز في سائر مدن المملكة وأنجبت عدداً من أعضاء هيئة التدريس والضباط وكثيراً من مؤسسي الإدارة في المملكة مع وجود آبائهم على قيد الحياة وقد أفتتح الملك عبدالعزيز أول مدرسة للأيتام في مكة المكرمة وسجل ذلك الغزاوي في قصيدة رقيقة.

وعدنا في السنة الثانية في الإجازة الصيفية أكثر وعيا بمجريات الأحداث لكن الأسرة تفرقت، فالوالدة قد ماتت، والأخت جاء الخبر بموتها ونحن في البر والوالد مريض، والأخ رشيد أشد مرضا فأخذه الوالد للأردن للمعالجة في المستشفي الطلياني في عمان وكان له دوره حيث عالج أعداداً كبيرة من أبناء القبائل حين كان الطب ضعيفا في البلاد، وكان الشيخ رحيل بن عيد من سكان القطرانه له دور كبير في مساعدة

الوالد، أما أنا وأخي محمد وهو أكبر مني فقد كنا نمكث عند خالي تارة وعند عمي حماد تارة ولست أدري عن سر الانتقال. ولكن وللحقيقة أني موضع عناية من الأخوال والخالات والأعمام والعمات وكلهن زوجات الأخوال والعمات، أما خالتي وعمتي الوحيدتان الشقيقتان فهما بمنأى عنا، بل إن الرجال الكبار والنساء والشباب كلهم يودونني ويحفون بي حين أجالسهم وتارة أعابثهم وربما ذلك لأني متعلم أكثر تطوراً من أقراني، وتارة يجعلني الوالد أقرأ عليهم من القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وكان المصيف زمناً مليئاً بالحركة والعمل للمرأة، فهي تغزل فيه وتنسج وتجلب الماء والحطب، كل ذلك موزع بحسب القدرة فهي إذا كانت تمشي تقوم بالغزل مع الرعي أو الذهاب لجلب الماء أو الحطب. وترد الأغنام إلي واحة قنا من كل حدب وصوب، ونلتقي بالراعيات وأمهاتهن والأقارب في معطن الإبل والأغنام، ويحدث التعارف في روح مرحة وعلى حياء من الجميع لكن لا يخلو من تعابث مع الراعية وهي تُوارد أغنامها والمواردة تقطيع الأغنام إلى مجموعات خشية الأزدحام على الحوض، فتقذف بالحجر كأنها على الغنم وهي على الشاب.

وذات يوم وقفت مع راعية وهي تقطف تينا أمازحها بالقول فإذا هي تطلق لسانها بالسباب والوعيد، فاضطربت وذرفت دمعتي خوفا لأن قول المرأة مصدق من الجميع ويؤدي إلى تحقير الفاعل ووصمه بالعار مع أني لم أعمل لها شيئا واخذت أسألها عن أسباب غضبها فقالت: ألم تعلم بأنك كسرت الشبانة وهي آلة موسيقية من الخشب فيها ست ثقوب من الجوانب تغلق وتفتح مع نقر الأصابع ويدرك السامع المعاني مع عدم وضوح الكلمة.

فارتاحت نفسي وأقسمت لها أني لم أعلم بها ولكنها طلبت العوض بشدة وهو الخاتم الذي ألبسه فأخذته فما أثار عليّ غضب إحداهن التي طلبته مني ورفضت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد حدثتني إحدى قريباتي المتقدمات في السن، أنها كانت في حالة عوز وحالة من قلة الأولاد الذين يخدمون، فكانت ترعى الغنم وهي حامل وتقوم بسقاياها من الآبار وحانت ولادتها ولا راعي للغنم فذهبت ترعاها وأنجبت طفلها وكانت بالقرب منها راعية رأت حالتها صعبة فلم تبتعد عنها، فلما غابت عن عين الراعية الصاحبة وهي تعاني من الألم والولادة حضرت عندها وساعدتها، وعادت إلى النزل وطفلها معها ثم واصلت رعيها للأغنام وهي تحمل طفلها في المحمل وتحمل قربتها فوقه وتحمل عيبتها (حقيبتها) فوق ذلك وفيها الزاد والمغزل والصوف، وكانت في قمة الجبل والأغنام ترعى حولها وقد وضعت قربتها وعيبتها، ومحمل الطفل وأخذت ترضعه وتداعبه فلما حانت منها لفتة فإذا بالأغنام قد نزلت إلى الوادي كلها فخشيت عليها من الذئب، فأخذت تضع ولدها في محمله ووضعته على ظهرها ووضعت قربة الماء ووضعت عيبتها وانطلقت مسرعة إلى الأغنام فلما استقربها القرار بجانب أغنامها واطمئنت عليها أخذت تضع أحمالها من العيبة وقربة الماء ومُحمل الطفل فإذا طفلها ليس في المحمل فارتاعت وأخذت تقفز صاعدة الجبل لا تلوي على شيء بل لم تعلم ما أمامها حتى عثرت عليه ساقطا عند مجلسها الأول وهي لم تشعر بسقوطه من المحمل ففي لحظة جاءها الفزع والروع وفي لحظات أخرى مباشرة داهمها الفرح والبهجة وهكذا الدنيا كلها.

أما مجالس الرجال في الصيف، فهي مدارس للتجارب والقصص وحكاية التاريخ وترسيخ القيم العربية الفاضلة وفض النزاع وأحيانا يتولد الخصام بينهم إثر مزحة أو حكاية تاريخية، وهم يجتمعون كل فجر على قهوة في أحد الأبيات ومتعارف عليها وتسمي (الشبة) كل يوم عند أحدهم وهو ملتزم بإعداد القهوة صباحا، ثم بعد صلاة العصر ثم السمر الليلي، ويحضر كل الرجال وكل الشباب، وتأتي كبار النسوة للمجلس أحيانا لتأخذ ثلاثة فناجيل من القهوة، وعيب أن تصنع المرأة القهوة ولكن الأمر

اختفى، والمرأة تأتي أكثر الأحيان حين انفضاض المجلس إما للخدمات وقت المغرب أو للصلاة وحدث أن جاءت امرأة والشبة في بيتها، والناس يصلون المغرب، فأخذت القهوة وشربت لا تتجاوز الثلاثة فناجين كل فنجان فيه ربع الفنجان فقط، فلما أنحرف زوجها من الصلاة قال لها ماذا تعملين قالت شربت قهوة، قال كيف تشربين وهي لم تصرف على الرجال بعد والعادة صب القهوة للرجال الضيوف أولا، قالت لم أعلم بذلك قال لها أنت طالق بالثلاث ولها أولادها الكبار، فأبت أن تخرج من بيتها وندم الرجل وسافر إلى ابن باز لعله يجد مخرجا، فأفتى بعودتها. إذن فإن بداية القهوة للضيوف أو كبار السن أو لذوي الجاه.

وكنا نعتمد على كسرة خبز صباحا ثم نكتفي بالتين طوال النهار حتى وقت العشاء، وكنا نفرح فرحا كبيرا بالضيوف فتولم لهم الولائم من الذبائح أو الأطعمة ذات الأدم من اللبن والسمن بسخاء منقطع النظير وببشاشة وبشر تماما كعمل حاتم الطائي، ويشهد الله أني قد رأيت صورة واضحة عند استقبال الضيوف ومداعبتهم والترحيب بهم بأصوات عالية، ورأيت الشيخ علي جدعان وهو يداعب ضيفه ويشاركه بإنزال الرحل واستحضرت قول حاتم الطائي:

أُضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحلُ جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر ولكنها وجه الكريم خصيب[1]

---

(1) حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي ص٩٣.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان الليل الصيفي له مذاقه الجميل، فالاجتماع الليلي أي (الشبة) كل يحرص عليه لأن الرجال أهل الخبرة والرواة هم سلاطين المجلس، وكنت أستمع إليهم بشغف وكنت جالست في هذه المجالس الراوية الثقة نصار بن ظاهرة النواقي، فهو أحد الرواة على مستوى القبيلة، فيأتي بالقصة وقصيدتها ولي عنده حظوة رغم صغر سني، فيحرص أن يحادثني وأنا كذلك أستدرجه، بل وكنت ألعب معه الورقة وكنت قبله أستمع للشيخ مطلق بن فرحان فهو راوية جاورتهم في نزل في تبوك، وكان رجال الفريق يطلبون مني أن أستدرج مطلق بن فرحان بلطف أقول له طالباً قصة أو قصتين، فيستجيب ويستمع الناس له في صمت حتى النساء يستمعن من شق البيت النسائي من وراء (المعند) وهو الساتر بين مجلس الرجال ومهجع المرأة وزوجها وأولادها ويسمى المحرم، ويكون الحاجز عبر صف حجارة صغيرة توضع عليها حقائب المرأة وهي عبارة عن نسيج من الصوف ثم تخاط ويوضع بها كل الحاجيات والأطعمة ثم يوضع عليها الفراش والأغطية حتى يأتي وقت النوم ليلا.

ثم بعد السمر أنطلق مع بعض الأصحاب من الشباب إلى الماء وهو مزارع تين ترد السباع إليها ليلا فنختفي في (نسرة) وهي عبارة عن حجارة فوق بعضها لنصطاد الذئاب والضباع، وقد اصطدنا بعض الضباع وأصبنا بعض الذئاب. إنها ليالي الشباب المرحة وفي الصباح والظهر نقتنص الطيور التي تأتي للماء وبقايا التين وتنحصر في الحجل والعرفي، وهما ألذ الطيور البرية وكانت كبيرة ووفيرة.

والواقع أن حال أسرتي ميسور فليس عندنا دواب كثيرة بل بعير أو بعيرين نرتحل عليها من تبوك إلي الواحة (قنا) ثم نعود عند انتهاء الأجازة الصيفية ،وكان الجيران لهم دور تعاوني واضح في جلب الماء، وأهل البادية أغنى من الذين ذهبوا للحاضرة فحالهم ميسور لعدم كثرة تكاليف المؤونة، وهناك تبادل تعاوني فالذين استوطنوا يستقبلون

الجديد و طريف
NEW & EXCLUSIVE

الوافدين من أبناء البادية وإذا جاورتهم تجد التعاون منهم أيضا. إنها مرحلة الامتزاج بين البادية والحاضرة، فنحن نأتيهم بالمستحدث، فالوالد كان معه راديو ونحن نلبس الساعات، ونلبس ثيابا ولا نستعمل الحزام وأكثر جدة ونظافة، ونستعمل الصابون، ونساؤنا تلبس الثياب الملونة وتترك الثياب الطويلة التي تثنى من الخصر حتى تتجاوز الكعب، وأخذ المجتمع يتفاعل مع بعضه، فكان أمنية الشباب أن يترك البادية ويلتحق بالوظيفة، ولما تكاثروا وساعدوا أهليهم بالمؤن نظر إليهم المجتمع نظرة إعجاب حتى الفتيات أمنيتهن أن يتزوجن من الشباب الملتحق بالمدينة، ولم يلبث المجتمع أن كان نصف الأسرة في الحاضرة والأقل في البادية. ثم طرأت السيارات لتحمل الأثقال، وكانت السيارات الإسبانية من بقايا الجيش هي التي كان لها القدرة على تجاوز الأماكن الوعرة وكذلك الرمال الكثيفة وكان التواصل مع السيارات حتى أماكن وعرة جداً فتأتي الإبل فتحملها إلي حيث يقطن النزل.

وكانت العروس تُحمل على جمال من بيت أهلها إلي بيت زوجها ولو كانوا متجاورين فلما جاءت السيارة احتلت مكان الجمل. وربما تأثرت العروس برائحة البنزين فأصيبت بالإغماء لأنها لم تعهد هذه الرائحة وحركة السيارة في الأماكن الوعرة.

وتغيرت الأواني فجاءت الأواني النحاسية والتوت والحديدية وحلت مكان الأواني الخشبية بما كان يسمى القدح، وهو إناء يصنع من الخشب ويستعمل لشرب الماء، واللبن، ومكيالا للسمن.

بل حتى الحبوب جاءت مطحونة بدل الطحن اليدوي على الرحى. وكان الطحن متعبا ومضنيا للمرأة واستعمل أهل البادية السراج في بيوتهم عوضا عن إشعال النار طوال الليل، وكانت الراعية تساهم بخياطة ثياب الأسرة والسراويل حيث تجلب الأقمشة ثم تفصل وتخاط بسلك الخيوط من الهدبة، وكان البدوي يحمل في محفظته ويسمى الصفن:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكون صغيراً يحمل فيه المتاع وهو أصغر من السفرة التي فيها المتاع وهو أصغر من العيبة ويصنع من الجلد وهو خاص بالرجال يعلق على جنب الرجل وهو ملازم له في حله وترحاله وفيه الزند ومايشعله وفيه مقومات إصلاح الحذاء وفيه الإبرة والهدبة والهدبة: هي قماش ينسل منه أسلاك الخيط.

التي يعلقها على جنبه وتحتوي على زند ولفيف من أشجار قابلة للاستعمال مدقوقة وحجر صواني وإبرة وهدبة، ومنقاش، ومسمار لإصلاح الحذاء إلى جانب احتزامه بالمدية (الشبرية) والعصا.

وقد تعلمت من كبار السن العفة وأي عفة، إنه العفاف الحقيقي تجلّى ذلك في سماع قصصهم الخرافية التي لا تتجاوز القبلة في الخد وأكثرهم لم يمارسها وأني قد رأيت منهم غض البصر والترفع عن الاستماع لأحاديثهن، وكأنهم سمعوا قول حاتم الطائي وهم لم يسمعوه يقينا:

مـــا ضُــرَ جـــارا لي أجـــاوره ... أن لا يكـــون لبابـــه ســـترُ

أغضـــي إذا مـــا جـــارتي بـــرزت ... حـــتى يـــواري جـــارتي الخـــدر

وللأكل عندهم عادات كلها تدور حول التقليل منه والابتعاد عن الجشع والأكل بأطراف الأصابع وعدم لمس الجوانب التي تليه. ولا يتجاوز ما حوله بل لا تظهر الجوانب أو القاع من الصحفة (أي الصحن) فهو يأكل القليل. ومن المعيب أن يأكل الضيف كل ما قدم له وهذه العادة متوارثة عن العرب من أيام الجاهلية يقول حاتم الطائي:

وإنيَ لأسْــتَحي صِــحابيَ أنْ يَــرَوْا **مكانَ يَدي، في جانبِ الزادِ، أقرَعا**

أُقَصَــرُ كَفــي أنْ تنــالَ أكُفَهُــمْ **إذا نحــنُ أهْوَيْنــا، وحاجاتُنــا معــا**

وإنــكَ مهْمــا تُعْــطِ بَطنــكَ سُــؤْلَهُ **وفَرْجَـكَ، نالا مُنتهـى الـذم أجمعـا**

أبِيتُ خُمَيص البطن مضطمِر الحشا **حَيـاءً، أخـافُ الـذم أنْ أَتضـلعا**[1]

وقد رأيت هذه الصورة واضحة في جلّ أهل البادية.

وقد صحبت الرعاة من البنين والبنات وهم مختلطون فكانوا يتداعبون بل يحدث بينهم خلوة في ظلال الكهوف، وظلال الشجر وفي الشعاب ولكن الفتاة والفتى يخشون الفضيحة ويحافظون على العفة، وكأن المكان وتوارث الحياة البدوية له تواصله، فهذا جميل بن معمر العذري الذي عاش في منطقة تبوك يصف لقاء الفتيان بالفتيات وهو صادق في ذلك أشهد بما رأيت وعرفته عن خبره فهو يقول:

لا والــذي تســجد الجبــاه لــه **مــالي بمــا دون ثوبهــا خــبر**

ولا بفيهــا ولا هممــت بــه **مــا كــان إلا الحــديث والنظــر**

---

(١) حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي ص٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن عاداتهم التعاونية الحميدة التي شهدتها. التعاون بينهم حين الارتحال، فهم يحملون أمتعة من ليس له دابة، وهم يجلبون له الماء، وهم يقرضونه الأطعمة، وهم يحملونه على إبلهم أثناء السفر ويردفونه، وهم يشتركون في الزاد أثناء الترحال وهم يعملون الولائم أثناء عودتهم بأحمال المؤنة من الحبوب والتمور إن معالم التعاون والتآزر كثيرة في البادية، فلو أحصيت المحاسن لرأيت عجبا وكرما وإيثارا، وعفة من الرجال والنساء أمور رصدتها غاب عني الكثير وتذكرت القليل من شيم البادية والكثير منهم كأنه متلبس بقول حاتم الطائي:

كـريمٌ، لا أبيـتُ الليْـلَ، جـاد،	**أُعَـدِدُ، بالأنامِـل مـا رُزِيـتُ**
إذا مـا بِـتُ أشـرَبُ، فـوْقَ رِيً،	**لسُـكْرٍ في الشـرابِ، فـلا رَوِيـتُ**
إذا ما بِتُ أخْتِلُ، عِرْسَ جَاري،	**ليُخْفِيَـني الظـلامُ، فَـلا خَفِيـتُ**
أأفضَـحُ جـارَتِي وأخـونُ جـاري؟	**مَعـاذَ اللهِ أفعـلُ مـا حَيِيـتُ!!**

والالتزام بالقيم نتيجة الأحكام الصارمة والتربية الشديدة والتحامي بين أفراد الأسرة لوجود التنافس حول المرأة، والجاه والمال، ويأتي الغضب كثيرا حين يغلب العشق بين الطرفين أو يكون من نزغ عابث وقد صور ذلك كعب بن زهير حين يقول عن معشوقته:

وقالـــتْ تعَلـــمْ أن بعـــضَ حُمُـــوَتي　　وبَعَلـي غِضَـابٌ كُلهُـمْ لـكَ كاشـحُ

يَحِـدُونَ بالأيـدي الشَـفارَ وكلُهُـم　　لحَلْقكَ لو يَسْطيعُ حلْقُكَ ذابحُ[1]

هذه المقاييس الاجتماعية منذ الجاهلية هي التي عايشت جانباً منها في الحياة الأعرابية البدوية. ومن حكايات العفاف، وهي كثيرة أني أعرف رجلاً قوياً مصارعاً يرعى الإبل، وقد اجتمع مع رعاة آخرين ونعرف قوة الشهوة عند من يشرب لبن الإبل، ولما اقترب المساء فإذا بامرأة تحمل وليدها، فإذا بعضهم يبشر بعضاً، وإذا بها ترى ذلك الشاب فتقترب منه وقد هموا بها وأرادوا أن ينتزعوها، فأخذ الشاب يعلن أنها في حمايته ولن يصل لها أحد إلا بعد موته وظل يحميها من أي محاولة وفي الصبح أبلغها مأمنها وقد ذكر لي أنه لم ينم في تلك الليلة وقد كانت شاهداً على عفته وأمانته إنه (فريج العسوفي).

والواقع أن المرأة في مأمن ولو التقت بكثير من الرجال وضعاف النفوس كثير وخلق الإنسان ضعيفا وقد فسرها المفسرون بأنه للجنس ولكن الرهبة وعاقبة الأمر وخيمة وربما أنهم يمازحون صاحبهم ولن يستطيعوا الاغتصاب فهو مهلك لصاحبه ولأسرته بل لعشيرته وهو عار دائم وهم إذا شكّوا في الرجل يقومون بإحلافه اليمين المغلظة تحلف بالله العظيم قاطع الذر والذرية إنك لم تمسك لها جيبا ولم تكشف لها عيبا ولهم طقوس في كيفية القسم مخيفة ومرعبة.

---

(١) كعب بن زهير: ديوان كعب بن زهير ص٥٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا ثبت عليه شيء من ذلك فانه يكسو البيت قماشاً أبيض ويركبونه على حمار متجه إلى الخلف ويدورون به على النزل وبعد ذلك الجزاء الأكبر من قطع الأرجل وقطع اللسان وقطع الذكر ثم يشتريه بأمواله وأموال الأقرباء والتعاون ثم يكون له العار الدائم.

وعندهم أمثال دارجة ومنها:

ماعلى عيب شهود ولا على دم ورود أي شهود فهو واضح المعالم.

ومنها أن غلاما أتى إلى خيمة من الشعر، وكان الجو ماطراً والبرد غارساً والليل مُظلماً جاء وقد ابتلت ثيابه من المطر، وهو يتضور جوعاً، وقد أخذ يرتجف، فدخل الخبأ فاهتمت به الأسرة وقربته من دفء النار وأحضرت له العشاء، فعاد إلى حالته الجيدة، فلما جاء وقت النوم، لم يجدو له غطاء، لأن أكثر البادية لا قدرة لهم على إيجاد أغطية احتياطية، فقالت البنت: ينام عندي ويشترك معها في اللحاف، وكانت قريباً من (النأي) وهو مجرى السيل المنحرف عن دخول البيت، فنامت والغلام بجانبها، ولم يوقظها إلا حركة الغلام، فرأت منه ريبة ولكنه ظنُ منها فصبرت ونامت، وإذا بالغلام يلامسها فنهضت جالسة وقالت ثمّ بصوت يوحي بالاستنكار، فظنت أنه تأدب ولم تلبث في النوم حتى تأكدت من سوء نيته وكان النأي يجري عند رأسهما كالجدول لغزارة المطر، فأخذت الغلام ووضعته في الجدول وأخذت تقلبه ثم طردته.

ومن الحكايات: أن شابا صغيراً رعى إبل أبيه مع فتاة ترعى الإبل لأهلها وقد ناما عند الإبل، فإذا الفتى يقترب منها، فلمحت له بالابتعاد، ولكن الفتى عاد مرة أخرى للبنت وأخذ يلامسها، فلما تأكدت من سوء طويته. أخذت العصا وانهالت عليه ضرباً ثم ربطته بحبل ونامت، وفي الصباح ربطت يديه وصيرته يسير أمامها تارة تضربه بالعصا وتارة تلحق الإبل، ورجاها المرة تلو الأخرى وهي تريد أن يبلغ الموارد

المائية ليراه الناس، ولكنه ألح بالرجاء فقالت: إن أخبرت بمن دفعك إلى ذلك؟ فقال إن أصحابي كلُ يتحدث بمغامراته الغزلية فأردت أن آتي بمغامرة مثلهم ففكت وثاقه وقالت حدث بمغامرتك عن هذه القصة إذن.

ومن النادر أن تكون البنت راعية للإبل ماعدا القليل لظروف خاصة، وقد كانت البنت ترعى إبل أبيها، وبجانبها شاب يرعى إبل أسرته وحدث أن جاء الغزاة إلى النزل فأخذوا يفتكون ويقتلون وينهبون، وراءهم الفتى والفتاة وصاحوا على إبلهم فتداعت الإبل وراءهم وولوا هاربين وطال بهم المسير والإبل تشتد في جريانها حتى بعدت المسافة، وهدأت الإبل ومكثوا أياماً ينتظرون أن يأتيهم أحد من النزل ولكن أولئك هربوا في جهة نائية ويظنون أن الغزاة أخذوا الإبل وفتكوا بالرعاة ولم يكلم الفتى الفتاة ولم يتبادلا الأحاديث وكل منهما عند إبله لكن الفتى لم يعرف الماء والمورد إليه فاضطر أن يسألها عن الماء، فقالت: لا أعرف مكانه ولكن أركب على ناقة والدي ونادي على الإبل واتركها تسير في مقدمة الإبل كيف تشاء، فهي ظمأى وستتجه إلى الماء وفعلا قادتهم الناقة إلى الماء وظل حاله بعيدا عن الفتاة يرقبها عن بعد خشية عليها وتارة يذهب ليطلب لهم الزاد، وهو قليل فأكثر غذائهم من لبن الإبل يمكثون شهورا وما يدخل المعدة إلا اللبن وبعد حولٍ كاملٍ رأى نارا أو نزلا، فانطلق إليه، فإذا هم الأهل لهما، فأخذ إخوة الفتاة يسألون عنها فأخبرهم بمكانها، فانطلقوا يجرون ليصلوا إليها والوقت ليلا، فسبق أحدهم وأخذ يقبلها فصرخت ((سنة كاملة لم تقترب مني)) وتظنه رفيقها راعي الإبل وأخذت تستعد للدفاع وإذا به يقول لها أنا أخوك فلان، فما أعظم الموقف.

والرعاة يعانون من الحياة البرية فتارة يضيعون بأغنامهم وتارة تضيع الأغنام أو الإبل، فيبحثون عنها وتتقطع بهم السبل وينفد الماء والأكل وتارة يداهمهم الليل البهيم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهم في خلوة فيستحوذ عليهم الخوف وتتراءى لهم الأشباح وتصم آذانهم الأصوات الوهيمة، وقد قابلت راعية من النزل تعرضت لمثل هذا وكانت في حالة مأساوية.

ويحكي لي صديقي سويلم أقيهب مواقف تعرض لها وقد رعى الغنم قبل سن العاشرة وهكذا كل مولود بكرا للأسرة فإنه يخدم في سنيه الأولى فذكر أنه. اضطجع قبيل المغرب في قمة جبل (وتر) وهو من أعظم جبال الجزيرة فغلبه النوم وكان عمره أقل من عشرة سنوات فلم يصح إلا وقد أظلم الليل وقد ذهبت أغنامه إلى جهة غير معلومة وقد وقف شعر رأسه واضطرب خوفا فالتجأ لصخرة كبيرة وجلس بجانبها بل داعبه النوم حتى الصباح بينما أن النزل كله أخذ يجول في سفح الجبل ويشعل النيران وتعلو الأصوات والنداء بحثا عنه، ففقدان الولد مصيبة كبرى لقلة من يعيش منهم وظل الحي ساهراً والأم باكية، والأب ينتقل من مكان إلى آخر والطفل سويلم بجانب صخرته فلما أصبح وإذا بأخواله على مقربة منه وإذا بالأغنام سليمة ثم دخل المدارس حتى نال البكالوريوس وترقى في الوظائف حتى بلغ المرتبة الثالثة عشرة وهو يملك مزارع كبيرة، ويربي فيها أغناما كثيرة وهو رجل كريم سخي في فقره وغناه واخواله أبناء سليم صدفان وهم كثر بارك الله فيهم ولهم أولاد تخرجوا من الجامعات والدراسات العليا وقد نال بعضهم على درجة الماجستير وهم من طلابي ومنهم سعيد سالم، ومتعب وسعود ومحمد وغيرهم. ونوم الرعاة كثير لاسيما قبيل الغروب عندما يطل الراعي على النزل فإنه يطمئن ويضطجع فينام وقد رأيت الحادث عندما أقدمت إحدى الرعايا بلا راعية فهب الناس بالبحث عنها فوجدوها وقد غلبها النوم وأحضروها والأم تقوم باشعال البخور والدعاء حتى تطرد عنها المس والواقع إنه النوم لا غير.

مناسبة الأطعمة

كان الناس في عوز يعانون قلة ذات اليد، وكان الفرد لا يملك أكثر من مائة كيلا من الحبوب، ادخارا طوال السنة، وكانت أغنامهم لا تتجاوز المائة، وكانت البيوع مقايضة، وكان الاقتراض سائدا، حبوبا بحبوب وإقطا بإقط، وسمنا بسمن. وما زلت أتذكر عملية الاقتراض هذه وهم يفرشون تحت الأواني ويعطونها لبعضهم. وهم يمنحون الأغنام ذات الحليب للمعدم والفقير، ويمنحون الدابة للفقراء لجلب الحبوب من بعد أو للارتحال.

وكان الأكل قليلا، وأغلبه أكلتان في اليوم واحدة صباحا وأخرى مساءً مع شيء قليل نادر من التمور التي تجلب من وادي (الديسة) ومن تيماء ومن العلا، وأما أكل اللحوم فأكثر الأحيان يمر شهر أو شهران والناس لا يجدون له سبيلا. حتى إذا جاء ضيف فاغلب الأحيان ذبيحة واحدة يحاول من يذبحها أن تكفي الضيوف ورجال النزل وأولادهم ونساءهم، وهم يبرون المريض والنفساء والمعدمين، فيخصونهم بحصة أكثر ممن سواهم.

حب الأكل هو السمة الدائمة عند الناس فلا شبع إلا نادرا. وكنا نتلهف على لقمة من طعام الضيوف، أو فنجان شاي حتى (الكأس)كانت معدومة، كل أكل يؤكل لا يبق منه شيء، وهناك دعوات نسمعها ونحن أطفال عن احترام بقايا الأكل، بل إن الناس يحتاجونه ويلتقطونه. مررنا بزمن يمثل زمن أهل الجزيرة في الريف والبادية لم يكن الإنسان أي إنسان فيه إلا ويحتاج الأكل حتى ولو بعد الأكل بساعات، فلا شبع ولا تخمة إلا نادرا. ومن هنا حرص المجتمع على إيجاد مناسبات متعددة لبذل الطعام، وكان بذله من القيم الدينية والشيم العربية، وزراعة المكانة الاجتماعية وإرادة الخير.

كنا صغارا ننتظر رمضان بخيراته، ففي الإفطار فهو زمن الخير يأتون بالتمور يعلوها الزبد. وننتظر مساء يوم الجمعة في كل رمضان لما يقدم فيها من أطعمة فكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم يحاول أن يصنع طعاما فننتقل من بيت إلي بيت وغالبا ما يكون الجريش ،والرز ،وقل أن يكون مع لحم. إلا آخر جمعة من رمضان فهذه تسمى (الخوارة) تشبيها بالناقة الحلوب، لكثرة من يعمل ويذبح فيها. وقد انتقلت هذه العادات إلى يومنا هذا في مدينة تبوك فكل ليلة جمعة تمد الموائد عند الأقارب.

ثم يأتي العيد بابتهاجه والكل سعيد رجالا ونساء وشبابا وأطفالا فهناك الموائد، وهناك الحفلات نهارا، وتتمثل في إحضار المطايا مزينة بالحلل المزركشة من النسيج، وما أحلى اصطفافنا لها وهي تمر من أمام البيوت في كوكبة واحدة، والأناشيد تعلو والزغاريد النسائية تصدح من كل بيت تمر به الكوكبة وأصوات البنادق تدوي، وكدت أفقد روحي حين رمى الوالد أمام الكوكبة عند بيتنا ولم يعلم أنني أمامه فقد مرت الطلقة من جانبي لكن الله سلم.

عندهم الهَلَال أو الراية وهذه تقف بها جمع من النساء يخطفها صاحب المطية السابقة ويرفعها ويجول بها حتى يخطفها منه آخر

وكان الشباب والمراهقون والأطفال يعلون الركائب خلف الكبار، وتقف النساء أمام بيوتها رافعات الرايات تارة، وتارة رافعات اللبن للشرب، أو الأكل ليكون من نصيب السابق يخطف منه لقمة. وكل ذلك والزغاريد تعلو، وأحياناً تقف البنت فيشتد الحماس لبلوغها قبل الآخرين وفي إحدى المرات كان الشاب حامد علي وهو شاب مرح يكثر المزاح مر من عند من يحبها ويرغب زواجها، فلما اقترب منها أراد أن يقفز من المطية وهي مسرعة تفاخرا فإذا بطرف ثوبه يتعلق في غزال الشداد ويتدلى وقد أنحسر ثوبه ولم يتسرول والمطية تسير فكان مشهدا علق بأذهان الناس طويلا يعلقون عليه يقولون شاهداً عيانا بيانا وتزوجها.

والركب ينزل عند الأبيات التي تعد الطعام ويأكلون ثم ينتقلون إلى نزل آخر متباعد عنهم للمعايدة والتهنئة، ويقابلونهم بكوكبة من الركب، فتتكاثر الكوكبة لتجول أمام النزل، ويكون هذا شأنهم طوال اليوم، ينتقلون من نزل إلى نزل في ابتهاج من غناء وطرب ومرح.

ثم تأتي فترة يتحكم فيها دورة الزمان، فإن كانت صيفا تتكاثر فيها مناسبات الأفراح من ختان الأولاد الذي يستمر ثلاثة أيام، ويكون أكثر ابتهاجا وزينة، ففيه يُعد الطعام ويتوافد الناس إليهم فيجدون عصرا (السليق) وهو حب القمح المطبوخ جيدا ويضاف إليه شيئ من مسحوق القمح المقلي المطحون، ثم يضاف إليه السمن أو الزبد، ثم يكون في الليل الذبائح والأطعمة والمرق. وغالبا ما تشدو النساء في أي وقت، أما الرجال ففي المساء، ويتوافد الناس من كل صوب بلا دعوة، فهذا عرف إنما دعوته بالإعلان عنه عند موارد المياه وبين مضارب النزل.

أما الزواج فتارة يكون بشاة واحدة، وتارة بشياه معدودة وهي ليلة واحدة، وللعروس عشاء عند والدها قبل غروب الشمس، ثم تحمل في ابتهاج وهودج يقوده جمعٌ من النسوة يغنين وخلفه نسوة يغنين حتى يصلن أمام بيت المتزوج. وفي السنين الشديدة تختفي كثير من مظاهر الابتهاج.

ثم يأتي عيد الأضحى وتكثر فيه ذبائح الأضاحي، وأحيانا يكون عند النزل جزور، وينتقلون من بيت إلي بيت، كل ذلك في يوم واحد فإذا وصل ضيف من الغد فلابد له من ذبيحة إكراما له. وكثيرا ما تكون الذبائح نتيجة حلم من الأحلام لعجوز أو رجل يرى أحد أقاربه الموتى فيتصدق عنه.

والضيوف ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، فإذا كان النزل كبيرا وللضيف أقارب فإنهم يطعمونه في بيوتهم أو يطهون له ما يزوده إذا كان مواصل السفر، وأحياناً يكون

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الضيف غريباً، وهذا يدخل في إطار ما هو متعارف عليه فإن قرى الأضياف متناوب بينهم لاسيما إذا اقتصر على الطعام بلا لحم. أما إذا كان الضيف ضيف لحم فهناك يحدث الخصام والجدل وله حقوق متعارف عليها وينصبون قاضيا للفصل بينهم.

ومن المناسبات الربيعية ما يسمى (بالجليجل) وهو أن يجتمع الشباب فيطلبون من أهاليهم الدقيق، والزبد واللبن ويجمعون ذلك فتيانا وفتيات ويصنعون أطعمتهم ويلعبون على مشهد من كبار السن ويأتي للبيوت نصيبٌ منه ومن النادر في القديم. وفي الشتاء تكون مناسبة (أم الغيث) يصنعون هيكلا من الألبسة لامرأة ويذبحون حولها الذبائح ويغنون ويأكلون، وينشدون يا أم الغيث غيثينا، ولأن الأكل يستفيد منه جياع كثيرون من الأطفال والنساء فإن استجاب الله لهم فهو رحمة وغالباً تعمل في منازل النجوم التي يعرفون منها تغير الأحوال الجوية لهم وهذا منكر وشرك غفر الله لهم وكتب الأستاذ عبدا لرحمن العنزي روايته (أم الغيث وسرد فيها حكايات كثيرة عن معيشة القبائل ، ومن الأكلات الكبرى في آخر الصيف قدوم القوافل التي تحمل الأطعمة من الشام ففيها الإكرام لهم من الذبائح وفيها صناعة الطعام صدقة ولابد منه وكذلك الذين يجلبون لابد من إطعام النزل منه حين قدومهم.

ومن الأكلات الدارجة الفدو وهو في رجب وشهر قصير وهو شهر شعبان يذبحون فيهما لإطعام الناس، ومن مواسم الإطعام بناء بيوت الشعر أو زيادتها أو العودة إلى بنائها أو النزول على مياههم المستقرة كل ذلك لابد من الصدقة فيه وهم يقولون (عشاء الموتى) ويريدون الصدقة فالله يقبل منهم لأن بذل الطعام الغالي المجلوب من بعد قليلا ونادرا فبذل ذلك ليس بالسهل، إنه الكرم مع الحاجة الماسة إليه.

ومن المواسم قص شعر الماعز والضأن ويسمونه ((الجز)) فهذا موسم في آخر أيام الربيع وهو مرح فهم يمزحون أثناء قص الشعر يربطون الشاة من الأمام والخلف

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

ويتقابل عليها اثنان كل واحد يقص الجانب الذي يليه وهم يمزحون وصاحبة البيت تعد لهم أطيب الألبان، وفي المساء تذبح شاة وأحياناً تكتفي بصنع الطعام.

ومن المواسم حفر الآبار وتسمى (العونة) فإنه يدعو إلى حفر بئر وطيه بالصخور فيجتمعون حوله ويعد صاحب البئر لهم الذبيحة والطعام.

ومن المواسم أن ينزل النزل على نزل آخر فيتبادلون صناعة الطعام، فعند الأول يسمي (القرى) وعند الآخرين يسمي (رد القرى) ومنها ما يسمي بالهباطة وهي الذبيحة بعد دفن الميت.

والكلب له دوره في حياة البادية وكنت أخشى الكلاب كثيرا، حتى أني أمتنع من الزيارة خشية منها، والكلاب لها وظائف متعددة، فالكلب الحارس للأغنام يتبع الراعية أو الراعي، وكلب يكون حول أبيات النزل وتجتمع كلاب النزل لحراسة البهائم. ومنها كلب الصيد، وهو من أهم الوسائل عندهم ويصحب صاحبه دائما، وهم يقلدون الكلاب فينبح الرجل لتجاوبه الكلاب فيستدل بها إذا تاه عن الطريق أو إذا أراد الاستدلال على معشوقته. واستنباح الكلاب عادة قديمة:

ومستنبحٍ يستكشط الريح ثوبَهُ ... ليسقُطَ عنه وهو بالثوب مُعْصِمُ

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلب أو ليفزعَ نُوَمُ

فجاوبه مستسمع الصوت للقِرى ... له مع إتيان المحبين مَطْعَمُ[1]

---

(1) السيد محمود شكري البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص٣٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأشربة:

أكثر ما يشربون أو يقدمون يكون اللبن، وله ألوان متعددة أفضله لبن الإبل، وهو يكفي عن تقديم الغذاء في الليالي الشديدة الشحيحة الغذاء أو إذا تعذر الغذاء البتة، ومن ألوانه ألبان الأغنام، وهو منوع فأحسنه وأفضله اللبن المخضوض ثم يخلط بالحليب. ومنه اللبن المخضوض جديد الخض وكل ما تجاوز يومه تزيد حموضته، وتخفف بشيء من الماء، وفي أيام العوز وقلة ذات اليد يخلط اللبن بالماء حتى يكفي الحاضرين والبخلاء يكثرون الماء على اللبن وهذا مذموم وقد قدح فيه الجاهلي الأول حين قال: ((حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط)). والمذق هو اللبن القليل المسكوب عليه الماء الكثير ويكون لونه يميل إلى اللون الأشهب وهو لون الذئب وعندنا يقولون لها جاء (شهيبة).

وهم يجمعون اللبن بعد استخراج الزبد منه ويغلونه كثيرا حتى يكون أشبه باللبنة فيخرج منه الماء ويتكاثف اللبن ثم تقطعه المرأة فيكون أقطا يبقى سنينا وهو صالح للاستعمال. ويكون منه الأشربة، فهم يمرسونه فتسمى المريسة التي يشربونها تارة، وتارة يمزجونها بعصير التمر، وقد يحلونها بالسكر، ويضعون على اللبن عند طبخه شجرة يسمونها (الرغل) ويكون هذا النوع من الإقط خاصا بالأكل والرغل يؤكل بعد طبخه مع اللبن فهو لذيذ الطعم ومن أنواع الأشربة. المرق مع التمر ويسمى البعيلة، والمرق هو ناتج طبخ اللحم بالماء واللبن. وهو يسكب على الأرز والأخباز وتقدم للضيوف ويسمى الآن (بالمنسف)، وما أجمله وألذه إذا كانت الأغنام صغيرة، وأحيانا يكون الشراب عصير تمر، وهم يجففون البندورة (الطماطم) ثم يجعلونها أدما. فلما استقر بنا المقام في مدينة تبوك كانت هذه الأشربة مطلبا ولكن الألبان قليلة فجاءت الأشربة الأخرى في رمضان وأقدمها (قمر الدين) وهو فاكهة المشمش والخوخ مجففة فيسكب

عليها الماء، ثم جاءت العصائر الأخرى البرتقال، والتوت، ثم جاء البيبسي والميرندا ثم تعددت الأنواع ورغم انتشار الخمر في بادية الجزيرة قبل الإسلام فإنه معدوم تماما في البادية المعاصرة.

المراكب:

وهي ما يعد للركوب أو حمل الأثقال فوق الإبل والخيل والحمير، وسأصف منها ما أعرفه وتعاملت معه أو رأيت من يتعامل معه:

١. الوثر: وهو نوع من نسيج الشعر أو الصوف أو الوبر يخاط ثم يحشو بأنواع من الشجر اللين أو ببعض الملابس ويكون على طول ظهر البعير ويكون في مقدمته أخشاب قوية وتكون في مقدمة الوثر وهذا يكون لحمل الأثقال على الإبل ويسمى (الكتب).

٢. الحوية: وهي كساء أو من نسيج الصوف أو الوبر يدار حول سنام البعير وغالبا ما يكون لاعتساف الإبل الصغيرة وتدريبها من أجل سهولة إناختها والركوب عليها. والحوية تستخدم فوق الوثر إذا أعد البعير لركوب النساء والأطفال.

* البردعة: وهي ما توضع على الحمار لتحمي ظهره من الأحمال.

٣. الشداد: وهو للمطايا لركوب الفرد ورديفه من الرجال أو الأطفال وقد توضع خلفه حوية وتركب عليها النساء وهو نادر. وتتنوع صناعته وجمال غزلانه وتبادل أضلاعه، وربطها بعصب الإبل فهو أقوى من الحبال. وربما ربط بسير من الجلود وأكثر ما تكون جلود الإبل ويكون رحل الشداد على أكياس من النسيج محشو بنوع من الشجر اللين.

٤. معالم الزينة للمطايا:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أ- العنان، والمقود، والرسن: وهي أسماء لما يوضع في رأس البعير وتحت فكه ويتواصل مع حبل يمتد إلى الراكب وهذه تأنقوا في صناعتها فلها أهداب والحبل ملون وله كتل، وقد يسمى الحبل شكيمة وهو للعسف ولها جانبان متوازيان كل واحد منهما من جانب الرقبة ذات اليمين وذات اليسار.

- وأشهر معالم التجميل على المطايا، الخرج المزخرف بنسيجه والذي يتدلى منه أطراف منسوجة بألوان مختلفة ويحتوي على حقيبة من كل جانب لحمل المؤونة والملابس.
- ومنها الدويرع وهو جلد مصنوع مقسم تقسيما معتدلا لحمل يوضع على رقبة المطية يظهر على أكتافها.
- ومنها الغرضة وهي مزخرفة من النسيج ولكنها طويلة توضع في غزال الشداد الأخير.
- ومنها الحبال التي تربط الشداد من مقدمة الزور ويسمى (البطان).
- وتجمل مراكب النساء بالهوادج التي تعلو الإبل يوضع فوق الوثر، والسرج وهو رحل الفرس وهو شائع.
- العدول: هي حاويات الأطعمة والأمتعة، وتكون من النسيج من الشعر والوبر والصوف وهي ملونة باللون الأبيض والأسود، وفيها ما يسمى بالعروة وهي خيوط مبرومة قوية تُربط على حجر من أطراف العدل ليكون وسيلة للحمل وبه تشبك العدول على ظهر البعير وتسمى الأعواد التي يشبك بها الأشظة، وأحدها: الشظاظ.
- القربة: وهي قرب الماء وتكون بدرة وهي من جلد الجداء الصغيرة وتسمى قربة إذا كانت من جلود الماعز أو الضأن، وتسمى شنة إذا تقادمت القربة ويبس ظاهرها.

الجديد والطريف NEW & EXCLUSIVE

- المزاود: وهي قرب السمن وتسمى المدهنة، وهناك المزبد وهو من جلد الجداء توضع فيه الزبدة، وأحيانا تعد المرأة كرش الشاة لتجمع فيه الزبدة فإذا انتهى زمن الزبدة كانت أكلة دسمة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من العادات:

وكنا نستمع منهم لكثير من الحكايات التي مازالت متداولة ومنها ما هو غارس في القدم منذ العصر الجاهلي، فمن عاداتهم أن دخان النار يتجه إلى الجميل من النساء أو الرجال، ومن عاداتهم أنه إذا خدرت رجل الرجل أو المرأة يستذكر كل منهم عشيقه فيذهب الخدر:

وأنت لعيني قرة حين نلتقي ... وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي

وكان الأب يراقب أسنان أولاده وقت سقوطها فيخلعها عند الاهتزاز خشية اضطرابها عند طلوعها مرة أخرى، وكان الوالد يخلع سني ويعطيني إياها ويأمر بأن أقذفها في اتجاه الشمس وأقول: خذي سن حمار وأعطيني سن غزال وهي عادة متوارثة من الجاهلية:

شادن يحلو إذا ما ابتسمت ... عن أقاح كأقاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته ... برد أبيض مصقول الأثر

ومن عاداتهم أنهم يكتشفون العفيف بأنه إذا أعسرت المرأة أو الشاة أو الناقة أو الفرس فإنه يتخطاها وثبا فتلد وهذه مازالت حتى عهد قريب، رواها الوالد عن صديقه ((نزال الضيوفي)) وله أولاد كثيرة وبارك الله في ماله.

ومن العادات عندهم غطاء الإناء ليلا أو كفره على الأرض حتى الماء لا يجعلونه بلا غطاء وهذه عادة أيدها الإسلام.

ومن الأوهام التي سمعتها منهم أن الجن يتشكل للإنسان على شكل حمار بأرجل إنسان وربما تكون إنسان الغابة ويسمونها (السلعوة) أو (السلعوية)، ومنهم يتشكل له على شكل ثغاء شاة وهم يرون في جبل اللوز الوجوه الخضر وهم أشبه بالبشر عن بعد ولكن إذا أقترب منهم الإنسان يختفون. وقد سمعت من أحد الأقارب أنه ضاعت له شاة، أسمها (مجرش) وقد ذكر أحد رعاة الإبل من النزل أنه سمع ثغاء شاة في جانب تلعة فانكر عليه عدم احضارها وذهبا إلى المكان فكان ثغاء الشاة ينتقل من جانب جبل إلى جانب آخر وهو ينادي (مجرش مجرش) وهكذا كلما وصلوا مكان الثغاء ينتقل إلى مكان آخر وفي آخر مرة وصلوا إلى المكان واخذوا يسمعون الثغاء ولا يرون الشاة وقد تسمرت شعورهم وأخذتهم رجفة في أجسامهم فولوا هاربين ووصلوا مطيتهم بركابها وركباها ففزعت الناقة وولت هاربة بهما والشاة تواصل الثغاء خلفهم حتى أقتربوا من النزل، وهذا كثير وقد عالج الإسلام ذلك بأنه إذا تغولت الغيلان فبادروا بالآذان، وهم يعتقدون أن قتل الجن بضربة واحدة فإذا كررها فإن الجن يحيا ويقتل ضاربه وهي مازالت في حكايات الجدات والترائي لأشياء وهمية كثيرة وقد وصفها أحد الشعراء في الجاهلية:

أُقسمُ باللهِ لقد دبَ الشَجَرْ   أو حمير قد أخذتْ شيئاً تجر[١]

---

(١) السيد محمود شكري البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص٣٤٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن عاداتهم أنهم يعقرون الإبل أو الأغنام على القبور أو على الشجر لأجل التبرك أو العلاج أو طلبا للإنجاب، ويهدون للشجر أو الحجر بعض ما يحملون وهذا يكون على قبور بعض الأولياء في طريق الحاج، وهذا شأن أهل الجزيرة عامة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ومن عاداتهم أنهم لا يأتون النساء أو يمتنعون عن حلق شعرهم من الوجه والرأس حتى يأخذ الثأر أو يحرم عليه أهله فيمتنع من الاقتراب منهم أو يربط على يده شيئا حتى يأخذ الثأر.

ومن عاداتهم أنهم يذبحون الأغنام بعد دفن الميت ويسمونها (هباطه) أي أن الميت لا يهبط في قبره حتى يأكلون ذبيحة بعد موته وهذه ليست من الإسلام في شيء.

وربما إن الأمر تحول إلى هذه العادة بعد طول الزمن وقلة التعليم فإن الأمم السابقة من العرب وغيرهم يجتمعون لتقسيم التركة وكذلك يجتمع مع الورثة الأقرباء والفقراء وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك " وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فأرزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا " النساء أية ٧

وقد روي إن عبدا لله بن عروة بن الزبير جمع الورثة والأقرباء وذبح شاة عند توزيع ارث والده انظر تفسير ابن كثير ٢:٢٤٤

ومن عاداتهم في الخصام (البيضاء) و(السوداء) فإذا تخاصم اثنان ورفض أحدهما أن ينقاد لخصمه إلى قضاة العرب فإن المظلوم يعلن أنه سيرفع السوداء لفلان في الموقع الفلاني حتى يأتي ويعطي الحق. وهي صفة موجعة ومخزية يتجنبها العرب بكل ما أوتوا. أما إذا فعل أحدهم معروفاً كبيراً في شخص كأن أنقذه من هلاك محقق أو عمل فيه

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

معروفاً غير عادي فإنه يرفع له الراية البيضاء سواء على تل عالٍ أو على مقدم بيت الشعر ويقول (هذه بيضاء فلان بيض الله وجهه).

ومن عاداتهم النحلة فإنهم يربطون قطعة السر حين الولادة بإحدى الإبل فتسمى النحلة وهي تخص هذا الطفل. ومنها أنهم يربطون كراع ذبيحة المولود في البيت فتبقى زمنا حتى تسقط لوحدها.

ومنطقة تبوك توارثت أمماً سابقة من العاديين والثموديين من قوم صالح وحكاية الناقة والديانات السماوية والشام قريب منها والتواصل مستمر مع أحاديث داود مع الطير والوحوش ومع حكاية سليمان عن الجن ومع مدين وشعيب وموسى حين يرعى الأغنام في مدينة مدين وكذلك معجزات عيسى ابن مريم ولأن القبائل تفد إلى الشام فقد سرت بعض الحكايات تلك العوالق الاجتماعية ولم يظهر منها إلا مايشبه الأساطير التي تحكيها العجائز على الأطفال وقد اختلطت مع القصص العربية كقصة تغريبة بني هلال وسالم الزير وسيف بن ذي يزن وتنقلها العجائز بصورة قصصية وأخرى أشبه ماتكون بأقوال الكهنة وقد قرأت في المرحلة الابتدائية قصة سالم الزير وعنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن وتغريبة بني هلال واذكر إن صديقنا عطا الله سالم العسوفي يحفظ كثير من حكايات تغريبة بني هلال وهي تشير إلى آبار وأماكن مازالت موجود في الشمال.

وكذلك القصص الإسلامي ترى له ملامح كثيرة في قصص البادية وهم يذكرون بطولات عدد من الصحابة وأمثالهم وحكمهم بل سمعت من عمي يقول: الدين هالك لولا مالك وسمعت من الجدات قصصا في الغزل العفيف وجدت أمثالها أو بذورها في قصص الغزليين العذريين كعروة بن حزام وعبدا لله بن عجلان وجميل معمر إن الموروث الشعبي عند قبائل الشمال يمثل التراكم الحضاري والاجتماعي الواقع أنهم يتوارثون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحكاية من أجل الإثارة والجذب لأنها تزخر بكثير من قيم الموروث الشعبي ويسخرون من المخالفات الشرعية فيها كمثل أقوال مسيلمة الكذاب ومنها حكاية الجن أبو ثلاثة رؤوس فإنه يقتل بضربة واحدة فإذا عاد عليه القاتل بضربة أخرى فإنه يحيا وقد تحدث عنها تأبط شرا في إحدى قصائده وكذلك الحديث عن الضبع والذئب والطيور فان القارئ لكتاب الحياة العربية من خلال الشعر الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي يجد فيضاً لكثير من الحكايات عند الجدات وبعض القاصين وحكايات الدراويش الصوفية فإنهم يعبرون ديار القبيلة ويرون منهم تصرفات غرائبية ويحكون أن الضبع يأتي إليهم ويرش عليهم من بوله فيتبعونه بلا وعي وهذه حكايات للتخويف والحذر ومنها أقوال كهان يعرفها القليل من الذين يغرمون بالقصص والغرائب ويقولونها من باب التندر والسخرية والطرائف.

وهناك أقوال دعائية جيدة من القبيلة لا تخالف الشرع وهي جميلة الصياغة والتركيب امتدادا لأقوال الأعراب القديمة التي جمعت في مجلدات وكتب عنها الدكتور عبدا لله الرشيد رسالته عن الدكتوراه.

ومن أقوال المعاصرين عند التنافس على الضيوف قولهم:

"الرحيم الذي لم يمالحني في شهرها ولا دهرها " أي أن الضيف من صلة الرحم ولم يذق طعامه حولاً والملح الرضاعة والملاح المراضعة والممالحة المواكلة وشرب اللبن من الإبل أو الأغنام معاً وهذا جزء من المواثيق فلا غدر بعدها ومنها أقوال الكهنة وهم يقرون الضيف بالذبائح إذا غاب حولاً كاملاً وهم يعيبون على من يترك المجاور يكرر إكرام الضيف خاصة بالذبائح فيقولون ما يحط الدم على الدم إلا عند رجال الهم

ويقولون في التنازع: الضيوف المحيلين البعيد مشحاهم ، والمحلولي قراهم

ومشحاهم أي مسفارهم وهي فصيحة فالشحو تباعد الخطوة وفي الحديث والله لتشحون فيهم شحوا لا يدركك الرجل السريع.

وأما المرأة فهي تحافظ على قرى الأضياف في غياب زوجها وتقول الله يحييكم باسم زوجي اللي إن غاب وصى وإذا حضر تقصّى

وهم يقولون معتذرين "إن قلتم شيئاً ما قلنا شيئاً " أي إن ذممت لم نعارض ذمكم.

وهم يخشون من الاقتراب من المقابر ليلا لاعتقادهم أنهم يظهرون ويتحادثون ويلعبون وكلها أوهام.

ومن عاداتهم أنهم لا ينادون المسافر إذا أدبر من عندهم وإذا اضطروا لذلك فإنهم يسبقون نداءهم بقولهم (الله لا يندهك يا فلان)..... ثم يقولون له ما يريدون.

وربما يعود إلى ما كان يعرفه الجاهليون بأنه إذا عاد الواحد منه قبل نهاية الحج أو نهاية مهمة السفر فإنه يقفز من الأسوار أو السطوح وقد نهى الله عنها فقال:(وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من أتقى) البقرة ١٨٩

ومن عاداتهم أيضا أن العين إذا طرفت فإن هناك شرا آت، وكذلك إذا حدث في الأذن صوت فإن شرا آت. وهم لا يقولون إن فلانا لدغته حية بل دقته شوكة وفلان سليم على لغة العرب الأوائل منهم يقولون لمن لدغته حية (سليم)، وللأعور صحيح العين.

وهم يتعالجون بالحيات، فيغلونها بالماء أو الزيت ويجعلونها على الأكل وقد رأيت الوالد وهو يضعها في الزيت الحار حتى ذابت فأخذ يضعها على الإفطار وربما أنها كانت سببا لشفائه من السلّ وقد ذكر ذلك الأطباء الأغريق فشرب الملدوغ من ماء والماء يقتل المسموم ولكنه شفاه الله فبحثوا في الماء فوجدوا فيه حيتين ميتتين، والبادية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عندهم أطباء لهم القدرة على جبر الكسور بشكل مذهل حتى مال الناس إليهم وفضلوهم على الأطباء في المشافي، وهم يتعالجون بالأعشاب والأشجار ويصنفون الأشجار التي تعالج المعدة، والتي تعالج الأسقام الأخرى، وهم يعالجون بالحمية كثيرا.

ومن أهم موارد الصحة عندهم المشي كثيرا، وصعود الجبال ونزولها وأيضا قلة الأكل المعتدلة، وفقدان الأكل الدسم كثيرا وقد رووا لي إن جدعان العسوفي كان في نزل كبير والأيام شتاء والبرد غارس، والناس في عوز، وليس هناك سمن ولا لحم بل إن الطعام قليل وإذا بالرجل يقول هاتوا الخنجر (الشبرية) وتداعو إليه وإذا بحية ضخمة قد لدغت الناقة الضخمة وإذا بها تشارف على النفوق فأخذوا السكين ونحروها فخاف الناس من أكل لحمها ولكن جدعان وهو كبير القوم أمرهم بسلخها وتقطيعها وتركها فاعطى جزء منها كلبا وانتظر حتى الصباح فإذا الكلب حيا لم يتأثر، ثم أخذ جزء منها وطبخه وأكله لوحده وظل حتى المساء ولم يتأثر فأخذها الناس ووزعوا لحمها وكانت مغنما كبيراً للنزل في هذه الليالي القاسية. وقد كان جدعان رجلا كريما له مكانته في القبيلة وقد شهدت وفاته فاهتز النزل كله ألما وحزنا حتى أن ابنه مطلق أخذ السكين لينتحر ورأيت خالي عودة سلمان يهز العصا أمام إحدى بنات جدعان لأنه خشي عليها من الانتحار أو التيه في الأرض وتلك حالات قليلة لكنهم يأخذون حذرهم.

وبالمناسبة أنهم يحمسون سنام الإبل وشحومها ثم يجعلوها في مزاود (مداهن) ويسمى الودك وأخبرني علي بن جدعان بأنه عمل مزاود من ناقة وكذلك إذا ذبحوا أحد الإبل في أيام الرخاء أو في أحد الأعياد ويضعون المزاود في (مصن) وهو مخزن لا تأتيه الشمس ويحفظ الحبوب والسمن والأقط لأكثر من عام، ويقول علي بن جدعان أنه أستخرج مزوادة حين أشتد على الناس الزمن ومرض أكثرهم هزلا فاستخرجها من مخزنها وكانت علاجا للناس.

وقد كانوا يقومون بالتجارب في الحالات الميئوس منها مثل معالجة الأمراض المجهولة وقد سمعت أن أحدهم كان له طفل تمادى به المرض حتى شارف على الهلاك فجلس معه بعد أن تفرقت الأسرة على أعمالها اليومية فمن يرعى البهم ومنهم من يرعى الأغنام وآخر للإبل وآخر لإحضار الماء فبقى عنده الأب فأخذ ورقة من شجر الرتم وهو الأشد مرارة فطبخه وأعطى طفله منه شيئا قليلاً وإذا به يتحرك وقد ذهل منه أمه وأخوانه ثم أعطاه أبوه شيئا آخر في اليوم التالي حتى شفاه الله، وكذلك تمّ تجارب ناجحة على الأمراض المستعصية في هذا الزمن، وهذه التجارب تجد لها نظيرا في الكتب الطبية الفلسفية فالتجارب هي مصدر من مصادر المعرفة والعلم، ولو تمّ رصد التجارب عند الشعوب البدائية لكان هناك علم وفير للطب وغيره.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة
www.alukah.net

رحلة الهجرة

كانت الأم متزوجة من أحد الأقارب وكان شهما ثريا لكنه عقيم وبقيت معه ردحا من الزمن ولما أقدم زوجها على الزواج من عمتي الجميلة الأنيقة المحبوبة، فإن الوالدة طلبت منه أن يفترق عنها نظرا لوجود امرأة تخدمه، فاستجاب لها وكانت من قبل قد حلمت أنها تحمل خنجرين وسيف، وطلب زوجها الأول أن تعطيه منها، ولكنها أبت في الحلم. وكان عمرها متقدما يقارب الأربعين أو أكثر ورأسها أبيض شيبا فلم يتقدم لها أحد، وكان عدد النساء قليلا والشباب الذين لم يتزوجوا كثيرا جدا، فرأى والدي أن يحث أخاه الأكبر للزواج، فقال أتريد أن أتزوج عجوزا، فقال الوالد الذي تجاوز السابعة والعشرين من عمره أنا أريدها كي تخدم والدتنا وتساعدنا، وعرض الأمر على أخوانها، فقال أحدهم لو لم تخطبها لخطبتك لها.

ولم يلبث أن أتى بالمطوع فايز المبعوث من الحكومة السعودية لتعليم البادية الأسس الدينية، ويقوم بعقد النكاح والإمامة بهم، وكان رجلا محبوبا تزوج من العشيرة. وأضحى واحدا منهم حتى مات ساجدا، ومع أنه وفد من الخرج لكنه قلما أن يعود إليها، وعقد الزواج عصرا وذبح الوالد شاة واحدة فكانت هي حفل الزواج. وأخذت الأسرة تبني ذاتها، فلم تكن هناك أغنام ولا إبل، ولا أسرة من الأب والأم تساعد في بناء البيت الجديد الذي يحتاج إلي شقة من الشعر، فالشقة تصنع من شعر الماعز، وتكون طويلة وتخاط مع غيرها على امتداد الطول، ويكون عرض البيت مكوناً من ست شقق لكن الأسرة الحديثة تكتفي بشقة واحدة تُثنى ثم على الزوجة أن تجمع الشعر والصوف والوبر، لتغزلها وتنسجها فتصنع الشقة ليكبر بيتها، وتنسج الرواق وهو الساتر للبيت من الخلف، وتنسج (المعند) وهو الساتر بين قسم الرجال وقسم النساء وهذا يحتاج إلي أناقة وتعدد الألوان.

وكذلك تنسج ما يستر البيت من الأمام للظلال، وللتدفئة الشتوية ومعروف قلة المواد الأولية الشعر والصوف والوبر وكذلك العمل متطور ومرهق فالعملية تحتاج أكثر من عشر سنوات حتى يكتمل البناء. ويذكر الوالد أنه أخذ يستعين بأخته وبعض الأقارب ويشتري الوبر والصوف والشعر، وكذلك يأتي بعض الدعم من قبل أسرة الوالدة، فأخذت الوالدة تغزل، وتطحن، وترعى، وتحطب، وتسقي الأغنام، وكلا الاثنين الوالدين قد قُتل أبويهما في معركة الشعثاء عام ١٣٤٤هـ من فرقة تمردت على القيادة في تبوك وحائل بل على الملك عبد العزيز، وانطلقت تقاتل كل من تراه متجهاً إلى الأردن فقابلت القوافل الصيفية العائدة وقتلت العشرات من كل عشيرة من بني عطية، ثم لقيت الفرقة مصيرها حين ضربها الطيران البريطاني. شمال معان وقريبا من الكرك.

وكان التكافل الاجتماعي، فالمرأة أم الأيتام تتزوج في بيتها، يأتيها الرجل لطلب الأولاد وستر الحال للمرأة وهذا متعارف عليه، وقد أنجبت والدة أمي خالي منيزل وفيه ربط فخذين من العشيرة. وربت جدتي لأمي أخوالي أفضل تربية مع زوجها، وكانت قوية صلبة، وهي أخت لجدعان العسوفي الرجل الكريم المعروف بكرمه، وكانت تبوك فوق تل فيه عين تبوك (السكر) والحامية التركية في قلاعهم قبل العهد السعودي وليس لهم تواصلا مع الآخرين وكثير من النساء تفقد زوجها بسبب من القتل ونهب الأموال، ومن الحوادث التي سمعناها وأدركنا أصحابها أن امرأة لم يبق لها شيئ من متاع الدينا إلا طفلين سالم وسليم، وجاءت إلى الحامية التركية وقالت إنها تحطب لهم فشرطوا أن كل مرة تنزل فيها حطبا كبيرا يدفعون لها رغيفا فأخذت تحطب فلما جاءت بحملتها الأولى دفعوا لها الرغيف الأول فشطرته بين طفليها اللذين يصحبانها ثم جاء بحملتها الثانية فاعطوها رغيفا فشطرته بين طفليها. ثم جاءت بحملتها الثالثة فقسمته إلى قسمين أعطت ربع رغيف لكل ولد وأكلت النصف الآخر. وهكذا أستمرت على هذه الحال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان قبيل العهد السعودي وفي سنيه الأول لا يجد عابر السبيل ما يتزود به ولو بالثمن الغالي، وكان هناك شعيب فيه طلحات يستظل بها تجار العقيلات ويبعيون فيها وتسمي طلحات العقيلات.

لم يمض سنة كاملة على زواجهما حتى أطل عليهما الأخ (محمد) فكانت الفرحة الكبرى للأم ثم للأب وبعد سنتين أطل الابن الثاني الأخ رشيد وبعد عامين آخرين جاء (مسعد)، ثم انقطعت الولادة. أدرك الطفل معالم أمه وقد حفرت الأيام معالمها على وجهها ويديها، بل وصحتها، فقد تجاوزت الخامسة والأربعين أو أكثر، لكن تواصل التعب والكدح يعجل بمعالم الشيخوخة، فإذا بهذه الأم كبيرة السن تحاك حولها حكاية يشرق لها وجه الطفل فخرا واعتزازا، فهي ذات حياء في سلوكياتها ولبسها وقد رزقها الله الكلمة الطيبة، وكان النساء لا يعرفن غطاء الوجه ولكنهن يلتزمن باللثام وهو تغطية ما تحت الأنف. وقد داعبني بعض المعاصرين فقال حاولت أمساك شاة مع أمك كي أرى وجهها. وأترك للشاة أن تتغلب حتى تنشغل بها كي أرى كامل وجهها ولكنه لم يستطع. وقد شهدت خالتها بعد أن تجاوزت التسعين فلم أر كامل وجهها. والنساء يذكرن التزامها بالصلاة والالتزام بالوضوء حتى أنها تقتسم الماء مع من يصحبها إذا كان قليلا فهي تتوضأ به وتعاني الظمأ وهن يشربن ماءهن وغيرها كثير، ومثل هذه الحالة متعددة وعملت بها زوجة خالي أم فريج.

في هذه المرحلة أستتب الأمن بفضل الله ثم قوة الدولة السعودية، واستقر الناس في تبوك، وتوافد إليها عدد من الفقراء يعملون وأما الفقيرات فقد تزوجن من الحاضرة، وتلاحم الحاضرة مع البادية، وأخذت تبوك تنمو نموا ضئيلا ثم أزداد النمو مع وصول أول فرقة للجيش النظامي عام ١٣٦٧هـ، وفتحت فيها المدارس، وأصبحت سوقا لجلب المواد الغذائية وبيعها، وكان الوالد يفد عليها ويلتقي بصاحبه التاجر (هويمل

الفاير) رحمه الله، وكذلك بابن العم القريب سليمان فرج الأميلس، وكذلك بالشيخ المطوع سويلم بن حامد الرضمة ويحكى لي أن كل من هؤلاء يحثه على الهجرة إلى البلد لتعليم أولاده، وهذا أمر غريب جلل في البادية فمن العيب ومن الخطأ أن تترك البادية وتبيع حلالك (مواشيك) وتقطن، بل وتبيع أولادك على الدولة. بل وتسكن مكانا دائما، فاستعان الوالد بالله العظيم واستجاب للاستشارة الخيرة وعزم على الأمر وذاع الخبر في الحرة كلها وبين عشائرها. عيد أبو طربوش يريد أن يبيع أولاده يا خسارتهم عليه، وتوافد إليه العذال، واستعانوا بالوالدة لكن الله سخرها وهي امرأة صالحة طيعة لزوجها لم اسمع امرأة تقول لزوجها حين النداء (عونك) إلا هي. وإن كانت الكلمة متداولة في زمنها، وهي تماثل كلمة (لبيك) في الجنوب. وليت هذه الألفاظ الجميلة ذات الدلالة الشعورية تعود لنسائنا الحضريات المتعلمات.

وأتذكر من معالم تلك الرحلة وكنت في سن السادسة أو أقل أننا نسير مع الإبل التي تحمل بيت الشعر ومع الأغنام ونبيت ليلا ونسير نهارا وقد سرى الظعن قبيل الفجر فمررنا برجل نائم بين الشجر الكثيف من الرمث. فهالني كيف ينام لوحده وإذا بي أعرفه وهو عواد سالم العودات ما زال حيا، وهو خارج من تبوك وهكذا هم يحملون بعض الحاجات الضرورية على أكتافهم سيرا على الأقدام.

ويحكي الوالد أننا في الصباح وعلى القهوة جاء راكب مطية وأناخ دابته ونزل عنها وسلم على الوالد وكان صديقا له فقال عسى الأمر لم يكن صحيحا أن تبيع أولادك للدولة قال أريد أن أعلمهم، فقال الضيف والله لا أذوق قهوتك حتى تعود بهم من هنا وكنا على مشارف تبوك فقال له الوالد والله لن أعود بهم ولو لم تشرب فنجانك فترك القهوة وركب على مطيته. وهذه العادة موجودة منذ عهد الجاهلية وقد استخدمها

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرسول ﷺ حين امتنع عن الأكل من مائدة أحد رجل قريش إلا بعد أن يسلم فأسلم ولكن أبا جهل صديقه ثناه عن الإسلام.

وفي الصباح رأيت معالم تبوك من وادي العجيجات فرأيت الدوحة الكبرى وهي شجرة كبيرة من شجر (الكينة) على تل مطلة على السهول الممتدة وبجانبها السكر عين تبوك التي حفرها رسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة تبوك وبعد أن قرأت التاريخ ذكرتني بشجرة الأيكة لأصحاب الأيكة الذي يرى بعض المفسرين أنها في تبوك.

نزلنا بساحة مسورة بالطوب من الطين، وكان الوالد عقد العزم على أن يترك الأخ الأكبر محمدا يرعى الإبل في البادية عند الأعمام. ولكن هداه الله وسمع لنصح الوالدة وقدر ألم الأم على فراق أبنها الأكبر وهو مازال طفلا لم يتجاوز الثانية عشرة، فقرر أن يدخلنا المدرسة ثلاثتنا، وفعلا ذهب بنا إلي دار الأيتام التي أسسها الملك عبد العزيز في مدن المملكة لتستقبل الأيتام الحقيقيين الذين فقدوا الأب والأم ومن أمثالهم من الفقراء، وكان مديرها صالح السليم من القصيم رجلا فاضلا مدركا للأوضاع، فقال أنت أبوهم لا نغير أسماءهم ونقول إنه ولي أمرهم. وأخبره برغبة والدتنا أن نبيت عندها فرضي أن نذهب عند الغروب، وهكذا استمرت الحياة، لكن معاناة الوالد أكثر، فلم يدخل الوظائف وكان همه أن يحصل على منزل لنا فاشترى أرضا في الخالدية بمبلغ ٩٥٠ريالا وهي تعادل ٩٥,٠٠٠ الآن، والخالدية قام بتخطيطها وتوزيعها خالد بن أحمد السديرى الذي تولى إمارة تبوك عام ١٣٦٩هـ، وقبل سنة سمع الوالد النداء لتوزيع الأرض مجانا ولكنه استعجل خوفا من جوع دابته ولم يلبث ثلاث سنوات حتى اشتراها بهذا المبلغ الكبير الذي باع إبله وغنمه من أجله.

وبدأ الوالد عملية البناء، فأخذ يصنع الطوب من الطين ويستعين بالضيوف من الشباب الذين يفدون للتسجيل في العسكرية ويدفع لهم أجرة ريالين، ثم أخذ يبني لنا

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

حجرات، وكانت الأم والأخ محمد يساعدونه بجلب المياه على حمار من بئر النملة القريب، وكنت أصحب الوالدة أحيانا. وقام البيت في أشهر معدودة، وكانت المرحلة مرحلة هجرة وجوع في البادية لفقد المواشي، فكان الأضياف يتكاثرون عند جماعتهم القاطنين في تبوك وأمثالنا كثير. والقاطنون قليل من أفراد العشائر وكان الأقرباء يثنون على سالم بن سعيد الرضمة فهو يستقبل أعداداً كبيرة من الاضياف.

ولذلك قل أن تكون البيوت خالية من الأضياف صباحا وظهرا ومساءً. وأقام الوالد متجرا صغيرا فكان الأقرباء يستدينون منه، مما جعل التجارة تذهب دينا بعيد الأجل صعب السداد، فتقوضت تلك التجارة الضئيلة، ومع ذلك واصل الوالد رحلة التجارة فأخذ يشتري الأغنام ويبيعها فورا بربح بسيط، وكان يذبح لنا صغار الأغنام في الشهر مرة ولكن ليس هناك ثلاجة بل إن الناس يتكاثرون فتذهب الذبيحة في يومين، وتارة نفتقد اللحم فيشتري لنا رأسا من الجزارين وذلك يوما مشهودا.

اشتدت حالة الفقر فالوالد لم يلتحق بوظيفة حكومية بل رفض عرضا بالإهداء كي يكتبه أحد الوسطاء. ودب المرض، وأشاروا عليه بإيجار البيت والانتقال إلي بيت الشعر في المضارب القريبة وفعلا انتقلنا وجاورنا عشيرة السبوت في (العزيزية الجديدة) وهي كانت واديا، ومكثنا هناك والوالدة أثقلها المرض وكان الأخ عيسى عتيق قدم لها عن طريق الجيش ليتم علاجها في الطائف وتقررت رحلتها يوم الأربعاء ولكن الله لطف بها وانتقلت إلى باريها صباح ذلك اليوم وكانت تحتضر وتطلب لقائي فأيقظني الوالد للصلاة وأخذت أتوضأ ولكن الوالد يستعجلني فحضرت وجثوت بجانبها وفاضت روحها، فلم أحفل بموتها في تلك الساعة وركبت معها أنا وأخي رشيد في سيارة ودفنوها في المقبرة ولم أبكِ في حينها لكن البكاء لازمني ليلا سنين طويلة في خفية تحت الغطاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا علم لوالدي به مع أن الوالد أضحى يرعاني رعاية أمومية وأبوية وتواصلت الرعاية حتى توفاه الله وعمري قد تجاوز الخمسين سنة.

رسبت أول سنة لأننا دخلنا المدرسة ولم يبق من الدراسة إلا شهرين فاستطاعا أخوي تجاوز اختبار السنة وبقيت في سنتي واجتهدت في الدراسة وكان لي الحظوة عند المدرسين لتعلقي بالدراسة فلما ماتت الأم من السل ودب المرض في الأسرة مرضت أيضا ولست أدري عن كنهه فتغيبت عن المدرسة، ولكن الوالد صنع دواءاً مكوناً من عدة أشجار طبيعية ومزجها بالعسل وأخذ الوالد يعطيني كل صباح ملعقة كبيرة وبكأس من العسل النقي البري الذي لا يوجد نظير له فعدت إلي الدراسة وواصلت اجتهادي الذاتي وكان لأخي محمد دور كبير في رعايتي في المدرسة فهو يراقبني ويحميني من تجاوز الطلاب الكبار، ونبيت في حجرة واحدة في الدار بعد وفاة الوالدة. وكنت أنافس الطلاب في الفصل ويرعاني الأساتذة فأنا أصغر من في مرحلتي حتى أن مدير الدار أعلن فصل كل الذين يتخرجون من الابتدائي ماعدا مسعد العطوى إذا رسب لصغر سنه.

ثم عدنا لبيتنا في الخالدية، وقد توظف محمد عسكريا، وأخذ الوالد يعود لتجارته بعد أن شافاه الله من المرض، وبعد مدرسة الأيتام عام ١٣٨٣هـ فتحت الدولة المعهد العلمي فالتحقت به وكان المؤسس له الشيخ الفاضل سليمان السكيت عالم حائل. وكنا ندرس فيه ولكن الدعاية حول المعهد بأنه لا يقبل في الجامعات ولا في الكليات العسكرية كادت أن تثبط من همتنا لكن المكافأة ٢٠٠ ريال لها دورها في البيت فهي الدخل الوحيد لأسرتنا، ومن قلة ذات اليد أتذكر أن السحور مكون من خبز الأدم بصل+ صلصة + ماء =يطبخ ثم نحتسى به. حتى بعد استلام المكافأة ثم بعد ذلك التحق بالمعهد الأخ رشيد الذي تأخر عن الدراسة لمرضه وإلى جانب تجارة الوالد

الزهيدة وما يبعث الأخ محمد من حقل كل ذلك جعل الأسرة مستورة الحال. وكنت مجتهدا في المعهد العلمي في الدفعة الأولى منه وهي لمدة خمس سنوات وفي السنة الأخيرة بعد الاختبار وفي يوم النتيجة ولم أعلم عنها قبض جاري المالكي على صدري وأنا متجه إلى المسجد فقال أبوك في هذه الحالة وأنت نائم في البيت، ألم يحن لك أن تتوظف أو تعمل، فقلت له إني أدرس، قال أين قلت في المعهد العلمي، وكان جاري وصديقي وزميلي محمد قزان العسيري بل ومنافسي في الدراسة وكان والده في طريقنا في حانوته في سوق الخالدية، وكلها أمتار قليلة، فقلت له أنا زميل محمد قزان فشدد القبضة علي وقال تكذب علي، واقتادني لوالد قزان في حانوته وقال إن مسعدا يقول إنه زميل محمد أهو صادق قال نعم، وزادت درجات مسعد على درجات محمد بدرجة واحدة في الثانوية العامة للمعاهد. فشكرني الرجل وتواصل احترامه لي، وكانت حياتنا الاجتماعية في تلك المرحلة تعتمد على التآزر والتعاون وهي مرحلة انتقالية بين التحضر والبادية، وكانت الوليمة تجمع الأسر الوافدة من الحرة المستوطنين في الخالدية وكانت أسرتنا الطرابشه، وأسرة الزميلان (خضر سليمان الزميلي) و(عيد سلمان الزميلي) و(هليل مسلم الزميلي) متجاورين متحابين وكنا نلتقي مع بعضنا نتزاور كل حين ولاسيما الذين في عمري وهم قلة، وربما أنني أخدمهم للسوق القريبة، وكان يقترب منا أسر من الرضام عطاالله الرضمة، وسالم سعيد الرضمة، وسويلم حامد الرضمة والأخيران أحسن حالا لأن لهما أملاكا وحوانيت في سوق الخالدية العامر.

وكنا نخرج إلى البرية في رحلة عائلية نجتمع في سيارة سويلم بن حامد أبو حامد. ونمكث ليليتين ثم نحتطب ونعود، فقد كان الوقود من الحطب إلا في وقت الطبخ فقد استعمل الناس (الدافور) الذي يعتمد على سائل القاز وليس الغاز.

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

وكانت مواسم الأعياد فيها رخاء وتكاثر للحم. وندخر منها لأيام طويلة بتجفيف اللحم أو بغمسه في الشحم ثم تجميده وتأخذ المرأة منه الشيء القليل، وذلك قبل استخدام الثلاجات والتعاون دائم فكان من عنده وليمة يستعين بقدور الجيران ومعامل القهوة والفرش وصحاف الأكل، وكان النساء يتعاوَنَ ولا يعدنَ لبيوتهن إلا وقد قمن بتنظيف الأواني كلها. وهن من يقمن بطبخ الولائم في البيوت، وكان الاختلاط سائدا يدخل الرجال الأقربون والجيران عند الطبخ ويتحادثون ويتمازحون، ولكنهم يحترمون الدخول عند النساء إلا بعد الاستئذان ويكون ذلك في وضوح مع عدم إقفال الأبواب والأمن سائدا وينام الناس وأبوابهم قابلة للفتح من الخارج ولا يخشون إلا من الأغنام السائبة وهي كثيرة لأنها مصدر الألبان الوحيد.

إنها مرحلة أمن منقطعة النظير لم أسمع بسرقات في تلك المرحلة، وكنت القارئ والكاتب في تلك المرحلة فالأقارب يأتون لأكتب لهم معاريض للدوائر الحكومية، والرسائل التي تبعث خارج تبوك بل إني أجد في السوق من يدعوني لأكتب له ويعطيني مبلغا من المال ولست أنسى أول مرة حين كتبت لغرباء وأعطوني خمسة ريالات وكنت أجوب الأسواق صباحا وظهرا ومساءً فهو المتنزه الوحيد وتارة أجمع كتبا من بقايا الدراسة وأبيعها، وقد كونت ثروة ثلاثين ريالا منها، ولكنها ضاعت فحزنت عليها حزنا يخالطه البكاء أحيانا وذات مرة كنت جالسا مع أخي في دكان من بيتنا ليس فيه الشيء الكثير وإذا برجل وسيم يسلم علينا ويجلس كنا نحذر من العلاقات، فقال هل تعرفون مسعد بن عيد فترددنا عن الإجابة فسأل هل تعرفون مسلم بن سويلم، قلنا ذلك في خميس مشيط. فأخذ الرجل يحصل على معلومات وكان زمنها وجود رجال المباحث الجهلاء الذين لم يدركوا مهمتهم فكانوا يستوقفون الناس في الطرقات، لكن لم يمض كثيرٌ على هذه الطريقة حتى تلاشت. فكنا نحذر من ذلك، لكن الرجل قال: هل

الجديد و طرح
NEW & EXCLUSIVE

ضاع لك شيء بعد أن استدرجني للاسم، فهنا اندفعت وقلت ضاع لي ثلاثون ريالاً موضوعة في ظرف آتٍ من مسلم سويلم من الخميس، فقال كم تعطني منه نصفه أو ربعه، فبخلت عليه ولكنه دفع المبلغ وأبى أن يأخذ شيئا وفي تلك الفترة الممتدة لأكثر من عشر سنوات لم أسمع بحفل زواج بين الأقارب والجيران ولم أحضر في تبوك حفلة زواج إلا بعد إعلان نتيجة الثانوية، دفعني بعض الزملاء للتطفل على موائد عرس في الشارع ولكن رغم لذة الأكل ووفرته لم أستطع أن أتعشى، فكان الأكل في حياء شديد وخشية أن يعرفني أحد. وكانت الولائم الكبيرة قليلة جدا، وقل أن تسمع بامرأة حامل ولذا فلم يكن هناك ولائم للعقائق، وقد جاء سلمان العرد وأثار قصة عدم وجود الحمل في المجتمع فلم يسمع في القبيلة إلا بولادة امرأة واحدة نحن نعرفها.

إنه الجوع، والمرض، وقلة التغذية. وكانت جارتي امرأة خضر الزميلي مكثت تسع سنوات لم تنجب حتى مرضت وتعالجت طويلا ثم أنجبت أولادها في عام ١٣٨٦هـ.

وكانت المجاعة الكبرى حلت بالبادية فقد جاءتهم سنة أهلكت الإبل والغنم ومات الكثير، وهاجر الكثير إلى تبوك، ونصبوا خيامهم من الشعر في اتجاهاتهم المكانية في تبوك، فأهل حسمى جاءوا غرب تبوك، وأهل الحرة جاءوا جنوبها، والسبوت جاءوا شرقها وقد هيأت الدولة وبعثت بالأغذية والدهون، وقامت لجنة لحصر المحتاجين وكل محتاج حتى الحاضرة في تبوك كانوا أشد حاجة، فتقاطر الناس إلى هذه اللجان ونصبوا خيامهم من الشعر وهي وهمية يتنقل البيت من إنسان إلى آخر، وتدافع الجميع بإكثار عائلته، وكانت عائلة الأخ رشيد عددهم أربعة.

كنا بقرب أسواق الخالدية، وكانت مملوءة بالمقاهي وتأجير الدراجات، ويكثر فيها اليمنيون وغيرهم، وكنا نخشى من الفساد الأخلاقي، ولذلك لا نخرج من البيت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد المغرب حتى بلغت المرحلة الثانوية، وكان الشيخ زايد مدرس الفقه في المعهد العلمي ضريرا فيستدعيني لأقرأ عليه، ويحاول أن أمكث عنده بعد المغرب ولكني أصر على العودة مبكرا رغم الأمن، فيستغرب ذلك مني رغم كبر سني، وقرب بيتي فهو في ذات الحي الخالدية. وقد استفدت منه فائدة كبرى وتمنيت لو سهرت معه الليالي، وما زلت مستوعبا للفقه من دراسة المعهد.

وفي مرحلة استخراج الحفائظ كانت المراجعة تستغرق شهرين من المتابعة اليومية، فاستخرج جاري خضر الزميلي حفيظة نفوس، وأتى بها واستدعاني لقراءتها، وأخذتها بلطف، وخشية عليها لم أضغط عليها، وكان أمامي قدح كبير من الماء وأنا أقلب صفحاتها فسقطت في الماء، فكانت الكارثة، وما أصبر الرجل عليَّ فلم يضربني ولم يعنفني كثيرا لكنه تألم.

وكانت تبوك محدودة البناء، أحياؤها قليلة، وأفراد الشرطة قليلون وكان جارنا خضر الزميلي أحد أفراد الشرطة وقال مرة أنهم داهموا بيتا يحتوي علي قوارير من الخمر فأخذوا يجمعوها، وأخذ يبحث في الغرف فإذا بمدير الشرطة يمتص من إحدى القوارير ففاجأه الأمر وقال "أخس أخس" بصوت عال فانقلب مدير الشرطة ولم يلوي عليه.

وكانت وفود التفتيش تأتي إلى تبوك وبعضها ينصف وينقل الحقيقة وبعضهم ينزل ضيفا على المسؤول فيكتب ما يريد، وكان خضر الزميلي في الشرطة وكان حاضرا للتحقيق في حادثة الشيخ سالم أبو دميك، وهي أنه حفر بئرا في مكان فجاء أفراد آخرون وحفروا آبارا بجانبه، فكان المسؤول الإداري غير حكيم فصورها تمردا على السلطة وذهب الشيخ الشاب إلى الملك فيصل وأرسل وفودا تجيء عند الأمير المسؤول، وأخذوا يحققون مع سالم وهو سجين. فيحدثنا خضر أن هؤلاء يكتبون بالقلم الرصاص، ويجعلونه هو والذين معه يوقعون بقلم حبر، بل يحلف لنا أنهم يوقعون على

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

ورق أبيض مما جعل الرجل يهرب إلى الأردن ثم لبنان، ثم عاد واحتفلت به القبيلة في ولائم كبيرة لم أر مثلها من قبل في عام ١٤٠٣هـ.

ومثل هذا بعض وفود التفتيش لدار الأيتام، فجاء أحدهم إلى زميلنا في الدار ورأى غترته صفراء من قلة الغسيل، فمسك أذنه وقال الكلب كلب لو طوقته بالذهب. ويدعم هذا الاتجاه أنني قابلت شيخاً في محكمة تبوك، قابلته حين عهد لي بإدارة معهد تبوك العلمي في منزل الشيخ عبد العزيز الخضير مدير المعهد، فقال لي من أين أنت فقلت عطوي، فقال: أنا مستعد أن أجعل العطوى يوقع على ورقة بيضاء وأكتب فيها ما أريد فقلت له إنهم يثقون بالشيخ ويظنون أنه لا يقول إلا الصدق.

كانت الغابات تحيط بتبوك فمن شرقها وادي الأخضر المشهور بغاباته ومن جنوبها وادي الغضا المشهور بكثافة الغضاء، ومن غربها أودية الهدرة وقنا، ووادي البقار، وبعيد عنها أودية حسمى، وكانت كثيرة الحطب والصيد، حتى أنه في الجبال التي لا تبعد عن تبوك أكثر من عشرة أميال. فلما وصلت طلائع الجيش السعودي وهاجر أكثر أبناء البادية، وكان الاعتماد على إشعال النار، ولقي سوق الحطب والفحم رواجا، وأخذ الدمار البيئي يرتفع شأنه، فأخذ أبناء البادية يصنعون الفحم وهو صناعة شاقة من الاحتطاب ثم إشعال النار ثم دفنه تحت التراب ثم استخراجه وحمله من مسافات بعيده على الإبل. ومن الطرائف في هذا أن جماعة من الأصدقاء جهزوا أحمال إبلهم من الفحم فلما أرادوا الذهاب إلى تبوك أوصاهم أحد أقاربهم أن يبيعوا له شاتين ويشترون بثمنهما مشتريات، وهم في الطريق اتفقوا أن يذبحوا إحداهما ويدفعوا ثمنها مثل ثمن الشاة الأخرى الباقية وكان عهدهم أن ثمن الواحدة عشرين ريالا، فلما شارفوا على تبوك، قابلهم أفراد من الجيش السعودي في جيب ولز فأخذوا يتنافسون على شراء الشاة، فدفعوا فيها تسعين ريالا أمام ذهولهم، فقال أحدهم وأدرك الموقف، لقد احترقت الشاة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فباعوهم وباعوا كل أحمال إبلهم من الفحم بتسعين ريالا فذهب تعبهم كله فداء لهذه الشاة.

وقد اندفع الناس فأخذوا يحتطبون ويقطعون الأشجار ويحملونها للبلد، حتى إن كل المواطنين أضحوا يخرجون لجمع الحطب للاستعمال الشخصي، وقد استعانوا بالسيارات الضخمة لحمل ما في بطون الأودية من أشجار بكميات كبيرة، ومارسوا إلى جانب ذلك هواية الصيد الجائر، حتى أصبحت الوديان والشعاب قاعا صفصفا. إنه الاحتطاب الجائر الذي أثر على المنطقة كلها. فافتقدنا الغابات واختفى الغضا من منابته، بل يكاد يختفي مكان الوديان.

وكان بتبوك شارع واحد هو الشارع العام والمسمى الآن (جادة الأمير فهد بن سلطان) وكانت التجارة فيه، فأعلاه عند القلعة وكان شرقي القلعة موقف الإبل والغنم وسوق البادية ومكان بيع الفحم والحطب، وإلى جنوبه أحواش مناخ للقوافل الآتية التي تنتظر يوماً أو يومين، فهم على عجلة من أمرهم، لأن الإبل لا مرعى لها ويلي موقف الإبل من الشرق التجارة التي تناسب البادية ثم تمتد حوانيت التجارة ما يقارب مائة متر ثم الأمارة ثم المحكمة والمستشفى والبيوت قريبه جدا، فليس هناك أدوات نقل أو توصيل للمنازل ولم نلبث كثيرا حتى توسعت البلد وأحتاج الناس إلى من يوصل لهم ما يشترون، فكانت الحمر الأهلية الوسيلة الأولى، فيوضع عليها أقفاص من حديد لتستوعب الحاجيات البسيطة وهي أشبه بالعربات التي حول المتاجر الآن، وهي تجوب السوق ذهابا وإيابا والأولاد يركبون عليها، فإذا تكاثرت الأحمال فإنهم يسوقونها سوقا، والذين يعملون عليها من أهل البلاد. لا تنحصر في شريحة، ثم جاء بعد ذلك حصان أو أكثر يجر عربة، وأذكر حصان مسلم بن مناكد المدمي، ولم نلبث كثيرا حتى جاءت الحمر البيضاء الكبيرة الضخمة التي تشبه الخيل تجر عربات يحمل فيها أكثر من واحد في جهة

واحدة، ويوزع أحماله، وكان أغلب من يعمل عليها من الوافدين اليمنيين، واستمرت فترات طويلة حتى جاءت العربات (السيارات). ولما استغنى الناس عن الحمر الأهلية، وظفوها للاحتطاب حيث يخرج عدد من الشباب بها إلى الأودية القريبة ويحملونها حطبا، وبعضها بإذن من أهلها وتارة بلا إذن وكنت أخرج مع الشباب ونأنس بالاجتماع وركوبها والعمل الجماعي ونعود مساء.

ونظراً لقلة العناية بالنظافة في الشوارع فإن الأغنام يزداد لحمها وشحمها، وكذلك الحمر الأهلية فإنها مكتنزة لحما وشحماً، فالشوارع كانت ملأى ببقايا الأطعمة وغيرها. ثم تبعها حملات قوية للنظافة ومطاردة الحيوانات السائبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التآكل البدوي

كان النسيج البدوي يتساقط من جهات متعددة أمام الزحف الحضري الذي يحمل محاربة الجهل والفقر والمرض، ومحاربة الثأر.

فنحن نشهد كثرة الهجرة من الأسر لتعليم أولادهم، ويقطنون في خيام من الشعر، وتمتزج معالم الحياة الحضرية مع بعض الحياة البدوية، والمرأة أكثر تأثرا من حيث الألبسة، واقتباس طرائق الطبخ وكان الكثير من الشباب البدوي يستأذن أسرته ومنهم من لم يذعن لوالده، وينطلق إلى البلد يعمل ويكدح، ومنهم من يلتحق بالقوات المسلحة، وهؤلاء أكثر تنويرا وقد تعلم كثير منهم، وأخذت المدارس الليلية تنتشر وقد قمت بالتدريس فيها عندما تخرجت فوجدت أعدادا كبيرة. وكان الأوائل من هؤلاء الملتحقين ينتقلون إلى الطائف ومكة المكرمة للتدريب يسيرون في قوافل من السيارات، وذلك عام ١٣٧٣هـ، وازداد العدد المرة تلو الأخرى وكان منهم سليمان فرج الاميلس، وسويلم حامد، وعبيد الله من حي المنشية وغيرهم وقد ذكروا مشاهداتهم في غزة ودفاع الإخوان المسلمين، وكنت أراسل أقرباءنا في القوات العربية التي هبت لحماية الكويت من تهديد (عبد الكريم قاسم) فيما يقارب عام ١٣٨٣هـ وأذكر منهم القريب والجار (مسلم بن سويلم العسوفي) فقد جاء وهو يحمل الهدايا من الساعات الكويتية.

اشترك بعضهم في لجنة السلام في اليمن، ومنهم الجار والصديق عيد سليمان الزميلي، وكذلك القريب والصديق. عليان بن علي العسوفي. وكنت استمع لوالدته ووالده وأخواته وهم يتلهفون عليه ويخشون عليه، وتارة تأتي أخبار بقتلهم. وكان عليان محبوبا للأسر كلها لأنه يأتي بالهدايا لكل النزل والأقرباء وكان لطيفا ظريفا رحمه الله تعالى.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

وكان كثير منا نحن الذين استوطنا نخرج بكامل أسرنا في الصيف، ونحن نحمل بعض المعالم الحضرية، بل إن التنافس والتحاور موجود بين الحاضرة والبادية حتى في الشعر. مثل ((الحمد لله تمدنا والكل منا شرب كأسه)) أي شرب الشاي في كاسات وكان من قبل معدوما.

وكان أكثر أهل البادية يبعث بأولاده عند إخوانهم أو أعمامهم أو أقاربهم من أجل التعليم ويعودون إليهم في الإجازات ورغم روعة الحياة في البادية فإنها لم تكن جاذبة للشباب من الذين نشأوا فيها ومن الذين غادروها للدراسة أو العمل، فالمدينة جاذبة لهم.

كان يفد الكثير إلى تبوك من القبائل المجاورة ومن مناطق المملكة وكانوا لا يمتنعون عن أي عمل في الوظائف الحكومية وفي الأعمال الخاصة كمثل إصلاح السيارات، والخدمة في الأسواق، والالتحاق بالعمالة في البلدية، بل يلتحقون بالأعمال المهنية وكان هذا الشأن ماثلا حتى جاءت الطفرة الأولى ونتيجة إلى عدم الوعي فقد أنتجت البطالة التربوية والبطالة المقنعة ثم البطالة الشائعة الكاملة.

في مستهل المرحلة كان المستوطنون بتبوك قلة من كل عشيرة واحد إذا كثروا وهؤلاء يستقبلون الوافدين من البادية وبعضهم يعاني وأسرته من إعداد الطعام لهؤلاء، فقد سمعت من بعض النساء أنها تعد الخبز صباحا وظهرا ومساءً وأن كيس الدقيق لا يتجاوز اليوم، وبيوتهم تمتلئ بالذين يبيتون ليلا ويقيلون نهارا، والجائلين من أصحاب البطالة المنتظرين للوظائف. ثم تكاثرت الأسر في تبوك، لأن الموظفين الجدد من الشباب يتزوجون من قريباتهم البدويات ويستوطنون في المدينة فيستقبلون أقربائهم من البادية وهكذا حتى انحسر الضيوف بل وقل عددهم كثيرا، إن معاناة الأوائل وبذل كل ما يحصلون عليه وتعبهم أمر موضع حديث الأوائل، وأذكر من هؤلاء سالم بن سعيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرضمة، فقد جاورته وصاحبته وأنست به، فهو من الذين يألفون ويؤلفون وكانت زوجته ثنوى بنت سلامه الرضمة تحكي أتعابها الأولى لإعداد الغذاء للجموع التي تأتيهم. الواقع أن الكثيرين يماثلونه ولكني لم أعرفهم وقد ذكر لنا سليمان بن عتيق بن هرماس معاناته القريبة من هذا، فهو من أوائل الذين التحقوا بالخدمة في الشرطة، ويذكر أن كيس الدقيق الواحد يعمل في الظهر أو مساءً مرة واحدة حتى إن نساءهم تبكي من الإرهاق. ولكن لم يلبث الشباب الطامح الذين نزلوا إلى المدينة أن عملوا وأخذوا المؤن إلى أهليهم في البادية وقد حدثتني خالتي عن أن ابنها فر من أبيه وعمل في تبوك شهرين ثم خرج بحمل بعيرين فكانت فرحة الأب وسائر الأسرة بهذا الخير كبيرة.

وقد أرادت الدولة السعودية أن يعم التعليم فأقامت مدارس في الهجر البدوية في البديعة، والنابع، والقليبة وقرى تيماء وأبوراكة، وبدا وقرى ضباء وقرى الوجه وقرى حقل وقرى البدع (موطن شعيب) وكان للمدرسين تفاعل مع أبناء البادية، وكذلك فإن من يكمل دراسته الابتدائية يتجه إلى تبوك أو المدن الأخرى ليكمل دراسته، وقد بلغ كثير منهم درجات عليا في الجيش، ونال الكثير الجامعة، بل حصل بعضهم على الدكتوراه. وكنا ومن في سني يدخل العناصر الحضارية على أسرته، ولما دخلت الفتاة المدرسة كانت أكثر تأثيرا على أسرتها في إدخال المكونات الجديدة. وكان الآباء يعتنون بالبناء الضروري للمنزل، بل هو قدرتهم، ولما توظفنا كان هدف الواحد منا تطوير بيته فصبغنا الجدران، وقمنا ببلاط الحجرات والغرف، وكنت أستدرج والدي رحمه الله لبلاط الحوش حتى استطعت مع تألب الأسرة على إقناعه، لكن حلف على أن المداخل النسائية تبقى بالحصباء فرضيت فذهبت إلى سالم بن سعيد الجار اللطيف وأخبرته، فقال

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

سأتيكم صباحا ودخل من المدخل النسائي، فإذا به بلا بلاط وأخذ يهجم عليّ ويقول أعجزت عن هذا فما كان للأب إلا أن أعترف بمسؤوليته وسمح لنا بإكماله.

كانت علاقتنا بأهل الخالدية وحاضرتها أكثر من علاقتنا بالمستوطنين من أبناء القبيلة بحكم الجوار، فقد كان الوالد له علاقة بأسرة الشرود (الجماز)، وكان بعض الجيران من بلى مثل محمد المعيقلي وكان القناص المشهور محمد أبو فينس القحطاني جارا لنا وكذلك أسرة قزان العسيري، وأسرة النملة فأولادهم زملاء دراسة ومنهم محمد قزان عسيري وكيلا للمعهد أثناء إدارتي ثم مديرا له بعد أن انتقلت إلى الجامعة. وكان سليمان إبراهيم النملة زميلا في المعهد والكلية وانتقلت أسرته إلى المدينة واتجه إلى الأعمال الحرة.

الحركة الثقافية:

حركة واعدة تحبو إلى الارتقاء والتطور، وجاء الشعر قي مقدمة هذه الحركة، وقد كان عدد من الشعراء يتوافدون إلى تبوك، فاستحوذت عليهم تبوك بعبقها الاجتماعي التاريخي، وتتآلف قلوب قاطنيها، وتغمرهم البهجة أحيانا كثيرة بمدينتهم الصغيرة المتآلفة الشرائح الممتزجة الأجناس والأعراق، ويذوبون خلال طبيعتها المتنوعة، ويأنسون بهدوئها، فيمنحونها وهجات مشاعرهم، وتنبض أحاسيسهم بلوحات شعورية يسجلونها وفاءً لهذه المدينة النائية في شمال غرب الجزيرة العربية والمطلة على الشام ومصر، ويعبرونها بعد سنين، فإذا هي ذكرى ماثلة في القلوب حاضرة في الوجدان، وما لبثت تبوك أن تطورت اقترانا ببناء دولتنا الرشيدة، وشموخ وطننا الغالي ووحدة أمتنا وأرضه موطن البيت الحرام، والوحي الشريف، ووارثة النسل العربي العظيم، ووارثة اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة كل فرد عربي في مشارق الأرض ومغاربها، وفي تلك

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المرحلة تكونت ثلة من الشعراء نرقب إبداعهم، ونستمع لإنشادهم وتغريدهم، وتهفو نفوسنا لصحبتهم، وهم الأستاذ/ مسلم فريج، وجمع من الشعراء المدرسين في المعهد العلمي والأستاذ/ محمد توفيق، والمهندس/ محمد فرج، والأستاذ/ غرامة العمري، والشاعر المقدم/ صالح العمري، والشاعر/ علي محمد آدم، وغيرهم وقد يحذو لهما أحيانا الدكتور/ موسي العبيدان بنقداته الشيقة وغيره من النقاد، وقد استضفت أكثرهم في المنتدى في منزلي ومنه:

((ولقاؤنا اليوم لقاء الأحبة، لقاء التكريم للشاعر/ صالح العمري الذي أذهل أهالي منطقة تبوك بشدوه العذب، وبفكره الصافي، وبخلقه السامي، وبلغته ذات الجرس الموسيقي والدلالة الكثيفة، إننا سوف نُحلِق مع الشعر في الأفق الرحب ونأمل أن تكون الكثافة لشاعرنا المحتفى به الشاعر/صالح العمري الذي سيظل معنا وفي ذاكرتنا، وستظل تبوك عالقة في حدائق فكره ومتلبسة بأحاسيسه)).

كنا نبحث عن السمر الليلي مع كبار السن وسلاطين المجالس. وليس هناك من تجمعات شبابية، وكان بيت سالم بن سعيد الرضمة أكثر تجمعا واستقبالا، وكان سليمان فرج الأميلس من سلاطين المجالس حديثا شيقا وقصصا وكانت سيارته إذا توقفت عند أحد فهي علامة السهرة الماتعة، فنتجمع عليها لأننا نجوب الشوارع فلا عمل ولا تلفاز بل تندر الراديو، ويمتلئ المجلس، والامليس أقدم بني عطية تحضرا فهو منذ صغره التحق بالوظائف بالحاضرة، فتزوجت أخته عند إسماعيل المغربي، وهو قارئ ومثقف.

ويحكى (سليمان فرج) عن إسماعيل أنه رجل فاضل تقي ذهب إلى الصيد، وحين أخذ ينتظرها، فإذا بفار يتبع فأرة وهي تهرب منه وتتمنع عليه، وإذا به يعود إلى شجرة ويأخذ عودا منها، فتقف له الفأرة. وأخذ منها كي يجربها، فمر بامرأة وشرب

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

القهوة الجاهزة عندها فلم ير منها أي ملامح إغراء، ثم مر بها مرة أخرى والشجرة في فمه فأقبلت المرأة وكان رجلا متدينا، والتصقت به وحاولت الإغراء ثم نزع الشجرة من فيه فعاد الهدوء للمرأة، وأخبر الناس، فدفع له أحدهم ناقتين لكي يعرفه على هذه الشجرة فأقسم أنه لن يدل عليها أحدا وقد رأيت معالم هذه الشجرة ووصفها بترويض الأنثى في معجم (تاج العروس للزبيدي) وألهمني الله أن لا أتعرف على الصفحة ولا على مادة الكلمة.

ومن قصص سليمان المثيرة أنه كان شابا عند أخته زوجة إسماعيل، وكان يصحبه في عمله زميل له من زهران وكان يلبس خاتما من الفضة، وأراد سليمان شراءه، وقال خذه عني بمبلغ ريالين ونصف فقد أتعبني. فعجز عن دفع المبلغ واستعاره منه ثلاثة أيام ولبسه ونام تلك الليلة وإذا به يحلم أنه زار بيتا معروفا لديه وقرع الباب، وقالت المرأة من بعد أدخل وأصرت عليه، فلما دخل المجلس قالت المرأة أجلس أنا أستحم وأتيك. وهذا أمر مستغرب ولما دخل المجلس الذي كان يستعمل أيضا غرفة نوم، فإذا بثياب المرأة وسروالها ففزع وأراد الخروج، لكنها حلفت عليه بالجلوس ولم تلبث أن خرجت عارية وأخذت تلبس سروالها وهو يحاول الهروب لكنها تصر عليه. وسروالها له حجل ضيق فأخذت تعالجه وإذا بالباب يفتح عليها وإذا به الزوج ينظر إليها وينظر إليه ويغلق الباب، وأراد سليمان الفرار كل ذلك حلما لكنها تمنعه ولم يلبث الزوج أن عاد ومعه اثنين من الشرطة وهو يرتجف، واقتاداه للسجن (القلعة الحالية في تبوك)، وقال لهم أحلف لكم أنها مثل أمي لم أتعرض لها. فقال الشرطي سالم وأظنه سالم سعيد وهل أمك تتعرى أمامك، فانقضى الحلم وسهر ليله فزعا حتى سمع نداء أخته للفطور فمد يده فإذا الخاتم فيها فنزعه بسرعة مذهلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعهد العلمي

التحقنا بالمدرسة السعودية الابتدائية، وكنت ملتزما بل جادا بعيدا عن المشاكل، وبعيدا عن أهل الترف، ولم أكن أيضا مع الفئات المتنافسة المتصارعة، غير أني ما زلت أذكر أن لعابي يسيل من أجل قطعة من الهريسة التي يبيعها (فرهود الشامي)، الذي يحني ظهره إلى الخلف حتى يصل رأسه إلى الأرض وقيمة القطعة قرشين لا غير، ولست أملكها في الشهر مرة واحدة، وكذلك تهفو نفوسنا كثيرا إلى قطع الجبن التي يتناولها زملاؤنا في فسحة المدرسة، واصلنا دراستنا وكنت أتنافس على النحو، والرياضيات، مع زميلي سامي صالح الوكيل وهو أستاذ دكتور في جامعة الملك سعود. وكانت المفاجأة المدهشة التي تمثل أول شائعة حولي هي أنني حصلت علي ٩٦% في الشهادة الابتدائية عام ١٣٨٣هـ وأعلن الأستاذ فضل سالم ذلك وسأل عني في جموع الحاضرين من الطلاب وأوليائهم فأحضروني له، أخذ يكيل لي المدح اجتهادا وخلقا، وأني أخذت من العشر الأوائل في المملكة، ولكن الحقيقة أن الأمر خطأ فقد قلبوا الرقم فهو ٦٩% ولكن قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا، فقد كنت أسير في السوق الوحيد في تبوك أسمع وأرى من يشير إلي بأنني حصلت الأول في تبوك ومن أساتذتي في هذه المرحلة محمد سليم الجهنى، والأستاذ عبد الله كامل المصري. الذي هز كياني وجعل دموع الخجل تنزل من عيني، فقد كان يدرس شعبتين في السادس الابتدائي، وكان أخي رشيد عنده واجب في الرياضيات فحللنا مسألة رياضية صعبه في الليل، وكانت حصته قبل حصتي فذهبت إليه بعد الحصة لأتأكد من صحة حلنا فإذا هو صحيح. ودخل علينا عبد الله كامل في الحصة التالية، وأمرنا بحل المسألة وحللتها مباشرة وقدمتها قبل سامي الوكيل، فقال الآن عرفت أنك تخدعني ولست فاهما للرياضيات فقلت لماذا قال أنت تأخذ من أخيك فالحل هذا يناسب الأعداد في الكتاب وأنا غيرت الأعداد

فكانت الكارثة علي أمام الطلاب وأمام منافسي. فبكيت وتركت الحادثة أثرا في نفسي.

تخرجنا من الابتدائية، وليس أمامنا إلا المتوسطة أو الوظيفة والوظيفة أكثر جاذبية، لولا صغر سني، وقبل بدء الدراسة أعلنت المحكمة أفتتاح المعهد العلمي وهو يدفع مكافأة ٢١٠ ريالا في الشهر للطالب، وذلك مغنم لمثلي وأسرتي، أما أخي رشيد فأصيب بمرض وتأخر عن الدراسة وأما الأخ محمد فقد تخرج قبلنا بسنة والتحق بالعسكرية، وفعلا التحقت بالمعهد، ولكن الدعاية حوله أنه لا يؤهل للعسكرية ولا للعلوم الأخرى، لذا حرصت على أن أواصل الدراسة الليلية في المتوسطة، ولكن الأمر ثقل علي بعد أشهر، فقررت الإنسحاب من المتوسطة.

كان مدرسو المعهد من الشباب السعودي أكثر جدية وصرامة، ثم جاء عدد من الجنسيات الأخرى، وكان يدرس معي من تجاوز الثلاثين سنة فقد فتح المعهد الباب بلا شروط في عام التأسيس. ولم يكن يلفت انتباهنا إلا ما نحصل عليه من المكافأة التي نسلمها للوالد كاملة فهو أحوج ما يكون لها. وكنا في هذه المرحلة نذهب من بيتنا في الخالدية على الأرجل وقد كنا نسعد بإضاءة (الاتريك) أسطع من السراج، ثم جاءت كهرباء الناصر ولم نستطع إدخالها للبيت في أول الأمر، فكنت أدرس على إضاءة الشارع تارة خوفا من النوم الذي يلازم الجالس ولا خوف عليّ لأن الجماعة يسمرون ويلعبون البالوت في البيوت القريبة.

وشهدنا في هذه المرحلة كثافة الزواج بين الموظفين وبنات البادية وقد تزوج أخي محمد، وتزوج عيد سلمان الزميلي، وتزوج هليل مسلم الزميلي وكانوا يقيمون الولائم عند إحضار زوجاتهم وسكنهم الجديد أما حفلة الزواج فهي في مضارب البادية، وما أحلى الوليمة ففيها أجر نجتمع عليها وقد اشتهرت عوائل منا بإجادة الطبخ ومنهم زوجة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سليمان فرج الأميلس وزوجة سالم بن سعيد الرضمة، وزوجة جارنا خضر الزميلي، وزوجة سويلم بن حامد، وزوجة حسن الزميلي وزوجة عطاالله الرضمة.

كنا نستمع لنصائح المدرسين، وأتذكر أن مدرسنا محمد عطوف السوري يقول أنه يجمع راتبه كي يدرس به في الخارج ليحصل على الدكتوراه، ولا نظنها إلا في الطب فالدكتور هو الطبيب ،ولذلك تبقى عليه البدلة لما يقارب العام فلا بديل لها. وجاء في السنة الثانية الشيخ عبد العزيز الخضير ليستلم إدارة المعهد العلمي وهو أكثر حرصا على التوجيهات من الشيخ سليمان السويكت وعلى التقيد بالتوجه السلوكي لسمة المعاهد العلمية التي يشرف عليها مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم أل الشيخ، وكان الشيخ صالح التويجري رئيس المحكمة له نفوذ قوى في تبوك، وكان يزور المعهد وكأنه يشرف عليه، وأكثر الذين التحقوا بالمعهد قد تسربوا منه لحاجتهم للوظائف ولكبر سنهم، ولم يبق منهم إلا عوض سعيد البلوى الذي واصل دراسته حتى الجامعة، مع أنه ترك رتبته العسكرية الجيدة.

وكنا في الفصل الطلائعي الأول في المعهد على مجموعتين، مجموعة جادة راغبة في الدراسة، ومنهم محمد قزان عسيري، عطاالله بن سلمان هرماس، وعواد بن عيد المدمي ورشيد صالح البلوي، وعوض سعيد البلوي. وعامر الشهري، وهناك فئة غير ملتزمة بالدراسة ينتظرون الوظيفة وفئة عابثة اكتشفت عبثها في رحلة ذات مبيت في وادي الغضا وهي أول رحلة مع الطلاب وآخر رحلة. فقد رأيت أحدهم يخرج زجاجه من جيبه فنفرت وخفت ولازمت مدير المعهد عبدالعزيز الخضير الرجل الفاضل وبعض الطلاب الأكبر سنا وهم من النزاهة بمكان. طبعا الأمر لم يقتصر على فصلنا بل جمع أكثر من الفصول الأخرى.

لم يحدث أن تميزت في المعهد أو ظهر تميزي إلا بعد مرحلة المتوسطة، فقد كنت مجتهدا متجاوبا، محاورا منافسا، لكن نفتقد الثقافة الخارجية، فلا كتب ولا محاضرات، ولا حلقات تحفيظ قرآن، إنما المنهج فحسب الذي نحفظه ونعرف مكان الكلمة في كل صفحة من كل كتاب، وكان زميلي وجارى ومنافسي العسيري مستحوذا على الإذاعة، فأردت أن أشاركه وأصررت، وكانت في حجرة منفردة فأعددت الكلمات، فلما وقفت أمام لاقط الصوت أخذت أرتجف وصوتي يرتجف ولكني واصلت حتى تجاوزت مرحلة الخوف، لكني لم أنطلق كثيرا ولم أنافسه بل اعترفت بتقدمه، وكان المعهد منارة في تبوك فمديرو المعهد يحرصون على دعوة أمير تبوك والقاضي وكان للمعهد حفلا سنويا ولكني لم أذكر أي دور لي فيه.

كانت المرحلة مرحلة نمو فكرى وسلوكي من خلال دراسة المقررات وسماع نصح الأساتذة، وكذلك حبي لمجالسة كبار السن وعلاقتي الحميمة مع أقراني حتى مع زملاء الدراسة، وذات مرة سرت مع مجموعة من الزملاء لكي ندرس عصرا في البستان المجاور للخالدية من الغرب بستان خالد السديري وجاء أحد الزملاء العابثين ورأى زملائي الجدد، فأخذني على جنب وقال هؤلاء لا يصلحون صحبة لك فاعتزلهم، وقد رأيت مظاهر لم أعهدها من أحدهم، فأطعته وكان رحمه الله شاعرا غير منتظم في الدراسة. فشكرت له حرصه عليَّ رغم عبثيته. وكنت أقرأ خارج البستان ومرت سيارة ألمانية صغيرة في أرض رملية، وإذا بالمرأة تحادث زوجها: وتقول يتبلور الأمر في كذا، فلفت انتباهي لغة المرأة الثقافية التي افتقدها، وأيضا مر من جانبي بدوي يقود مطيته ويغني ذاكراً (الخراعيب). فاستغربتها وعدت إليها وإذا بها لغة عربية، ولغة قبيلة بني عطية تمتاز بالقوة فهم يميلون للإمالة، وإشباع الحروف، وقد جمعت عددا من الألفاظ المستغربة التي كان يعيبها الوافدون لتبوك من أبناء الجزيرة في مرحلة التوحيد الأولى

شبكة الألوكة www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فوجدتها كلها فصيحة، وهذا شأن لهجات القبائل الأخرى في المملكة وفي اليمن، والأردن والعراق.

لم تتكون شخصيتي على مستوى الدراسة إلا في السنتين الأخيرتين من المعهد، فقد قدرني المدرسون، وأثنوا علي، ولم يكن هناك ضرب من المدير ولا من المدرسين لدفعتنا بالذات، ونافست على الأول، وكنت مقدما في الفصل، حتى أصبنا بالتعالي على مدير المعهد الفاضل الحازم ولكنه أدرك الحالة النفسية وأخذني جانبا ونصحني، ومع ذلك أصررت على التحصيل وإتقان المواد، وجاء الأساتذة في شرح ابن عقيل وكان المعلمون أساتذة، فهم علماء وهم آباء وهم حريصون على طلابهم، وهم نصحاء مستشارون فلهم بعد الله الفضل بتكون شخصيتنا المعرفية وبناء الهمة والطموح حتى المراقبين في المعهد كانوا أصدقاء وهما صالح حماد البلوي، ومحمد القنيفد اليامي. وقد زرتهما في نجران بعد إن صرت مديرا للمعهد العلمي بتبوك وأكرماني أيما إكرام.

وفي المعهد لم نشعر بعنصرية ولا قبلية أبدا، فتخرجت فيه وفي الجامعة ولم أعاني منها، وربما ذلك يعود لطبقتي الشعبية البعيدة عن روح التنافس العنصري أو المالي حتى القبلي لم نشعر به، وكان أخي الأستاذ محمد قزان العسيري أكثر مني إطلاعا، وكنت أشعر بأمراض جانبية فقررنا أنها بسبب عدم الحركة، وقررنا أن نلتحق بالنادي الوطني في تبوك. وجهزنا المتطلبات وذهبنا وسجلنا، ثم مارسنا لعب الكرة الرياضية. في ملعب ترابي بشمال بستان خالد السديري، ولكننا لم نحاول الولوج إلى مقر النادي وهو تحت مقهى يسمى الشيشة ولكننا نلتزم بالحضور فنذهب إلى التمارين عصرا ولم نلبث إلا أياما وذات يوم أقبلت سيارة الشرطة (فور) فحملوا كابتن الفريق الأسمر الرشيق اللطيف، وبعض الأفراد فلم نحفل وقلنا مشكلة مضاربة حتى جاء الخبر الصاعق بأنهم قبضوا على رئيس النادي ولا نعرف عنه إلا (القرص)، ووجدوا مصنعا للخمور في المقر،

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

فداهمنا الخوف والخشية، واحتجبنا في بيوتنا لم نذهب لا للنادي ولا للملعب، وكنا على وجل من كل سيارة تمر في شارعنا نخشى أن تداهمنا الشرطة، وكنا على هذه الحالة أياما إن لم تكن أشهر. ولكن الله سلم وكانت أول علاقة وآخر علاقة مع الأندية الرياضية حتى بعد التخرج والشهرة عرضوا على عضوية بل رئاسة شرفية فلم أرض بشيء من ذلك.مع أنه ظهر تنظيم ونشاط ثقافي ورقابة واعية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكلية

تخرجت في المعهد العلمي وحصلت على الترتيب الأول، ولكن ترتيبي على مستوى المملكة السادس والستين ويعود ذلك لعدم ثقافتنا في المعهد.

كان الاتجاه أمام الجامعات والكليات العسكرية وكليات الرئاسة والشريعة واللغة، أما العسكرية فلم أجرب التقدم لها، لأن عيني لا تؤهلني، والحيرة ألمت بي بين الالتحاق بالشريعة أو اللغة، فالشريعة عندي خشية منها تمس الدين وهي أني لم أستوعب العقيدة الوسطية، فخشيت علي ديني وأما عقبتي كلية اللغة فهي مادة التعبير، فقد أخذت درجة ضعيفة، ولكني آثرت اللغة العربية ومع ذلك درست مادة المذاهب القديمة على يد الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز الربيعة، فاستوعبتها أيما استيعاب.

كانت المواصلات عبر عربات الأجرة، ولم يكن للطيران ذكر لنا أبدا لقلته ولغلاء تذاكره. كنا مجموعة من الزملاء اتفقنا على السفر وأخذنا إحدى العربات، وسارت بنا إلى المدينة المنورة أتذكر منهم، عطاالله سلمان هرماس وعواد عيد العطوي، ومحمد عبدالله قزان عسيري، وأحمد محمد الحربي المغربي وتعرفنا على أحمد الجيزاني من الثانوية العامة. ونزلنا الرياض واستأجرنا بيتا طينيا مخيفا ننزل له في ظلمة تحت الأرض بجانب شارع الثميري، وشارع الملك فيصل (الوزير) وهو بالقرب من الأمانة وقريب جدا من الكليتين، وكان المتنفس لنا الحديقة والأسواق التي نجوبها. وكان المستشار هو أحمد الجيزاني، وأول ما لفت انتباهي أن طفلا صغيرا لا يتجاوز السادسة من عمره يشتري جريدة ويقرأ فيها بالحديقة. ونحن لم نعهد هذا بل لا قدرة لنا عليه، فأدركت المكونات الثقافية ودورها.

الجديد و طريف NEW & EXCLUSIVE

المعاناة قوية فنحن خرجنا ولم نتدرب على الطبخ، وفارقنا أهلنا ولم نجرب الغربة ولا تواصل إلا بالرسائل التي تمكث أكثر من شهرين، فلا هاتف أرضي، ولا جوال ولا طيران، فكانت النفوس متوترة والمشاجرات تكثر ولكن نصبر ونصابر. ونتصالح ولكن رغم تنوعنا لم يكن هناك تحيز عنصري، ماعدا أحمد الجيزاني الذي يرانا بدوا فيتعالى علينا وله معارف بالرياض يذهب ليخدم عندهم، لأن أكثرهم كان يعمل في تبوك من كبار الضباط وله قدراته العلمية المحترمة. فكان تعامله أول نقطة مثيرة لي حول الفروق الفردية.

التحقنا بالكلية وكانت المفاجأة الكبرى أن تحولت الكلية عن مناهجها القديمة إلى مناهج حديثة يعود الفضل في ذلك إلي عميدها الدكتور عبدالله التركي. الذي أضحى أول مدير للجامعة عام ١٣٩٥هـ وجاءت البحوث القوية التي قادها الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا. وقدم إليها عدداً من الأساتذة من مصر، وهم علماء أفاضل أكثرهم تسلم مناصب في الأزهر ولهم مؤلفات عظيمة، والثقة تطفح منهم، والعلم يتدفق من طرحهم والنكات تجتذبنا، والترغيب يدفعنا، وخشية الرسوب تلهب دراستنا، ولطول الزمن بين بداية العام والاختبار فإني لم أستطع أن أضع منهجا للدراسة فأجلت المذاكرة إلى الشهور الأخيرة وأشغلت نفسي بالثقافة الجانبية، فقد قررت أن أشتري كل شهر كتبا بمبلغ خمسين ريالا مع أن المكافأة ٣١٥ ريال وليس هناك سكن ولا مواصلات.

ولم نلبث طويلا في بيتنا المظلم حتى انتقلنا إلى بيت طيني أحسن حالا في حي ابن نصار، مجاورا للحلة سوق الخضار الكبير ويسمونها حلة العبيد. وهناك ابتدأت رحلة العزوبية. والتزمنا بمواعيد المحاضرات المتواصلة في نظام الكليات، وبهرتنا الأسواق، وألبسة النساء (ثوب الشوال) والعباءة المطوية على الخصر والبراقع واليد التي تظهر لنا فنصف الكم لم أعهده في تبوك، وكذلك النساء الشاميات والمصريات اللائي لم يعملن

بتغطية الوجه، ولا أنسى الموكب في حلة القصيم الذي يسير وراء امرأة هندية شعرها إلى الخلف وقد تجاوز منحنى ركبتيها إذا لم يصل إلى أقدامها.

وكانت نارنا تعتمد على (الصوبة) وهي شعلة تعبأ بالقاز نارها هادئة ليست قوية (كالدافور) وهي أخفض تكلفة. وكنا نتداور في استلام العزبة كل يوم على واحد، يصنع الأكل ويحضره من الأسواق، غداء وعشاء ثم يقوم بتنظيف البيت والأواني ويسلمها بعد العشاء لمن بعده والعزوبية تصقل السلوكيات وتنميها وتروضها، وكان أكثر الإخوة لا يأكلون لحم الإبل، وهو أرخص من لحم الغنم بالنصف، ونحن لا نتجاوز الكيلو بست ريالات للغنم، فقررت أن أعمل تجربة، فجلبت كيلا بعيرا صنعته وقدمته لهم، وثاني يوم أخبرتهم به، ولم يحصل لهم شيء، فأقبلوا عليه في أكثر الأحوال. فلما قرب الاختبار قررنا أن يكون الغذاء في المطاعم القريبة والعشاء نواشف في البيت. وكان صحن الرز بريال والإدم بريال، فما نستطيع الجمع بينهما، مع قدرتنا على أن نأكلهما معا ولكن المبلغ كبير حتى رأينا الضعف يدب فينا. فقررنا في السنة الثانية أن لا نتعامل مع المطاعم وكان يوم الجمعة مشهوداً بكبسة زميلنا عوض العطار واللحم دائماً قليل وكذلك الدجاج وإنما العبرة بالأرز.وقد التحق بالعزبة مسلم فريج وهوشاعر نخشى هجائه وحمود محمد ابن جريدة وهو شيخ نخشى دعائه ودخيل الله الخضري وهو مسالم قليل المزاح.

كان عطاالله بن هرماس يمثل شيخ القبيلة التي يريد أن يتحدث باسم قبيلة العزبة، فرفضنا ذلك حين حل علينا زميل لنا فقدمنا غداءنا فقال قبل أن يستشيرنا الله يحييك على الفال يتبعه العقال. معنى ذلك أن الذبيحة في المساء. فقلنا له أنت من عندك أصنعها فلست أدري هل تناسينا أم وفر الضيف.

وكـان عـواد عيـد المـدمي يمثـل الشـيخ المفـتي الإمـام فهـو في الشـريعة ومهـتم بالإمامـة، والـدعوة، وكـان رحمـه الله دمـث الأخـلاق، يحتمـل الجميـع، وجـاءت جماعـة التبليغ والتحق بهم ثلاثة أيام، فلما عاد كان أكثر التزاما وتشددا، وكان عندنا ضيف هو سالم العطوي وكان يدخن فنهاه بشده فمازحه الضيف بالرفض فقال إما أن تترك الـدخان أو تخرج، فلاطفنـا الضيف وهـو أكثر وعيا وإدراكـا. ثم عـاد عـواد إلى روحـه المرحة. والتحق بنا أحد الزملاء في الشريعة ويدعى أنه داعية فهو داعية العزبة وله مكتبة النور وكان لا يتأثر بغيره أبدا ولا يواكب التطور مع أنه كريم ولا يعتدي على أحد، لكن لا يؤثر ولا يتأثر وكنا نشدد عليه حتى أحس أننا دائما نتكلم فيه، فأخذ يعاند ويخالف وأنا كثير الاعتراك معه، وكنـا في بيت لـه سطوح نسـمر فيهـا وتارة نشاهد فتيات تعلو رؤوسـهن الجـدران فنعـابثهن بالإشـارات وهـن راغبـات في ذلـك، وكـان ينهـانا عـن هـذه الفعلة المحرمة، وحجرته هي التي في السطوح، ومرة نزلت وطلعت مباشرة من الـدرج الخلفي فإذا هـو يطل برأسه، فقبضت عليه وهـو متلبس بجرمه لعله يغض النظر عن عبثنا. ومن جهة ثانية تطل فتيات علينا من قرب، وكان زميلي العسكري مفتخرا علينا بتـاج الكليـة وأراد أن ينـال الحظـوة عنـدهن فلبس الكـاب وأطـل عليهـن واختفـين إلي الأبد، لأنهن اعتقدن أنه شرطي.

كـان بعضنا مهتم بالثقافة وبعضنا لا يهتم إلا بالنجاح فقـط، وحين نتحدث عنهـا نعـاني مـن الإخوة الـذين يبيتون عنـدنا مـن الكليات العسـكرية فهـم يريـدون النـوم ونحن نريد الحديث فيشتموننا بالفلاسفة.

كنت قليل النوم ولا زلت، فيهجم علي الأرق كثيرا، فحاولت معالجته بالقراءة واشـتريت كتـاب دع القلـق وابـدأ بالحيـاة، وقـد حاولـت شـراء راديـو لكـني لم أسـتطع، فأخذت أقرأ كتب التاريخ في وقت النوم، فيداعبني النوم بعد عدد من الصفحات. وكنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميعا نتمنى السفر للأهل في تبوك ولكن المادة لم تسعفنا فنكون أكثر ألما في أيام الأعياد. فلا فرح ولا عربة ننتقل فيها ولا أناس نزورهم سيما في السنة الأولى وقد التحق بنا مسلم بن فريج العطوي، وكان زميلا في الدراسة في المعهد وكنت أرقبه قارئا فهماً، وسار على نهجه في الكلية فهو يمكث الساعات في حجرته، ويأخذ من الدرجات المتميزة نظرا لثقافته، وهو شاعر ولكن ولله الحمد لم تتفتق شاعريته علينا في العزبة.

كان زمننا زمن البحوث الصغيرة، وزمن تعليم القراءة فويل للذي لا يجيد القراءة من اختبار القراءة ولا سيما عند عبد الرحمن باشا الذي أرهب وزعزع توازننا. ويدرسنا علماء مشاهير بتآليفهم وبقدرتهم علي اجتذاب الطلاب وحرصهم على التدريس وكنت حاضرا مع الأساتذة مناقشا محاورا وأحد الأساتذة أعلن عن جائزة في القاعة مكونة من لباس أزهري لمن يذكر البلاغة والدلالة في قوله تعالي ((ألا يسجدوا)) فاتممتها وتمنيت أن أحصل عليها ولكن ذهبت في طي النسيان فانا أعفو عن حقوقي منها وكنت مع زميل لي متحفظا فكنا نتناقش حول الحب وتجاربه فقال والله لم أحب في حياتي وحياته قصيرة فبادرته بقول الشاعر:

إذا لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعير في الفلاة سوى

فأقسم أمام الجمع أنه يعشق واحدة، وكان لنا زميل يظن أن تبوك في المنطقة الشرقية، وسأله الأستاذ عن (الريم) فتوقف وقلت بصوت منخفض الجحش فقال الجحش واهتزت القاعة ضاحكة.

كنت بالقاعة أصحب شريحة متميزة لهم ثقافتهم وهم من الأوائل وقد نالوا الدكتوراه، وكان لي معهم صداقة وحوار وهم الدكتور/ محمد إبراهيم الشيبان، د/معيض

العوفي، د/فهد سنبل، د/محمد الفاضل وغيرهم والواقع أن الدفعة تلك في أربع قاعات أكثرهم له مكانته في الوظائف الحكوميه ولهم دورهم في الجامعة. صحيح أني أحاور وأناقش غير أن درجاتي أقل منهم بكثير، وربما لعقدة التعبير التي أحملها وكان لمكتبة الرصيف دور في شراء الكتب والمجلات فمجلة العربي التي تتواجد نشتريها بعد فترة من السوق السوداء لرخص سعرها، والمجلة الأخرى مجلة المجتمع الكويتية فكنا نحرص عليها، ونحن نقرأ الصحف ونتابع الحركة، وكذلك نتابع المحاضرات العامة في الكليات وجامعة الملك سعود وتعرفنا على المكتبة الوطنية، والمكتبات التجارية، وزرنا مكتبة دخنه التابعة للمفتي.

وقد كان بحثي في المستوى الرابع عن سيد قطب مفسرا وناقدا فقرأت كتبهُ وتفسيره وكتبت عنه في سبعمائة صفحة أكثرها نقول، فاستفدت فائدة عظيمه وكنا نشتري القصص العالمي ونقرؤه مثل فكتور هيجو، ودستوفسكي، تولستوي، والبيركامو (الطاعون ،والأرض الطيبة وفي مهب الريح) وجميع مجموعات شكسبير وتوفيق الحكيم وكتب طه حسين والعقاد وقد مارست كتابة القصة وتقدمت بها لكن. لم أصدق عند الإعلان أنه اسمي وكنا نتابع خطب الملك فيصل وخطب جمال عبد الناصر.

كنت بالقاعة وأحمل معي عملة أردنية حديدية، جلبتها من أول رحلة للأردن للعقبة فأخذ الطلبة ينظرون فيها ورمى أحدهم النقود علي من بعد، فأحدثت صوتا عاليا وهي تعلو وتنزل على الطاولة أمامي، فرآها الأستاذ في القاعة فاشتاط غضبا وأطلق لسانه بسيئ الألفاظ علي وطلب مني الخروج من القاعة، وقد أظلمت القاعة علي وعلا الدم وجهي غضبا وهو لم يقبل مني إيضاح الأمر، فنهضت واقفا بنية عدم العودة للدراسة أبدا ولكن الطلاب شفعوا لي فاستجاب لهم جزاه الله خيرا وجزاهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي هذه الرحلة الأولى للأردن بعد السنة الأولى من الكلية وأنا طالب جامعي سافرت إلى (حقل) ولأول مره أشاهد البحر بأمواجه، وحدقت فيه النظر طويلا وأول مرة أنال التكريم، فقد ذبح أخي محمد ذبيحتين، ثم أتى إليهما جمع كبير، ومنهم أمير حقل إبراهيم أبو مزيد، وجالسته في تلك الإجازة، وكان الجيش السعودي مرابطا في الأردن بعد حرب الأيام الستة سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ومنهم فرقة بالعقبة فيها الملازم في ذلك الحين سليمان بن سعيد الروضاني، كان موضع احترام الجميع، فقرر جمع من الأصحاب زيارته وذهبنا في (ونيت فورد) كنا مجموعة منهم الأخ محمد وأحمد سليم، وخضر العرجان وسعود العرجان وغيرهم، ودخلنا العقبة صباحا فهي قريبة منا وقرروا الإفطار في أضخم فندق على الشاطئ ويا للهول أرى امرأة تسبح بالمايوه أمام الجمع وهن مجموعات، وهالني حديثهن بالعربية، وتمددهن على الشاطئ ذهلت، وعفة الجنس المقدس في نظري ولم أر الأنوثة فيهن بل رأيت حيوانية، إنها صدمة لي فقد كنا نتمنى أن نرى صدرا من امرأة أو ذراعا أو ساقا أو لبسا نرى منه معالم الجسد وكل ذلك لم أره من قبل هذه الحادثة، وفي تلك الجلسة رأيت السفن التجارية والسفن الإسرائيلية لا يفصل بينهما إلا أمتار من المياه. ثم انتقلنا إلى قلاع يرابط فيها الجيش قريبا من العقبة، وفي الرحلة أتضح لنا الشبك الحديدي الذي يفصل العقبة الأردنية عن إيلات الإسرائيلية، وذهبنا إلى سليمان في المعسكر في إحدى التلاع وفي خيام يعلوها قماش ملون بشكل الأرض ولأول مرة أعرفه، ولكنها بداية الصداقة العميقة والصحبة الطويلة مع سليمان بن سعيد فقد تآلفنا من أول لقاء، وقد رأيته يولي حديثي اهتماما، وأنا أقرب الوفد للثقافة والطرح الذي يناسب الضباط من غير القبيلة. ثم عدنا وقد بقي معي أكثر النقود التي دفعوها تضامنا لصرف الرحلة، وقد تسامحوا معي في المحاسبة بل لم يطالبوا بها وبقى معي تلك الخمسة قروش التي سببت المشادة في قاعة المحاضرة التي كادت تجهض

دراستي وربما لأنني لم أوزع الباقي ولم أطلب السماح والإعفاء مع أني صارحتهم ببقائها وعدم دقتي في صرفها ولعل الحادثة تكفيرٌ لي.

حادثة الغضب:

كان مبنى الكلية مكوناً من ثلاث طبقات مكونة من الدورين الأسفلين مع الردهات المخصصة لكلية الشريعة، والدور الثاني مع السطوح مخصص لكلية اللغة وتكاثر الطلاب في الكلية، وكانت المباني مشرفة على شارع الملك فيصل (شارع الوزير) ولما تحين الفسحة فإن الطلاب يملؤون الشوارع والساحات والمطاعم والمقاهي ويعيقون حركة السير، فصادف قدوم أحد الأمراء فتحادث مع الرئاسة للكليتين، فقرر عميد كلية اللغة العربية الدكتور/ عبدالله التركي (رجل المواقف) أن يجعل بوفيه في السطوح، وقرر قفل الدرج النازل للشارع والدخان كان جرما لا يغتفر وشريحة من طلاب الكلية يتعاطون الدخان، فلما انطلق جرس الفسحة تدافع الطلاب في الكلية على بعضهم، وكادت أن تحدث وفيات وانطلق بعضهم للعميد ليتفاهم معه لكن الشر كشف عن نواجذه فخشي أو خُشي عليه فأغلق الباب وامتنع عن المقابلة، وصعدنا إلى أعلى وأخذ الطلاب يقذفون بأكواب الشاي وأباريقه على البوابة الرئيسية التي يدخل منها الطلاب وأعضاء التدريس في أثناء عودتهم من الفسحة، ثم القوا الطاولات وقذفوا بالدخان عند باب الشريعة، كل ذلك من السطوح وتأزم الموقف، وفتحت الأبواب، وعدنا إلى قاعات الدرس.

وجاء الدكتور/ فوزي فيض الله سوري الجنسية عميد كلية الشريعة في دمشق أنيقا لطيفا ولكنه كان غاضبا وصب إعصار الغضب في القاعة، فبادر قائلاً (هذا العمل لا يعمله اليهود)، فشتموه فصبر وأخذ يكتب على السبورة وقذفوه وهو يكتب

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو صابر، فأحس أن الأمر لا يحتمل النصح، وكادت أن تقع فتنة بخروج الطلاب من القاعة، ولو خرجوا للحقت بهم القاعات الأخرى، والواقع أنني أشاهد ولم أشارك وهذا شأني فعندي قناعة ألا أشارك في مشاركة فيها هرج وضرب، وإنما أجيد التنازع بالجدل وكفى. ولم نعد من الإجازة إلا في مبنى منفصل جديد في جانب من الأرض، وعلى إثر الحادث أعيد فتح الأبواب فالطلاب أكثرهم وافدون من المناطق الأخرى فلا قهوة ولا شاي أو فطور إلا في المقاهي والمطاعم المجاورة للكلية.

ومن الأساتذة الذين عانوا من ثورات غضب الطلاب الأستاذ/ زهير الخالد لم يحمل الدكتوراه، ولكنه مجتهد، كأنه من الإخوان المسلمين الذين فروا من سوريا وكانت الكلية فيها قوة للجانب السوري فمنهم الأستاذ/ عبد الكريم عوده وهو وزير سابق يدرسنا مادة الثقافة الإسلامية، ومنهم عبد الرحمن رأفت الباشا، وأتى معهم عبد القدوس أبو صالح الذي طال مكثه في الرياض، وكان متحدثا بارزا وذا ثقافة عالية، وحريصا على الاتجاه الإسلامي، وقد التحق بمنظومة الدعاة إلى الأدب الإسلامي وأصبح رئيس لها.

دخل الأستاذ زهير القاعة وكان غير محبوب لهجومه الصارخ على كل من يخالف اتجاهه، فهو شاب مندفع، فلما أخذ يكتب على السبورة صدرت أصوات صفير من أحد الطلاب، فالتفت إلينا وقال ما هذه الصراصير فثار الطلاب في وجهه بالصراخ والتهديد وصبر وصابر وكتب فأخذوا يقذفونه بالطباشير وغيرها. فالتفت وهو يحاول التهدئة والاعتذار، وقال أنا لم أقلها إلا بعد ما سمعت الصفير، فأنكر بعض الطلاب ورآني ساكنا لم أدخل في الهرج والمرج تقديرا مني للأستاذ أي أستاذ أو جبناً أو إدراكا لغربتي، وكذلك لا نصير لي، فأعرف أني سأكون كبش الفداء. فتوجه لي وسألني بالله العظيم، فقال ألم تسمع الأصوات، فقلت بلى سمعتها، وهنا سكتت القاعة واستمر

في محاضرته وأنا في شغل عنها بما قد ألقى من زملائي الذين لم أصطف معهم، فانتهت المحاضرة ولم يلو على أحد من الطلاب بأي نظرة عتاب أو قول لوم إنه الحق الذي أخرس الألسن.

كانت الرهبة الكبرى من مادتين، إحداهما مادة القراءة، فقد كانت لجنة الدكتور الباشا سداً يصعب تجاوزه فهو يرسب الطلاب، فأشعل لهيب الخوف فينا حتى عند اللجان الأخرى فكان حظي أن التحقت بلجنة أساتذة مصريين فكان همهم الأول إطفاء وهج الخوف حتى نتمكن من القراءة.

والمادة الأخرى هي مادة قاعة البحث وإعداده، وفي هذه المرة لم أنج من الالتحاق بمجموعة الباشا، وأعددت بحثا عن السيد قطب في ٧٥٠ صفحه نلت عليه ٧٥% درجه والواقع أن الدكتور عبد الرحمن الباشا له دوره في الكلية فالطلاب يحضرون عنده في القاعة الكبرى بالمجموعات الأربع فيحضر ٩٩% وهم يعلمون ألاّ تحضير. فهو يحمل علما وجاذبية ونصحا. وهو أول من عمل في إيجاد البحوث في الكلية ومنه انطلقت فكرة الأدب الإسلامي، وكتابه (نحو أدب إسلامي) هو الأول في هذا الميدان وكل من أتى من بعده نهج نهجه.

الضيوف:

كنا مشحونين بالكرم واستقبال الضيوف ونتمنى أن يعلو شأننا بالكرم، لكن (العين بصيرة واليد قصيرة). وفي أول ضيوف سمعت بهم ذهبت إليهم ودعوتهم وأعددنا لهم كبسة الدجاج غالية الثمن في ذلك الزمن، واستمروا عندنا ليالي، ولما عدت لحقل عند أخي، إذا بأحدهم يقود سيارة (الفور) وجئت لأسافر معه إلى تبوك وكنت مزهوا بكوني طالب جامعة وكذلك أنني ضيفت هذا الرجل في الرياض، فأردت أن أركب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بجانبه في مقدمة السيارة فقال: أطلع فوق أي في الحوض، فكانت الصدمة وبعدها لم أحاول أن أدعو ضيوفاً عندي من الآخرين، وإنما انحصرت على الذين يأتوننا متعمدين وهم ليسوا بالقلة، فالزمن لا يوجد فيه فنادق والحال ضعيفة وزمن الإقامة طويل، فالناس يلجؤون لأقاربهم ومعارفهم. ونحن جمع من العشائر، وقل أن نستخدم الذبائح فالضيوف يقدرون الحال ويحرمون، وكثير منهم من الذين لهم مطالبات عسكرية كالتقاعد، والواقع أنهم يساعدوننا بالعمل في إعداد الطعام، وتارة بجلبه من الأسواق، ومن الضيوف الزملاء الضباط فقد أتى الملازم/ سعود اليوسف، والملازم/ زعل سالم العطوي إلينا بعد تخرجهم بعام في دورة ونزلوا عندنا وأعطيناهم المجلس سكناً وهم أثرياء برواتبهم فمعهم المسجلات ومعهم المذياع، وكانوا يزهون علينا برتبهم العسكرية، ويلمزوننا بأننا ندرس أولادهم، لاحقا وسنكون في خدمتهم وكانت إقامتهم أيام الامتحانات الطويلة التي تستمر شهرا ففيها من ضيق النفوس وفيها من الإرهاق ما فيها، وكانوا يرفعون أصواتهم وتسجيلاتهم ظهرا وعصرا وليلا حتى التلفاز يرفعون صوته فكان الزملاء أكثر صبرا مني فقد صارحتهم بهذا ولم يبالوا بمشاعرنا، فكتبت على بابهم رجاء الالتزام بنظام الطلاب للمذاكرة، ثم مسحتها مسحا خفيفا وإذا بالملازم زعل يقرع حجرتي ويقول لماذا لم تكن شجاعا وتبقيها، فقلت له ببساطه: أنا سأقرؤها عليك وقرأتها تماما. ولم يلبثوا أن استأجروا شقة فارتحنا في مذاكرتنا وكنا في السنة الرابعة في زمن الامتحانات النهائية والحادثة لم تفسد للود قضية فكنا نزورهم ويزوروننا في تلك الفترة واستمرت صداقتنا إلى يومنا هذا وقد بلغ كل منهم رتبة لواء وتقاعد.

وأحد الضيوف جاءني في الكلية وقال المراقب ناصر ذلك المحبوب والذي يضرب بي المثل لكل عطوي يأتي من بعدي فجئت إليه قلت أين الضيف، فهمس لي ألا تعرفه من هؤلاء قلت لا أعرفه فأشار إليه فأخذته إلى المنزل، ووضعت الماء كي يغلي

الشاي وانطلقت وأتيت بلحم بخمسة وثلاثين ريالا هي كل ما أملك والرجل يقود سيارة أجرة فلما عدت ذهبت إلى الماء فوجدته لم يغل، وذهبت إلى المجلس فلم أجده وبحثت في البيت وسطوحه فلم أجده، وإذا به يهرب أو يغادر وخسرت نقودي.

وكان سليمان الزميلي يعمل في السلك العسكري في المدينة المنورة فمرض وجاء إلى الرياض، وأشتد عليه المرض وكان يطلب والده، فحاولت أن يأتي والأخبار لا تصل إلا في شهر بعد شهر كامل، وكان في حجرة تساقط أصحابه بالموت فيها وقد أشتد عليه المرض حتى وصل إلى نزيف داخلي وذات ليلة وصل والده من تبوك واستقبلته في موقف السيارات وأخذته إلى المنزل وهو تعب مرهق وقال أنا لا أريد إلا القهوة، ونحن لا نتعامل مع القهوة ولا أدواتها فماذا أعمل فذهبت لجيراننا وزملائنا من طلاب المدينة المنورة فأحضرت القهوة وأدواتها لكني لم أنجح في إصلاحها. أخذت الرجل في الظهر لابنه، وأوقفته حرجا لكي اطلع إلى المريض هل مات أم مازال حيا. فلما رأيته رجعت إلى الأب وأقبل وكان منظرا أبويا مع ابن شاب يحس بدنو أجله، وكان المستشفى بعيدا منا وكان حوله سكن الجنود في (صنادق) ونعرف بعضهم ونزورهم فقال أنا أريد أن أسكن عندهم قريبا من سليمان، وهؤلاء العسكر أكثر منا استقبالا للضيوف وإعداد القهوة والذبائح، وجوهم يناسب كبار السن وكل رواتبهم تصرف على الضيوف، فجئنا لهم وسكن عندهم وصنع خبزا على يديه وأخذه لابنه فأكل منها وأخذ المريض يتماثل للشفاء حتى عافاه الله وهو مازال حيا حتى أيامنا هذه وكان هؤلاء العسكر نلجأ إليهم للأنس، ويدعوننا للولائم ونهفو إليهم أيام العيد، وسكن هو عند سالم بن عيد بن جريبيع رحمه الله، ومن جيرانه نصر بن عيد العطوي، ومساعد المصبحي، ومحمد بن دحيلان.

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن المواقف التي تجاوزت فيها الحدود كان زميلنا عوض العطار عسكريا وله أصحاب عمل أرحام، فأخذوا يأتوننا للعب الورق وجاملناهم أياما وتكاثروا، حتى أن زملائي من طلاب المدينة حذروني من هذه الجموع، وفي ذات ليلة أخذت الورقة معي فلما عدت من الصلاة أخذوا يمازحونني هات الورقة بسرعة، فقلت لهم نحن طلاب مغتربون ندرس فإذا رسبنا فالفضيحة لا تحتمل، ولكن نحن نستقبلكم في ليلة الجمعة بعد أن ندور عليكم في بيوتكم وكانوا يملؤون المجلس فقالوا والله معك حق وجلسوا دقائق وانفضوا ولم ينعقد الاجتماع إلى هذه الليلة. وكنت أقف حازما أمام كل شبهة وذات مساء وفد علينا ضيفان أحدهما كان يأتي ولست مرتاحا له رغم التأكيد فجاء بآخر لم أعرفه ولكنه يبدو من أقارب بعض الزملاء، فلم ارتح له وتكلمت فيه همسا لبعض الزملاء فلم يظنوا ظنوني ولم يلبث الرجل أن قبض عليه في تبوك، وجاءنا ضيف آخر فاستشارني أحد الإخوان في العزبة، فقال إن معه حبوبا فيرى أنه يتاجر بها قلت له أرجو ألا نرى هذا الضيف أبدا وإذا أردت ذلك تخرج من العزبة. فكانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها ذلك الضيف، وصاحبي الذي جعلني مستشارا كان يطيعني حتى اليوم في كثير حتى أني ثنيته عن الفصل من عمله ليلتحق بمؤسسة فاشلة.

كنا في البيوت الطين ذات الجس وليس فيه مكيفات، وإنما مراوح نسير على أقدامنا للكلية كل يوم ذهابا وإيابا أربعة كيلا على الأقل وكذلك ننطلق للأسواق يوميا فهي المتنزه، لم نملك سيارة ولا نعرف من يملك سيارة لم نصل إلى (الناصرية) ولا طريق (خريص)، وكان العوز هو الأغلب، ومن الطرائف أننا نكرم الوافد بنصف كيلو لحم. وذات مرة اعتذرنا لزميلنا حمود محمد الجريدات وقد كان متزوجا وعنده قدره على التوفير للذهاب، وربما دعم من والده فلما عاد قدمنا قطيعات اللحم واعتذرنا له فقال أما أنت يا عواد فعندك فلوس، ولم يقبل العذر.

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

وفي إحدى الأجازات لم يبق إلا ثلاثة عطاالله بن هرماس الذي تسلم إدارات في الجمارك، في منطقة تبوك وفي منطقة الإحساء ثم مدير الإدارة المالية في تبوك ودخيل الله سالم الخضري تسلم إدارة العمل في تبوك كنا ثلاثة على مائدة الغذاء المكونة من قطع الكرش وقليل من اللحم وأزعم أني أكتب قصيدة هجاء في دخيل الله فاحتج بشده وبدأنا نتشاجر وتماسكنا بالأيدي ففض النزاع عطا الله وعدنا مباشرة على الصحن على خلاف ما أعتقد عطا الله أنه لا شريك له في الغذاء فتحول الأمر إلى ضحك.

شارفنا على الانتهاء من الكلية بإطلالة الامتحانات وكانت طويلة تمتد شهرا أثقلتنا بمذاكرتها، وبهموم النجاح فهو ليس ميسورا كوقتنا الحاضر الذي تقام الاحتفالات بها قبل النتائج ونحن مثقلون أكثر بما وراء التخرج، داهمني مرضي أيام الامتحانات ولم استطع المذاكرة لمادة البلاغة ومع ذلك نجحت، وقد حلمت أني أريد أن أركب طائرة، لكن أقلعت قبل أن أطلع فيها وتدلى منها شقة بيت شعر فتعلقت بها ولم أسقط أثناء الطيران، حتى صحوت من النوم واستحوذ عليّ خشية الإخفاق لكن لم نلبث أياما حتى خرجت النتيجة بالنجاح بتقدير جيد وكنت متطلعا للدراسات العليا. وكيف أتواصل معها مع التوظيف الذي لابد منه وهو ميسور لكن الكيفية هي القضية.

التحول من الإبل إلى العربات:

تشكل البادية دائرة كبرى حول تبوك تتباعد إلى أكثر من مائة كيلا وأكثر دروبها وعرة في الأودية، وقمم الجبال وسفوحها، بل وتلالها وتكثر الصحاري في شرقها وتمتد حسمي في غربها، وكثير منها كثبان يصعب اختراقها بالسيارة، ولكن الناس بدأوا بما يشبه مرحلة الاكتشاف فأخذت السيارات تسير حذو نزل العربان وتقف حين لا يستطيع سائق السيارة العبور بها وأحيانا يعمل الركاب أمام السيارة حتى تكونت هناك

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما يسمى بالمحطة تنزل حمولة السيارة فيها ثم تأتي الإبل لتحملها إلى نزل البادية وهذا الشأن في سائر الاتجاهات ثم بعد ذلك أخذ كل أبناء واحة أو آبار بتسهيل الطرق وأول من اشتهر بفتح الطرق رويعي بن سلامة المحينة، فقد قام معه بعض أولاده بفتح طريق واحة البديعة وكان يجد اعتراضا وتخريبا من بعض أهل البادية يريدون منع الناس من تواجدهم بكثرة، ولا سيما أن بعض العابثين يخرجون بسياراتهم ليطلبوا الصيد والاحتطاب. وقد سرت في أكثر الطرق فازددت عجبا من كثرة الطرقات في أماكن وعرة جدا وحين أذهب إلى حسمي تعترضنا الكثبان الرملية التي لا تتجاوزها السيارة إلا بعد حفر ودفع من الركاب، وربما يبيتون ليلة ويمكثون نهارا، وهذه السيارات تحمل أرزاق النزل المتجاورين وتحمل ركابهم ونساءهم المرضى ونحن نرى معالم تلك الطرقات التي وصلت إلى سائر الواحات وما زالت وعرة حتى الآن مع أن وزارة النقل تحاول تمهيدها وتسهيلها.

وقد أخذت الأسر تبعث بابنائها إلى المدن أو القرى التي فيها مدارس يسكنون عند أقربائهم من الأخوات أو الأعمام أو الأخوان، وربما يكون الأبناء الذين تجاوزوا العاشرة يتفقون فيستأجرون بيتا، وجذبت تبوك وحياتها المدنية كل شاب فترك البادية رغبة منه وتطلعا إلى الوظائف مع ممانعة من والديه، وأحيانا لا يمنع أكثرهم الرفض القاطع من والديه، وأغلبهم يعود لوالديه وقد حمل لهم الأرزاق والألبسة، وأصبحت الفتيات يتمنين الزواج من هؤلاء الموظفين هروبا من البادية وشظف العيش فيها، وكان النساء أسرع إلى التلاحم مع معالم الحضارة مع الألبسة ومع أدوات الطبخ ونظام الدور السكنية، والفارق الكبير أن الشباب والرجال يرغبون العودة للبادية والخروج من تبوك في رحلات برية، أما النساء فهن أقل رغبة، وقد تتجلى المرأة فتتحول من السمرة إلى البياض الصافي فيشرق وجهها وتجذبها معالم الزينة والنظافة والأناقة، بينما الرجال غالبا

الجديد و الطريف
NEW & EXCLUSIVE

لا يعتنون بالألبسة ونظامها ونظافتها، ومما زاد من تحول الأسر إلى المدنية تعلم الأبناء والبنات والتجاور مع الأسر المتحضرة، فكل ابن وابنة تعمل جاهدة لنظام المنزل ونظافته، والتحول من إيقاد النار إلى استعمال الغاز، ومن الحوش الترابي إلى البلاط أو الطبطاب الإسمنتي. إن التحول حدث فيما يقارب ثلاثين عاما حتى أضحت القرى والريف بل وأبناء البادية يستعملون المكونات الحضارية من السيارة إلى مواقد الغاز إلى الفرش الجميل، وقد تطورت المائدة من نوع واحد إلى أنواع متعددة وقد أشار لها الشعراء.

فبعد أن حصلت على الدكتوراه، دعاني زميل الدراسة الأستاذ/ رشيد صالح الفاضلي البلوي لإفطار رمضان، واستصحبت معي صديقي الأستاذ مسلم فريج شاعر المنطقة، وإذا الإفطار ذبيحة وحولها الأطباق الكثيرة، وكنت أمازح الأستاذ مسلم وأمن عليه بدعوته. فكتب هذه القصيدة ورددت عليه بما يشبه ذلك وإليك قصيدة الاستاذ مسلم:

أنْعـــمْ بصـــحبة معشـــرٍ   الأنْـــسُ فـــيهم واللطافـــهْ

شـــهرٌ كـــريمٌ ضـــمّنا   مرفوعـــةُ كـــلّ الكلافـــهْ

في دار شـــهمٍ فاضـــلٍ   نلنـــا الكرامـــة والضـــيافهْ

جـــاء الحنيـــذ مفطّحـــاً   يزهـــو ويشـــمخ في كثافـــهْ

مـــن حولـــه الأطبـــاق قـــدْ   طافـــت عليـــه كـــذا طوافـــهْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صـــفّ العصـــائر والفـــوا	كـــه والقطـــائف والكنافـــهْ
عبقـــت روائحهـــا شـــذىً	والصـــبر صـــار علـــى الذَّفافـــه
وتعطلـــتْ لغـــة الكـــلا	مِ فـــلا نقـــاشَ ولا صـــحافهْ
أمّـــا البطـــون فصرْصـــرتْ	ذهـــب الحيـــاء ولا مخافـــهْ
جلْنـــا وصـــلْنا صـــولةً	خَمْشـــاً وبلْعـــاً وارتشـــافهْ
هـــلاّ رأيـــت ومسْـــعدٌ	يلتـــفّ حولـــه في حرافـــهْ
يرنـــو إليـــه مزمجـــراً	كالليـــث يشـــبه في التفافـــهْ
إن صـــاح يُفـــزِع صـــوتُهُ	مـــن في "قنـــا" أو في "روافـــهْ"(١)
يـــدنو إليـــه مشـــمّراً	بالحضْـــن لم يَـــتْرك مســـافهْ

(١) قنا: هجرة تقع في الحرة وهي مسقط رأس الدكتور مسعد، وروافه: مكان معروف في أطراف الحرة، وفيه معبد روافه من الآثار النبطية.

باﻟﺨَﻤْــــسِ ﻳﻬْــــوى ﻏﺎرﻓــــﺎً كشـــــيولٍ للطّعـــــس آفـــــهْ

إن رُعــــت مـــن لحـــس الصـــحو ن روى حــــــديثاً في النظافـــــة

إمّـــــا طرحْــــــتَ دعابــــــةً يرنـــــو إليـــــك وفي صـــــلافهْ

ويقـــــــول إنيّ امْـــــــرُوءٌ لا أســـــــتريح إلى اللقافـــــــهْ

فالوقـــــت صـــــار لصـــــالحي لا وقـــــت عنـــــدي للســـــخافهْ

صـــــاح ابـــــن صـــــالح واقفـــــاً مـــــا هـــــذا حـــــقٌ أم خرافـــــهْ

يا قـــــــومُ إنيّ حـــــــائرٌ فالـــــدّال ضـــــاعتْ والحصـــــافهْ

إن "الـــــــدكاترَ" نخْبـــــــةٌ في الأكـــــل يُلْفـــــى لهـــــم عرافـــــهْ

الأكـــــل أصـــــبح مطلبـــــاً أضـــــحى علـــــى قـــــدر الثقافـــــهْ

إذ مـــــا تُمـــــدُّ لنـــــا الصـــــحو نُ تـــــرى العجائـــــب والطرافـــــهْ

وهكـــــذا الإقـــــدام بـــــلْ مـــــن بعـــــد ذاك فـــــلا حســـــافهْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما كنت شاعراً لكنها ردة فعل لدعابة الشاعر/ مسلم بن فريج العطوي في ليلة من ليالي رمضان لعام ١٤١١هـ بمنزل الأستاذ/ رشيد بن صالح البلوي:

أكــــرم بصـــــحبة ربــــعٍ الحـــبُّ فـــيهم والظرافــــهْ

بمجلـــــسٍ أنــــس تمنـــــاه النفـــوس عـــذب الفكاهـــهْ

كـــم مجلـــسٍ للعلـــم شـــدتُهُ فالـــدال حاضـــرة اللطافـــه

جـــاءت أفـــانين أبي حامـــد تعلـــو بالدعابـــة والطرافـــه

أجمـــلْ أبا حامـــد شـــاعرا نهفـــو إليـــه في شـــرافه

قـــد كنـــت نجمـــا لامعـــا بالنهـــل مـــن الثقافـــه

وســـلكتُ أســـير ســـبيله أنظـــر خمائـــل أفوافـــه

مـــا كنـــت شـــاعرا مـــاهرا فـــإذا بهـــا نبضـــةُ نطافـــه

أنعـــمْ أبا صـــالح فاضـــلٍ للـــدعوة المخلصـــة في كثافـــه

لبيـــــتُ مرّحبـــا مســــرعاً   لمســلَّمٍ مصـطحبا لــه في لطافــه

مــا خلــت أن تأبطــتُ شــرا   حــتى رمــاني بالصــلافه

فعلمــــتُ أنـــك لائمــــي   لمـــاّ نصـــحتك بالحصـــافه

في دار فاضـــــل ماجـــــدٍ   نلنـــا بشاشـــةٍ مـــع ضـــيافه

دارت دوائــــــر الأطبـــــاق   ومســـلّمُ، يرتـــع بالذّرافـــه

يشـــكو النهـــار وطولـــه   فطفـــى الطـــول علـــى إلافـــه

زالـــت بشاشـــةُ الجبـــينِ   واللعـــاب لا يُـــرد وطّافـــه

فكأنــــه طـــاف حســـميٍ   ســـائراً علـــى أظلافـــه

بالخمــــس يرفـــع شـــامخاً   ســـاحاً الـــدهنُ علـــى أطرافـــه

قـــد كنـــت ضـــخماً لاهمـــاً   بالسّـــفِ مـــن الكنافـــه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعلـــــو إليـــــه مشـــــمراً لـــو كـــان قاصـــي المســـافهْ

ينـــــزل إليـــــه مصـــــوباً كيـــد الســـاحر الخطّافـــــه

بالخمـــس لا يبقـــي ولا يـــذر فكأنــــه عاصــــفةٌ كشــــافه

صـــاح ابـــن صـــالح واقفـــا هـــذا مســـلّمٌ جرافـــــه

مهـــلا أبا صـــالح إنـــك لا خـــبرة بـــه أو عَرافـــــه

هـــلا رأيـــت مســـلّماً يختـــف كأنـــه نسّـــافهْ

الزواج

التحول في الأفراح:

كانت البادية في شظف من العيش بعيدة عن الرفاهية، وتبع ذلك البساطة في الزواج فالعروس تكتفي بثوب جديد، وخمار كبير ثم تزف إلى زوجها في موكب نسائي أو في هودج على جمل يقوده النساء مغنيات، وتتلوه نساء يهزجن بالحان خاصة، وثم تكون لها (خلة) في بيت أهله أي أشبه بالغرفة ثم تحولت إلى خيمة. وتكون الذبائح بقدر الحاضرين أو أقل فمن ذبيحة إلى خمسة ذبائح وكلما زاد العدد زاد الخير. ومعالم الزينة ميسورة محدودة فمنها القلادة من الخرز الملون، والأسورة من الفضة أو من النحاس.

ولما طرأ التمدن بدأت تتحول إلى معالم جديدة فالحفلات في البلد تقام بالتعاون فتجمع بيوت الشعر متعددة الأوسطة، ففي كل بيت صغير واسط وكلما كبر بيت الشعر تعددت الأعمدة في الوسط، ويكون هناك بيت للطبخ، وتجمع الفرش، والقدور والصحون، والأكواب والفناجين للقهوة ويعرف كل ماله من الأواني، وتوضع على الأواني علامة تهدي إلى أصحابها، ويكون الذبح تعاونا بين الرجال وكذلك الطبخ. ولا يوجد دفع إعانة لكن بعد الهجرة إلى البلد بدأت (المعونة) وهي ذبيحة حتى تحولت إلى كل فرد كأنها فرض عين. وزاد الإسراف في الولائم ولكن القديم أكثر طربا مع قلته فالنساء لهن أهازيجهن وأغانيهن والرجال كذلك يبدعون ويدحون، وتأتي الراقصة متحجبة في الليل بلا ضياء، وتهتز بعصاها أمام الجميع في الدحة ومنهم المعجبون الذين يستمعون، وقد حدثتني إحدى القريبات، بأن الرقص أمنية للفتاة وهي صغيرة وتهفو نفسها لممارسته وهي كبيرة وربما أن الشعراء يفيضون بمدح الجميلات أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يواجهون الراقصة بألفاظ الغزل والوصف الرائع وكذلك الأطفال فالبنات يغنين عند النساء والأطفال الذكور يقلدون آباءهم.

وقد طرأ التحول عندما أقيمت الأفراح في المدن، فإن لعب الرجال يكاد أن يختفي، و(الحاشي) وهي المرأة التي ترقص عليهم اختفت تماما. وأضحى حفل الزواج مجرد دعوة للأكل يجتمعون ويتحدثون ثم ينفضون في حين تطورت الألعاب عند النساء.

كان حفل الزواج مرهقا متعبا في تلك المراحل لأن أهل الزوج هم الذين يعملون كل الأعمال التي تقوم بها المطابخ الآن، وكذلك الفرش وحتى الإضاءة كانت يدوية، وتستمر الاحتفالات ثلاثة أيام لكثرة الخير.

وفي بداية العهد لم تُعرف غرف النوم في البلد، وإنما فرش متعددة وطاولة يحمل عليها الفراش، وغالبا ما تكون الزوجة وزوجها عند أهل الزوج، وقد كان حفل زواجي مخضرماً، فقد جمعنا البيوت من الشعر وجميع زملائي قاموا بالطبخ، وكنت أول من أتى بغرفة نوم مقارنة بمن حولي، وأعددت بيتا مستأجرا. ثم بعد ذلك تم تكليف أناس يطبخون بأجر ثم جاءت مرحلة المطابخ الحالية. ثم جاء مرحلة قصور الأفراح وكانت تكتفي بالفرش والماء وبعض الأدوات، ثم جاء التحول إلى الخدمات كاملة من الإعداد إلى الخدمة للشاي والقهوة، أما النساء فهن أكثر تطورا فمنها الحلويات المتنوعة على الطاولات مع القهوة يجلسن على شكل مجموعات، ثم يأتي العشاء متنوع الأطباق على شكل بوفيه، أما الرجال فليس لهم إلا اللحم والرز والماء والفاكهة.

وكانت الضيافة مع التحول مغرما كبيرا، فقد هاجر بعض الأقارب من كل عشيرة والآخر في البادية، وعندما يأتون إلى البلد فإنهم يمكثون عند أقاربهم يومين أو ثلاثة بلا ولائم، ثم تحول الأمر إلى ذبائح وولائم، وقد ينتقل بعض الضيوف الثقلاء عند

أكثر من واحد. وكان أقرباؤهم في القوات المسلحة، فجل رواتب بعضهم يصرف على هذه الشاكلة، وكذلك كثر العاطلون عن العمل، فهم يجولون على البيوت في أوقات الأكل والبيوت في ذلك الزمن مفتحة الأبواب فيطرق الباب ويدخل، فالنساء في كامل ألبستهن الضافية الواقية. فلم أتذكر أنني رأيت رأس امرأة مكشوفا ولم أر حتى الأقدام، ومعالم المرأة غير مكشوفة نتيجة لكثر المارين من الأقارب منهم المحرم ومن القريب جدا، وكذلك فإن الضيوف يبيتون في البيوت في مجموعات في المجالس، وأذكر أنهم يأخذون من ثيابنا بلا إذن، وذات يوم كنت في البيت فجاء ضيوف بعدد كبير وأخذت أعد القهوة لهم على (دافور) لأن الأهل غير موجودين، فلم أجد هيلا، فذهبت إلى سوق الخالدية ولم يفرق بيننا وبينه إلا ثلاثة بيوت فلما عدت مع باب النساء، وإذا بشيء ممتد عند جانب (الدافور) وأصابني الفزع، وأطلع وأخرج من الغرفة، وتأكدت أنه إنسان لا يتحرك، فمن أين أتى هذا. فذهبت إلي الرجال في المجلس لأخبرهم، لكن لما وجدت زيادة على الذين حضروا من قبل أدركت، أن الجثة الهامدة مريضا وكنت أعرف أن أخته مريضة بالربو، ولكن تبين فيما بعد أنها زوجة صديقي (علي شلهوب) العسكري في خميس مشيط أصابها مرض أفقدها السير والكلام فأضحت جثة هامدة، وتعالجت وشفاها الله وهي أم أولاده وتقول أنها تراني وعرفت أنني خفت وتضحك فهي بوعي لكن بلا قدرات أخرى.

ثم تكاثرت الهجرة من البادية، فكل بيت في البادية له ابن أو أخ أو أخت متزوجة فقل الضيوف، ولكنهم عوضوا عن ذلك بإكرام من يغيب ولو خمسة عشر يوما تقام له وليمة وبعضهم أكثر، وزاد الأمر مع الطفرة بل تجاوز الأمر عند الأسرة، فهم يولمون عند أول ليلة للطفل ثم يقام بعد أسبوع أو أسبوعين وليمة كبيرة تجتمع فيها العشيرة يذبح فيها خمسة رؤوس من الأغنام. ثم إذا زار الطفل أجداده وأعمامه وأخواله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل منهم يولم له، أنها الخيرات فكون مجتمعنا متلاحما متكاتفا مع عشيرته، ومن هنا لما يتخرج الطالب من الجامعة فإن الأقرباء يحفون به ويحجبونه عن التمازج مع الآخرين فيعود إلى أميته وينسى موارده الثقافية. وقد تطور الأمر إلى الانعزالية التامة حتى عن زملاء الوظيفة، بل حتى مع طلاب الجامعة فالطالب يأتي ويحضر المحاضرة فلا يتعارف على زملائه ولا جدال ثقافي ولا حبا في البحث ولا تكوين ثقافي.

ثم جاء التحول إلى الشللية وأغلبهم من الأقارب فهم يسهرون كل ليلة في استراحة يستأجرونها، وفيها العشاء الدسم، والدخان الكثيف، وإعادة الحديث مرات متعددة، وفيها السخرية من كل شيء بداية من الأسرة إلى العائلة إلى الوطن، ويقطفون الثقافة الهلامية وعيبها أنها تكون كل ليلة، فهم عزفوا عن مجالس الأسرة، وعن تجمعات الأقارب، وعن اقتناص مواطن الثقافة حتى الأخبار الوطنية لا متابعة لها والأدهى والأمر أنهم تركوا أولادهم بلا عناية تربوية، مع أن أكثرهم جامعي أو مدرس أو ضابط أو قريب من ذلك بل بعضهم يحمل الماجستير والدكتوراه، فأضحى المجتمع في غيبوبة فهم لاهون، ثم جاءت مرحلة الانترنت، فأضحى كل يعكف على جهازه رغم تواجدهم مع بعضهم. وتارة يعكفون على لعب الورقة كل ليلة. وأضحت التجمعات خارج البيوت حتى أن الأولاد لا يعرفون أصدقاء أبائهم. والآباء لا يدرون عن قرناء أبنائهم شيئا.

والأوائل ضربوا لنا من الأمثال ما يضيء لنا الطريق، فهم يقولون ((معرفة الرجال رباحة ومعرفة الأرض راحة ومعرفة النساء قباحة)) ويقولون ((معرفة الأرض أمارة ومعرفة الرجال تجارة ومعرفة النساء خسارة)).

من القصص:

جمعتني ليلة من الليالي المتأخرة مع أخوالي وجمع من كبار السن في واحة الهدرة، وكان أكثرهم تجاوز السبعين عاما، وكنت أحاول أن استدعي ذاكرة كبار السن فأسألهم عن ملابسهم وعن معيشتهم وأسلوب حياتهم، وخضت وانطلقوا يحدثوننا عن ذكرياتهم، وكانوا يذكرون أن الذين أدركوا من كبار السن لا ينام أحدهم داخل البيت عند زوجته خشية الغدر من الصعاليك والفاتكين، وإنما ينام خارج البيت، وأدركوا أن أحد الرجال كان نائما بين الإبل، فأحس بجمع من الفاتكين الذين يريدون نهب الإبل، فصوّر نفسه نائما وأخذ يهذي ويقول أرع هذه السنة ببكرة ثم تجيب البكرة بكرة فأبيعها وأتزوج بها ويجيء لي ولد يحميني ويدافع عني ويرعى الأغنام حتى لو جاء سارق أناديه وأقول له يا فلان القوم القوم (وهو يرفع صوته)، والجمع يتضاحك حوله ولم يعلموا أنه يستدعي جماعة كانوا يناموا على مقربة من الإبل فأتوا له وأنقذوه وأنقذوا إبله.

وذكروا أنهم أدركوا أحد الرجال متقدمي السن الذي تعود عدم النوم عند زوجته مع وجود الأمن، فكان بعض الشباب يراقبه، فلم انتهى من السمر ذهب إلى زوجته وتابعوه في الظلام الحالك، وجاءوا من مؤخرة بيت الشعر، فلما اعتلى زوجته في الظلام سحبوه من أرجله خارج البيت وفروا، ومن عاداتهم الوشم للمرأة في وجهها وعلى يديها.

ومنها الصبرة وهي كية على مفصل الكف عن الذراع ويزعمون أنها تقي التعليق في الآخرة. وقد رأيتها عند أغلب الجيل السابق لي وقد حاولت أن أضعها لكن لم أستطع.

وجز الناصية معروف في الجاهلية وهو كثير متداول بين القبائل إلى عهد قريب وجميع القصص التي فيها عفو عن القاتل يذكرون حكايات قص الناصية، وقد رأيت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخضاب على رقاب الإبل وهو من الدم تخضب مطية الضيف، وتخضب المطايا عند الأعياد والخضاب دم يمد به على طول رقاب الإبل.

ومن عاداتهم أنهم يُطِعمّون عن السم بأن يشوي العقرب أو الحية فترضع الأم طفلها على المشوى فلا يضره سم العقرب.

ومن عاداتهم (الحمى) وهو أن تحمي القبيلة أو العشيرة مكانا واسعا حتى تشتد أعشابه وتقوم ثم يسمح لسائر الحي بالرعي فيه، وربما يحمي المكان شيخ القبيلة إذا كان قويا، وكانوا يذبحون في رجب ويسمونه (الغراء) ويسمون شهر شعبان (القصير) لسرعة مجيء رمضان بعده، وتعرف بالعتيرة في الجاهلية وعند المتصوفة تعرف بالرجبية.

ومن العادات المنقرضة أنهم كانوا يذهبون إلى (البشعة) ويقوم عليها جماعة من المغاربة إذا وقعت تهمة سرقة أو قذف بالزنا، فإنهم يذهبون إلى المبشع ويحمي حديدة حتى تحمر فيضعها على لسان المتهم، فإن احترق لسانه ثبتت التهمة عليه، وإن لم يحترق خرج براءة وحتى زمن قريب وهم يمارسونها.

وكنت في الجلسة الضحوية عند صديقي عوض رويعي العطار، فخضنا في أحاديث بحضور خضر اللحاوي وأحمد اقيهب، وذكروا حكايات ذكرها لي أخوالي وكبار السن بل الكثير يتحدث عنها ومنها ما يسمونه (مُقعّد الراعي) أي أن الرجل يذبح من أغنامه حتى لم يبق منها أي شاة فيقعد الراعي فليس هناك رعية يرعاها الراعي، وقد سمعت حكايات متعددة عند عشائر القبيلة، وقد ذكر الوالد رحمه الله أنه ضاف ابن عمه على أبو طربوش وهو فقير على واحة الجرثومة، فذبح شاته الوحيدة، وقد سمعت عدداً كبيرا من هذا القبيل، وأذكر أن الخال مسلم بن سليمان العسوفي أخبرني بأنه ذهب إلى الأردن، فإذا هم يذكرون في مجالسهم كرم جدعان العسوفي للحجاج، والواقع أن القبيلة على طريق الحاج فهم يستقبلون الذين ينزلون ضيوفا على

المضارب البدوية ويكرمونهم، ومن هذا القبيل أن جدعان أكرم حجاجا من الأردن في ليلة شاتيه وإذا بهم من أهل الكرك فتناقلوها له وقدروا كرمه في الصحراء الخالية من الزراعة.

وقد تكررت أحاديث إكرام الحجاج ولا سيما الدراويش وهم الصوفية. الذين يذهبون إلى الحجاز بلا زاد ولا مراكب ولا ماء، فإنهم يعطفون عليهم، وكذلك فإنهم يذكرون تكاثر أفراد القبائل المهاجرة وقت المجاعات إلى الشام فيحكون حكايات ينحرون لهم الإبل وتارة يجمعون لهم أطعمة من المضارب، فأبواب الخير مفتوحة لهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرحلة التحول

كنت أتمنى وظيفة مدنية وكنت أرغب في الرياض أو أية مدينة من مدن المملكة ماعدا تبوك، وكانت فلسفتي في ذاك المحافظة على مستواي الثقافي وتطوير الفكر ومواصلة الدراسة العليا، كما كنت أخشى من عملية الاندماج الاجتماعي الذي لا يطور الفكر، وكنت كذلك أحسب حساب استحواذ القرابة بل هيمنة اللهجة العامية والقبلية وقد ألهمني الله منهجاً أطر حياتي فقد حاولت عقد جلسات مع كل الشرائح والتقيت بالقضاة والدعاة والأدباء والشعراء والعلماء فأحضر المنتديات العامة والخاصة وحتى هذه الأيام الأخيرة أحرص على مجالس المثقفين لأجل صيد العلم والمعرفة (فمن أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم ، واستفاد ما لم يعلم ، فإذا علمت فلا تفكر في من دونك من الجهال ولكن أذكر من فوقك من العلماء) ولا أرفض بل أصر على حضور دعوة فيها علم أو مذاكرة أو أحاديث اجتماعية وكلها تبني العقل والعقل أشرف الأحساب وقد منحني الله إياه في مواقف كثيرة فجنيت ثماره وقالوا لو صور العقل لأضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلمت معه الشمس.وبناء العقل لا يقف عند نهاية وإنما يجب تطويره بالمجالس والحوارات فيها وبالعودة للتأمل في الآيات وتفسيرها وقراءة كتب الأمثال والتاريخ والدراسات الحديثة لبناء الفكر وقد نهلت منها جميعا وتحتويها مكتبتي وأضعها عند رأسي ولما تدلهم عليّ المواقف أعود إليها وكل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا وكل أمنياتي أن يكون ذلك مصحوباً بعون الله وهدايته والتوكل عليه والنية الصالحة ومحاربة النفس الأمارة بالسوء فليس هناك أكثر عداء للإنسان من نفسه والشياطين والحمد لله أن اتخذت هذا المنهج شابا منذ الدراسة في الجامعةً.

وأخذنا ننتظر نتائج التوظيف التي لا تتجاوز شهرا آنذاك، وهي عامة للجميع فالدولة والمجتمع أحوج ما تكون للمتعلمين والمتخرجين من الجامعة، فهم مغنم لكل مؤسسة، ومما صدر في تلك الأيام اتفاق بين الرئاسة والخدمة المدنية وهي لم تبلغ الوزارة في ذلك الزمن والرئاسة مؤسسة الكليتين الشريعة واللغة والمعاهد العلمية، وأبرم الاتفاق بينهما على أن الرئاسة لها حق اختيار عشرين من الخرجين للتدريس في المعاهد، وهذا ما أحذره وأخشاه، فلست راغبا في التدريس مطلقا، وكنت لا أرغبه في الرئاسة بالذات لمحدودية الاختيارات، فالذي يعين في المعهد يكون مدرساً طوال العمر، أما وزارة المعارف فمدرس وموجه ومدير مدرسة، ولكثرة هواجسي من التدريس رأيت فيما يرى النائم أن فصلا من الفصول قد تمرد علي، وأخذ الطلاب يصخبون داخل الفصل ولم أستطع ضبطهم. وأنا في ذلك الزمن قليل المعارف، بل لم أعرف أحدا من الجامعة ولا من غيرهم، فليس لي إلا الاستسلام لما يعلن، وقد جاء الذي لم أتمناه وهو التعيين في المعاهد العلمية من ضمن العشرين، وصدر القرار من الرئاسة بتعييني في تبوك مدرسا في المعهد العلمي عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م، وهذا كان ألما لي وقتلا لطموحي في نظري، ولكن الله يعلم ويقدر وربما أمراً تتقيه جر أمرا ترتجيه، وهذا ما كان فالحمد لله وجزى من عمل ذلك خيرا. فقد أتاحت لي الرئاسة التي ما لبثت أن تحولت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فقد فتحت لي الأبواب الدراسية على مصراعيها. فالعقل غاضب ولكن النفس تهفو وقد صدر تعيين زملائي، فالقرار إلى تبوك خاص بي ومعي زميلي الأستاذ عطاالله بن سلمان بن هرماس، أما صديق العمر الذي كنت أميل إليه الشيخ عواد المدمي رحمه الله فقد التحق بمعهد الإدارة لدراسة القانون أما جاري وزميلي محمد العسيري كان نصيبه معهد عرعر، وكذلك زميلنا رشيد صالح البلوي فقد صدر تعيينه في الطائف، أما زميلنا عوض سعيد البلوي فقد أخفق في درجة واحدة في مادة

واحدة وأعاد السنة ورب ضارة نافعة، إذ صدر نظام تعيينهم على المرتبة السابعة ونحن قبلهم صدر قرارنا على المرتبة السادسة. وكان تعيينه في مدارس القوات المسلحة وتمتاز بالتدريس الليلي.

وعدت إلى المعهد العلمي مدرسا، ومازال الشيخ عبد العزيز الخضير مديرا للمعهد وكان جدولي يحتوي على مناهج ومراحل متعددة في المعهد، وأول بادرة أني دخلت أُدرّس في فصل كنت طالبا فيه وكان من قبل علمنا فيه المدرس سليمان وكان فاضلا لكنه ما أنفك يصدر حركات انفعالية أثناء التدريس فكنت أضحك منه، وقال أحد الزملاء كبير السن إن مسعدا يضحك، فقال الأستاذ سليمان السويدان أتركه يضحك، سيضحكون منه فيما بعد فنزعت الغترة من فمي واستوعبت الدرس، فلم ألبث أربعة أعوام حتى عدت للفصل، ووقع لي ما وقع لأستاذي، فقد ضحك مني بعض الطلاب، لكني مؤهل لهذا الثأر فعالجته بهدوء كأستاذي.

وكان المعلم الشاب يريد أن يظهر مظهرا أنيقا، ونظرا لأن عيني فيها حول فاستحييت من الطلاب وأخذت نظارة مظللة تخفي ذلك الحول، وكنت أكلف الطلاب بجزاء من ذات المادة، إما حفظا أو كتابة وكنت مثاليا، فلم أستعمل عقاب الضرب. وذات يوم كلفت الطلاب بكتابة القاعدة خمس مرات، ولما جاءت الدفاتر من الغد وجدت طالبا كتب أثناء السطور الأستاذ ((أبو أربع عيون)) فتأملت العبارة وجزاءها. فإن أعلنتها للطالب لقبوني بهذا اللقب وكذلك إن رفعت الأمر للمدير، وإن أعطيت الطالب الدفتر وتغافلت عنها اتهمني الطالب بعدم القراءة فما الحل إذن وكنا بالقرب من إجازة عيد الفطر أي بعد ممارسة التدريس بأقل من شهرين. فتركت الدفاتر عندي ولما رجعت اشتريت أربع دفاتر جدد وقلت للطلاب ضاعت بعض الدفاتر أثناء

الإجازة فالذي لم يعاد إليه دفتره فليأخذ من هذه الدفاتر الجديدة وكان الطالب منهم، ومرت وسلمت من سلاطة لسان الطلاب.

وجعلني المدير مشرفا على السنة الثالثة وأنا أدرسهم النحو فتشاورت معهم لتكوين مكتبة فصلية يدفع كل منا عشرة ريالات ونشتري كتبا نتبادلها للقراءة، وعملنا ذلك ونجحنا نجاحا باهرا، فالطلاب قرؤوا أكثر من عشرين كتابا، وأنا قرأتها معهم وتم توزيعها بيننا وكان حظي كتاب (الأيام) لطه حسين وما زال في مكتبتي.

كنت مثاليا التزم بالقيم والآداب ولم أحس بالعنصرية للقبلية أو لأي عنصر آخر، وتركيبة تبوك مكونة من قبائل ومناطق متعددة، ولم أتواصل آنذاك مع الحميدات مع أني اسمع عنهم وأرى بيوتهم بجانب السوق الوحيد. كنت مثاليا لا أتجاوز على أحد ولا أسمح لأي من كان أن يتجاوز علي، فالناس عندي من باب واحد لا أعرف طبقية ولا أبالي بمنزلة كبار الموظفين، بل إذا رأيت التعالي تعاليت، أما سلوكي الاجتماعي فقد كنت فيه معتدلا متقاربا معهم متوادا ممازحا مع احتفاظي بشخصيتي، فمن تعدى حدوده أرد عليه ردا قاسيا حتى مدير المعهد الذي أجله وأقدره لم يسلم مني حين يتعابث بالإقليمية والعنصرية معنا.

تخرجت في الكلية أحمل قيما منها الصراحة، والجرأة في الطرح، وعدم الخشية مادمت على الحق، والتزم بالصدق، وكذلك أميل لنظريات التربية فعقدت العزم على أن لا أعاقب بالضرب، والتزمت ذلك في بداية السنة الدراسية، وحاولت جذب الطلاب بالطريقة الاستقرائية الاستنباطية لمادة النحو، فارتحت بعض الشيء لكني لم أطمئن لحفظ القاعدة، وما دام أني في بلدي وأكثر الطلاب أعرف آباءهم ويعرفونني، فقد كلمتني إحدى القريبات وقد سألت عني أحد الطلاب فأشاد بتدريسي لكنه أشار إلى عدم حفظ القواعد وسوغ ذلك بفقدان عقاب الضرب، فلما بلغني الخبر بدأت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالضرب العقلاني المقنن، فكان ذلك وسيلة من الوسائل التي تدفع الطلاب للإجادة، وكان له أثره في المعاهد، وأضحت قضية العقاب حديث الصحافة، وتدارسناه في اجتماع مديري التعليم، فأجازه مدير المعاهد الشيخ عبد العزيز المسند رحمه الله في حدود العقلانية إجازة عملية وليست فتوى شرعية، فكانت المعاهد أكثر انضباطا، وأثر ذلك في تربيتهم العلمية والالتزامية، ولذا فاقوا أقرانهم في ميادين العمل. واستخدمته في العمل الإداري مما جعلني اتصف بالحزم وتارة بالشدة بل روج بعض القضاة من معارفي أنني تجاوزت الحد الشرعي وهذا ليس بصحيح بل مبالغة وأبناء القضاة الذين درسوا عندما يقابلونني بالحب منذ ذلك الوقت ومنهم أبناء الشيخ الضرير عبدالله المزيني العالم الزاهد. ومنهم الطالب محمد بن القاضي عبدالله الفوزان العالم الورع العفيف، فهو أكثرهم تعرضا للضرب، وكنت أخشى أنه يحمل في صدره عليّ، حتى جاء مساء يوم كان أحد أصدقائي عمل حادثا فأرادوا إخراجه بالكفالة التي لابد من توقيع القاضي عليها فأجبروني على الذهاب معهم، وطرقنا باب الشيخ بعد العشاء، وكان زمنها قلة الكهرباء، فخرج لنا الابن محمد وقالوا له إننا نريد الشيخ، فقال الوالد ينام مبكرا ولا يستقبل أحدا فجادلوه لكنه رفض، وكنت متأخرا، فقلت له لو أخذت الورقة وصدقتها من عنده فقال الدكتور مسعد، قلت نعم فأشعل الإضاءة ورحب ترحيبا حارا ونسيت هل أخذ الورقة أم حضر الشيخ عبدالله، ولذا أقول إن العقاب الذي تريد به الخير لا ضير منه، وأكثر الطلاب نال عقابا كثيرا لكنهم يبادلونني الحب والود، إننا في حاجة للتربية الحازمة منذ الصغر في سائر مراحل الطفولة والدراسة وهي لا تنافي روح الانطلاق، وهي أيضا لا تبلغ مرحلة الرهاب الاجتماعي. إذا كانت مقنعة ومعروف أسبابها، وتتماثل مع سائر الطلاب.

كان هاجس الثقافة يلازمني، فقد تواصلت مع المكتبات التجارية واشتريت من أول راتب كتاب (العقد الفريد) مع أنهم يقولون من يملكه لا غنى عنده، وكانت ثلتي محدودة من الصديق عطالله بن هرماس، والأخ محمد، وصديقنا علي سالم شلهوب، وكنا نسميه علي الطنطاوي في لطفه الذي يماثل الطنطاوي العالم المشهور.

وفي تلك السنة استقبلنا الملك فيصل في تبوك وأقاموا له احتفالا في حي المهرجان، وكان أرضا فضاء خارج تبوك، ولما وزعت أراضيه سمي المهرجان على هذه التسمية ووزعت بالمحسوبية، فكان لمن هم خارج تبوك الحظ الأوفر وقد اشترينا أراضينا منهم، أقصد أنا وأخوي محمد ورشيد وغيرنا كثير. وكانت ولا زالت وظيفة البلدية مغنما غير مغرم، فهي تولد الثراء أولا ثم الجاه وكانت كثيرا من الأراضي تمنح لمن في الوزارة من الموظفين، كل ذلك في أسلوب ملتوٍ من العاملين.

وأعود لهاجس الثقافة، فمن التصميم الذي زرعه الله في فكري مواصلة الدراسة فذهبت مع زميلي عطالله إلى مصر في أول إجازة للتسجيل وحاولنا ونجحنا مع أننا لم نتعرف على الطريق لكن الله يهيئ الخير لمن أراد الخير والعلم لمن أراد العلم، فهذه حكمته مع العمل لإيجاد الأسباب والمسببات، وكانت الرحلة إلى مصر، هي علم وتجارب واطلاع فقد رأينا القاهرة أكبر المدن العربية، وسكنا في الفنادق والشقق. ورأينا المرأة تجوب الشوارع سافرة، وتجولنا في شارع فؤاد، والمكتبات في حي الدقي، وشارع عبد الخالق وغيرها، بل سكنا في الدقي، رأينا الأزهر، وسجلنا ورأينا مكتبات الكشك، وعاودنا الزيارة لمكتبات الأزبكية على الرصيف، وهي كتب بأرخص الأسعار لأنها من الكتاب المستعمل. كانت حقائبنا مملوءة بالكتب واشترينا الألبسة حتى أنني لبست بعض الملابس من أجل أن تتسع الحقائب للكتب ومنها لباسان أُرسِل معي أحدهما بصدر مفتوح طويل من الأمام فلبسته فوق ثيابي وإذا به الخاص بالاستحمام ولا أعلم ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكثير في مطار تبوك لم ينتقدني أو أني أنزلته عند وصول الطائرة وحملته في يدي الله أعلم، ولكنه موضع طرافة من أولادي حتى الآن، وفي أول يوم طلع علينا في القاهرة.

أخذنا نبحث عن شقة ودرنا من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية ظهرا ونحن مع عمالة السمسرة لا نعرف شيئا، فلما قررنا الاستئجار لإحدى الشقق قال صاحبها أنا جائع وأخرج فولا باردا من الثلاجة وأخرج خبزا قديما وقال تعالوا معي وأقدمنا وما ألذه وأحسنه، فقلت في نفسي كيف أتعالى عن الأكلات الشعبية وكنت امتنعت عن أكل الجريش تعاليا حتى وأنا جائع وأنا ضيف. فلما عدت إلى تبوك كانت الجريش من أحسن الأكلات عندي ولا سيما بالمرق إلى يومنا هذا. رجعنا إلى الفندق متعبين فطلبنا مشروبا باردا فكلمنا وقلت له هات ميرندا، فجاء وإذا بها دقيقا قليلا في الكأس وعبأ أحدها بالماء فخطر لي بيت الشعر في وصف الخمر (شجب بذي شبم من ماء محنية) فقلت للنادل أخشى أن يكون هذا مسكرا، وقلت شطر البيت قال هو يسكر لكنه قليل، فحمدنا الله أن تنبهنا وحمانا الله.

كنت وزميلي ننتظر أستاذنا (صالح سليمان نهيا)، وهو من المدرسين الذين نحبهم، واستفدنا منهم وكان يدرس معنا وقال إنه ينزل بفندق القدس، فأخذ الزميل يتصل بصاحب الفندق كثيرا حتى ضجر مدير الفندق منه فقال يا حمار لا تتصل، ولم أعلم إلا وزميلي قد لبس ثيابه وقال أنا ذاهب له (يقصد ضربه)، فقلت له أنت مجنون إن فعلت، فقلت انتظر ساعات ثم اتصل به أسأله أنت مدير الفندق فهو سيقول نعم قل كيف يكون الحمار مديرا للفندق وقد جاء على ما يتمنى وسلم الله من مشكلته.

ولم تمضي أيام حتى قابلنا طالبا سعودياً من أولئك الذين عادوا من الزبير وكان طالبا في كلية الهندسة، وفيه تعال علينا وعلى المصريين، كان لا يرد عنهم كلمة ويأتي بالنكات عليهم. وتبرمنا من وجوده لكنها أيام معدودات حتى خرج يريد الإسكندرية،

فركب في سيارة أجره معه آخر، فليس التاكسي محصورا على أحد، وأخذ يكيل الشتائم والنكت على المصريين والسائق والراكب كلاهما من مصر، فإذا بالراكب الآخر يقول للسائق قف، فأوقف السيارة جانبا وجر صاحبنا وأعطاه من اللكمات المتتالية حتى سقط صاحبنا أرضا، وسالت دماؤه وتورمت حواجبه، ثم عاد لنا وقد تغيرت معالمه ودماؤه ما زالت تسيل وكبرت شفتاه فقلنا له شامتين لعلك تعرف المصريين.

اختبرنا وكان عددنا ما يقارب المائة والعشرين من السعودية ومن فلسطين ومن العراق، فأعلن الأساتذة أنه لو نجح هؤلاء لم يجد المصريون من يتعاقد معهم، فلم ينجح منا إلا الأستاذ صالح نهيا وهو فلسطيني. فرجعنا إلى تبوك وعرفت موعد الدور الثاني وصممت على العودة ونظامها الاختبار في جميع المواد حتى التي نجحت فيها، وذهبت في إجازة عيد الأضحى واختبرت مع عشرين أو أقل فنجحت، ثم واصلت الدراسة أما زميلي عطالله فإنه انشغل بالزواج وأعرض عن الدراسة منشغلاً بحياة اجتماعية وإدارية غاية في النجاح والتفوق.

ولما عزمت على الرحلة وحدي للاختبار في القاهرة وسكنت في فندق الحسين بجانب جامع الحسين وقريبا من الأزهر الحي القديم وفيه جامع الأزهر، إنها أماكن العلم وشرعت أدرس، ولكنني أتمنى أن أعرف أي أحد في القاهرة، وكان زميلي عواد المدمي قد أعطاني عنوانا لأحد معارفه، وأشار لي بأنه طالب جامعي بعيدا عن الإخوة العرب، وأعطاني عنوانه في مصر الجديدة بعمارة بجانب البنك، وذهبت في صباح أحد الأيام وتجولت في أحد الشوارع وأنا أتأمل لعلي أعثر على الوصف حتى تعبت فإذا بائع يجول معه ملابس صوفية يتحدث باللهجة الأردنية فقال إن هذا المصري يريد أن يشتري، وأنا غريب مع أختي قطعوا رجلها، وأريد أن تكون معي حتى آخذ الثمن، فقلت أنا واقف، فقالوا نخاف تعال في وسط السيارة الواقفة فتخاصما أمامي، وقال ما يمكن

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تلمسني اللمس عيبا يقول البائع للمشتري والله لا آخذ منك فلوسا مباشرة، فقلت ما الحل قالوا أنت تدفع الفلوس وهو يعطيك قلت له أعطني أنت وأعطيه، فقال البائع لا والله ما آخذ إلا فلوسك فأدركت الأمر ونزعت لهم كل ما في جيوبي وإذا بها خمس جنيهات فقذفتها وقلت هذه التي معي خذها. فقال أحدهما ما معك إلا هذه فأقسمت لهم وكان السائق ساكتا وفتحت الباب وقذفوا الخمس جنيهات في وجهي. وعدت بها للفندق حامدا الله على السلامة، وبعد أيام ذهبت إلى عنوان والد مسيب ولكني هذه المرة أخذت معي أحد الموظفين في الفندق وهو شاب وثقت منه، والعنوان في جسر السويس وكنت أظنه عمرانا كاملا. فإذا هو موطن الإخوان العرب الذين يربون ماشية قليلة. أكثرهم من عرب القبيضات وإذا خيامهم من أعواد القصب. فخفت وطلبت العودة، لكن السائق وزميلي شجعاني وأقسما أنهما معي ولن يصيبنا أي مكروه كنا قبيل المغرب، فصادفنا أغناما قليلة ومعها امرأة راكبة على الحمار، فأوقفنا السيارة وسألناها عن أهل المباني المخروطية من هذه الأعشاب ولم تكلمنا حتى نزلت عن الحمار ووقفت فقالت إنهم عرب القبيضات من الحويطات وهي بالزي البدوي الذي يماثله ما عندنا في شمال غرب المملكة، وباللهجة ذاتها وبالملابس أيضا فهي كاملة الاحتشام ولم يظهر منها إلا وجهها وسألناها عن صاحبنا السيد بن المسيب فقالت إنهم هناك لكن لا أعرف مكانهم وسرنا وإذا بشاب عند متجر صغير فسألناه عنهم فقال أنا أدلكم عليه، ولم يلبث حتى عقد صفقة صغيرة مع السائق من الحشيش وقد حاولت النزول ولكن زميلي قال هذا شيء عادي أبدا فلا تنزعج وأنا أقول داخلي اللهم نجني وزادت دقات قلبي، وذهبت السيارة وقد غربت الشمس فنزلنا عند بعض البيوتات وسألنا فقالوا الرجال هناك، وذهبنا إلى مكان الرجال وقالوا ادخلوا وإذا بالغرفة مظلمة لم يشعل الضوء فيها فإذا برجال يتحدثون وسلمنا فإذا هم يذكرونني باسمي، وإذا

هم من العشيرة من تبوك وكانت الأيام الأولى للتعرف على مصر فاندفع الناس إليها من أجل الزواج، وإذا أحدهم يريد الزواج وإذا الآخرون مرافقون لمريض تحادثت معهم على عجل واتفقت معهم على أن نستأجر شقة ونسكن فيها رحمة بهذا المريض على أن يأتوا غدا برفقة سيد هذا الذي لم أقابله، وفي الصباح الباكر وأنا مكب على المذاكرة إذا باب الحجرة غير المنظمة يفتح عليَّ، إذا بهم مجموعة بقيادة السيد ومانع وأول كلمة كنا نريد أن نداهمك مع البنات، فقلت لهم ليست هذه الطريقة، كان يجب عليكم الانتظار في البهو وأخذونا إلى مصر الجديدة وأصروا على شقة قريبة من أكواخهم الخشبية المتهالكة، فقلت لهم أنا أتحمل الشقة ولكن نأخذ شقة نظيفة فأصروا عليها واستجاب لهم الإخوة وهم متقدمو السن، فقلت لهم هذه بعيدة عن مكان الامتحان ولا أستطيع أن أقرأ هنا فاسمحوا لي وسمحوا لي وخشية من السيد ومانع قلت لهم أنا أزوركم، ولكن لهم فضل أن طلبوا صحبتي في رحلة إلى مدينة (أبو حماد) ففيها عجوزين من العشيرة رجل وزوجته ولدا في الحرة واستوطنا مصر وعمرهما تجاوز الثمانين فسعدت بمقابلتهما وحديثهما عن الحرة زمن طفولتهما، ومن هنا عزمت على فراقهم، ودرست وأتى السيد ومانع مرة أخرى وأشعرتهم أني مشغول ورفضت أي موعد للذهاب ولمجيئهم. وعكفت على الدراسة وفقدوا الأمل، وكذلك قبل بدء الاختبار وذات مساء بعد أن صليت المغرب في جامع الحسين طلبت مفتاح الغرفة فإذا أحد الوقوف يلتفت إذا به زميلي فهد سنبل المعيد في كلية اللغة ويدرس في جامعة القاهرة وإذا بها الفرحة ذات البهجة وإشراق الوجوه، وقال لي لو سكن معك الأستاذ عبدالله الدوسري وإذا به واقفا قلت: لو سكن في حجرة مجاورة حتى نتعارف وهو يدرس في قسم اللغة وأنا في الأدب والنقد، ومكثنا معاً بعض الزمن وإذا الزملاء مجتمعون في حي المهندسين فتواعدنا عند فهد وتتابعت الزيارات لهم. وزميلي عبدالله الدوسري من نفس الدفعة لكني لم أتعرف عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من قبل وتصاحبنا وانتقل عندي في الحجرة، وطاب المقام في الفندق وفي مصر كلها، فكنا ندرس ونتجول وكنا كثيري المزاح والتعليقات والتجوال وأحيانا الانبهار.

عدت إلى تبوك وقد نجحت في المرحلة الأولى وبقى عاما دراسيا قبل إعداد الرسالة، وكانت المفاجأة في تبوك أن مدير المعهد طلب استقالته لينتقل للأعمال الحرة، وقد تبادل الحديث مع الشيخ محمد التويجري الذي جاء مشرفا على الامتحانات وصحبناه أنا وعطاالله أثناء تواجده في تبوك نخرج جولات وهو خبير بتبوك لأنه درس فيها عاما أو عامين وكنت أقول لو لم تنتقل عن تبوك لورثت سعد التويجري وهو رجل تاجر من كبار تجار تبوك وأكثرهم عقارا وله جناح يسمى سوق التويجري يتفرع من جانب السوق واتفقا على ترشيحي ولم أعلم إلا بقرار التكليف واستلام العهدة. فكانت مرحلة تحول كبيره أيضا، وكانت الخشية كبيرة فأنا لم أمارس التدريس إلا سنة، وليس عندي أي خبرة إدارية حتى كتابة الخطابات، وكذلك فأنا لست بالخطيب، والواقع أنني لا أمتلك الجاذبية في المقابلة الأولى تلك التي يمتلكها زميلي عطاالله حتى أن بعضهم قبل أن يتعارف معي يقول الجامعة غبية التي اختارت مسعد مع وجود عطاالله أقدمت فزعا ووجلا. فتسلمت المعهد بقوة الشباب وتدبر العقل والخشية المبطنة، وتزودت بالمعرفة، فعكفت على جميع الملفات فقرأتها، آتي كل يوم بعد صلاة العصر لأقرأ الملفات، وقد لفت انتباهي حدة خطاب سماحة المفتي محمد بن إبراهيم لمدير المعهد العلمي بتبوك الشيخ سليمان السكيت، ولفت انتباهي قدرة الشيخ عبد العزيز على الإبحار في الاتجاه وأهداف المعاهد وصبغها بصبغة واحدة.

ومن العوائق أنني أخذت أتعامل مع زملاء في المستوى الرابع والخامس كلهم درسوا معي، وكذلك أتعامل مع مدرسين علموني ومع أساتذة أفاضل أكثر علما وخبرة من شاب حديث العهد. وقد طلبت اجتماعا للمدرسين فحاولت إدارته بنظام فكان

الأقوياء من هؤلاء تخترق وتداعب وتهزل فقلت لهم أنني عقدت هذا الاجتماع للخروج بفائدة واتيتم من بيوتكم عصرا فلو خرجنا بدون نتيجة فستقولون لماذا جئنا ولذلك أطالبكم بالانتظام والحديث حين يأتي أحدكم الدور ولا يقاطع، ومن قاطع منكم سأخرجه من الجلسة فأستتب النظام.

كنت أعامل الطلاب في المرحلة الثانوية كمعاملة المستجدين، وهذا خطأ كبير ولكني كنت أريد أن أفرض شخصيتي على الجميع وكان الضرب مسموحا به، وقد تعرضت لأبناء الذوات فطالب عندي عمه وكيل الأمارة وأشتكى والده على أخيه ولم يكلمني وبعد أيام كان أحد الطلاب شابا صغيرا وأُقدر أباه فهو صاحب لنا يستأجر الأقارب سيارته واصحبهم دائما أيام الدراسة ورأيت الطالب يرغب الصف الأخير فنقلته إلى الصف الأول وثاني يوم رجع إلى الخلف فآتيته وضربته كفا فخرج الطالب من المعهد وأتى أبوه فأدخله الفصل قبل أن يشعرني ثم جاءني وسألته عن الطالب فقال دخل الفصل، فأرسلت له المراقب ليحضره فغضب الأب وذهب إلى وكيل الإمارة، فاتصل ليجمع بين الحدثين، فأخبرته بالواقعة كلها فتفهم الأمر بل أيدني، فالعمل لصالح الطالب وإدخاله الفصل يكون عن طريق الإدارة.

وجاء الطلاب بعقرب ميتة ووضعوها على الطاولة التي يقف حولها المدرس، فأحدهم رآها لم يعطها اهتماما وجاء آخر وأحدث مشكله وطلب التحقيق. ثم جاءت دورة المفتشين وحضر لي اثنان فلم يروا أني أهل للإدارة، وزاد الأمر أني دعوتهما في البيت وزوجة والدي في غفلة من أمرها وضعت فرشا باليا على حاجز من الجدران بين الرجال والنساء، وكان منظرا سيئا. فكل من يغسل يديه بعد الأكل ينظر إليه فلما أردت تقريرا من أجل مسابقة وظيفية رأيت الجميع في الرئاسة يعرضون عني وكل يضع اللوم على الآخر، حتى صارحني أحدهم وقال التقرير عنك (مرض) ولا يؤهلني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمسابقة، وقد مضى عليه سنة، وأدركت الإدارة العامة للمعاهد عملي وجئت للشيخ عبد العزيز المسند رحمه الله فكتب تقريرا مباشرا بدرجة جيد، ولم يثن ذلك من عزمي لمواصلة الإدارة وأنا هكذا ولله الحمد لم يتأثر عملي بالاختلاف أو نقص حقوقي مهما كانت، فالعمل الذي أعمله أحاول إجادته.

جاء الامتحان وقام المدرسون بتوزيع الأسئلة، فاعطوا أسئلة المستوى الثاني للأول لبعض الطلبة، واكتشفناه في زمن قصير وبدلوه ماعدا واحدا وهو أحمد عيد، فلما بدأت اللجنة التصحيح اكتشفنا الأمر فجاء أحدهم إلى البيت وقال: نبدل ونعدل قلت له: عد إلى مكانك لايحدث أي شيء واكتبوا محضرا بذلك وقلت لهم: لأنه أخي فأنا أرى رسوبه وأصررت على ذلك، ولما وصلت الرياض بعد الاختبارات مباشرة وإذا بمدير الامتحانات يستدعيني ويذكر أن الامتحانات كان فيها غش وظلم، فحكيت له قصة أحمد. وناولني الخطاب، وإذا به كتب باسم أحمد أخي بكتابة ظاهر فيها إخفاء الخط، ولكنها كلها صحيحة ليست بمستوى السنة الأولى للمتوسط. وكان الاتهام لاثنين من المدرسين فطلب مني إلغاء عقودهما عنده، ولكن الظن لا يتحول إلى حقيقة فتركت الأمر، وربما أن الذي كتب هو الذي أخطأ في توزيع الأوراق.

التحول:

كان ضيق صدري يغلغلني ووحدتي تؤلمني، وكنت جافا في اللقاء الأول وتلك الحالة عرفتها منذ الجامعة، فاشتريت كتاب (كيف تكسب الأصدقاء) ولما تخرجت حاولت جذب الأصدقاء اشتريت كتاب (الصداقة والصديق) لأبي حيان وقرأته، وتشبثت به وقرأت كتب الجاحظ ومنها: البيان والتبيين، وكذلك زهر الآداب للحصري

وكتاب العقد الفريد وكلها قرأتها أكثر من مره وكذلك كتاب زهر الآداب وكانت أقوال الكتاب لها أثرها الكبير علي فانغرس في نفسي قول أحدهم:

" فإن بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوي القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستثير دفائن القلوب ، ويمتع في الخلوة ، ويؤنس في الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب ، من غير سآمة تدركك ، ولا مشقة تعرض لك " وكنت إذا أنتابني السأم أو القلق أو التأثير النفسي الشديد فإني أفزع إلى المكتبة ولم يمض وقتاً طويلاً حتى أنسى ما كنت أعاني.

ومن هنا جذبت كثيرا من الأصدقاء والمعارف كل من يتعرف علي يريد صحبتي ولله الحمد، فتكاثر الأصدقاء في سهرات ورحلات ماتعة جميلة ما زالت ذكرياتها تبهجنا إلى اليوم.

التزمت بالعلاقات الاجتماعية مع الأصحاب، ومع الأسرة فكانت الأسرة مصدر سعادة لي وأنا بأذن الله مصدر سعادة لها، فقد عدت من الرياض في بيت كبير مكون من عوائل فالوالد وزوجته وأولاده، وكذلك تزوج الأخ رشيد، وعندنا ابن العم (سالم أبو أذينه)، ويكثر عندنا الضيوف، فلا نكاد نخلو منهم رجالا كبارا في السن وعوائل وشبابا فالمرحلة مرحلة تحول من البادية إلى الحاضرة، الجيران من الأقارب. كلهم يتعارفون، والنساء لم يحتجبن احتجابا كاملا، فالأهم أن المرأة محتشمة في أقوالها وفي ملابسها، فالواقع أنني تزوجت ولم أر معالم المرأة، فملابسها ضافية ورأسها دائما عليه الطرحة التي تغطي عنقها فلا تظهر عقود ولا أسورة، لكننا نقابل النساء لا سيما في الأوقات المسموح بها شرعا وعند الأقارب، والأحاديث مسموح بها وقد يكون التعليق اللطيف.

تخرجت في الجامعة وكنت أتوقع الزواج مبكرا، لكن قلة البنات في ذلك الزمن وقلة المتعلمات حال دون ذلك فتطلعي إلى أن أتزوج ربة بيت متعلمة. ولم يكن في الأقارب من هي كذلك إلا بيت الأميلس وهو من الأقارب، لكنه كان موظفاً ومتعلماً ومتحضراً. وهو من سلاطين المجالس وفيه فوارق بيننا نحن أقل منه مادة وتحضرا فذهب إليه الوالد يطلب منه فقال إن البنات صغار ولن أزوجهن قبل الثانوية وإذا انتظر فسوف أزوجه. والكبيرة منهم في بداية المرحلة الثانوية يعني ذلك: انتظار ثلاث سنوات ومع ذلك قلبي متعلق بل عقلي لأنهن يحملن المواصفات لأماني في الزواج ورغبة التطور عندي، فقد صحبت شرائح اجتماعية متطورة غير بيئتي، والواقع أن الأخوات في البيت يحاولن التطور مع أنهن عشن في البادية، وكان التآلف في البيت أمر هو الذي يسود والمجتمع بسيط لا تعقيد فيه، وليس عندي أخوات، فالحموات والجارات يحاولن أن يثنن عني السمعة الطيبة بل يكشفن لي عن الاتجاهات، وكان تواصلنا مع الأميلس قليلا ماعدا المناسبات، وأحاول أن أسبر الغور هل البنات وأمهن لهن ميل تجاه أسرتنا!، وكان الأمر صعب، لكني ألمس من خلال جلوس البنات مع أسرتي أن هناك ميلا، فكنت ألوي عنقي إليهم. غير أن رغبتي للزواج عارمة والمجتمع من حولي يدفعني للزواج العاجل من غيرهم. ويدفعني الوالد للخطبة من بنات غير متعلمات، ولكني أرفض ماعدا واحدة توقعت فيها التطور، وكلمت والدتها فهي قريبة مني فذكرت أن والدها قد أعطاها فلانا فالبنت تتزوج قبل أن تبلغ الخامسة عشر من عمرها لقلة البنات وكثرة الذكور فقد أحصيت في تلك الفترة أربعين شاباً مابين العشرين والأربعين لم يتزوجوا وليس في العشيرة إلا بنتان فقط.

وفكرت أن أتزوج من الأردن فبناته أكثر تطورا، وذهبت ووالدي إلى أحد الرجال المشهورين، وله بنات متزوجات من الأقارب وصديقي حمدان بن سلمان رحمه

الله متزوج من بناته وقد ابدى استعداده لدور الوساطة فتمت الخطبة وكان الإذن يستغرق سنتين فكنت أميل لأن أنتظر عند الأميلس، وأكرر المحاولات حتى بالرسائل له، ولكنه يرفض، لكن العقلانية دائما تميل بي فأخذت بالإجراءات بطلب للإمارة وكان يستغرق ثلاثة أشهر غير أن أحد طلابي الذي توظف بالإمارة يتصل بي ويقول جاهزة معاملتك قلت له كيف: قال أنت لك ملف في الجهات ولم يحتاجوا للبحث عنك. فذهبت إلى وزارة الداخلية والتقيت بصديقي محمد سليمان التويجري وذهب معي لسليمان الفالح وهو من كبار رجال الداخلية ولم تلبث شهرا حتى تحولت إلى الأردن خلافا للتوقع وذهبت بها ولكني كنت معتزا بنفسي لم أبذل هدايا لعدم معرفتي بالمجتمع فظنوا ذلك بخلاً وقد قال العلماء إن العلم أن تتعرف وتتعلم عن أي قضية أمامك قبل التعامل معها وهذا الذي يؤدي إلى تراكم المعرفة والعلم وهو الذي لم آخذ به في هذا الموقف فكان الأمر مصدر ريبة لهم وتدخلت أختها زوجة صديقي وطلبت مقابلتي وجلست معها وقالت: رجلي على رجلك لتجهيز البيت. فقلت لها نحن لا نمشي مع النساء في الأسواق، بل إن نساءنا لم ينزلن الأسواق أبدا. قالت لابد من ذلك، وقلت ثقي أني سأجهز البيت بأفضل مما تتصورين ورفضت طلبها. وأعلنت هي وزوجها فك الواسطة وذهبت مع أخي محمد للأردن. إذا إن الأمر فيه اضطراب وحضرنا إلى مقر السفارة فأبدو تهاونا معي، وقال أنجز كل شيء فقلت أريد كل شيء رسمي، قال إذن لابد من حضورها هنا واتفقنا أنه بعد يومين. ونحن في طريق العودة للقطرانة اختلفنا حول موعد الزواج فأبوها يقول بعد ستة أشهر وأنا أقول بعد شهر، ولما وصلنا للقطرانة موطن أقربائنا أشعلوا الخلاف، وقررنا الذهاب إلى تبوك بلا حل ولحق بنا صديقنا وندم على فعلته وطلب مني العودة ولكني رفضت رفضا قاطعا، وعدنا إلى تبوك بخفي حنين مع إصراري ألا أستطيع أن أعيش في مثل هذا الجو، وجاءت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محاولات من بعض الإخوة من القطرانة بعد معرفتهم لي في تبوك، ولكن لم يكتب الله. ومازلت أضمر للأسرة الود والتقدير ، وهذا الأمر كان في عام ١٣٩٤ للهجرة وظل احتجاب النساء في تبوك عن الأسواق عشر سنوات بعدها يشتري الرجل ويختار لأهله الملابس أما الآن فالمرأة تحملت مسؤولية المشتريات والأثاث وتبين لي صواب رأي الأخت الفاضلة التي طلبت إشرافها على تجهيز بيت أختها وهذا فارق بين البيئتين والواقع إني لا أرى منقصة في ذلك لكثرة قراءتي للروايات ولكن الرهاب الاجتماعي أكبر.

وظهرت ثانية من الجيران، والمعرفة قوية، وحاولنا ورضي الجميع وكان والدها يقول لي والله لو الأمر لي ليكون زواجكم الليلة، الرجل لطيف ولا شك في رضاء البنت مع أبي لم أكلمها ولم أرسل إليها أحدا وكاد عقد الزواج يتم لولا أن أخاها وقف بالطريق. ويبدو أن أخواله استمالوه بدون أن أعلم. وأعطوني موعدا فحضرت لهم ولكن تم التأجيل فأدركت الموقف وقطعت الأمل. وكان هناك محاولات مع قريبات لي وأستشير عمتي وكانت ذكية واعية فتقول أنها لا تصلح لك وبعضهن رفض أهلهن للعنصرية، والآن بعد أربعين سنة أدركت أن تنبؤء عمتي رحمها الله كان صحيحا. والآن نحن على مشارف امتحان التوجيهي لبنات الأميلس وكنت أدرس في القاهرة فجئت وإذا بسليمان الأميلس في المطار يفتش على الركاب من الجمرك، وإذا به يستقبلني استقبالا حافلا وكان زميلي عطاالله معي، فقال والله لازم تعيد الخطبة وقلت للوالد والأخ محمد فقالوا كم مرة وهو يردنا، فذهبت إليه وحدي فقال بعد أسبوع تجيء. وجئته في الموعد وقال كلمة متعالية كادت أن تقصف بالموقف لولا حكمته، وقال أنت أهل لها من حيث النسب فقلت مباشرة لو أدري أني لست أهلا لها من الجوانب كلها لما أتيت بصرامة قوية فتلافى الأمر وغير مجرى الحديث، وقال اعتبر نفسك متزوجا

وتزوجت نوره بنت سليمان الأميلس وهي الزوجة الوحيدة، وعشت معها الحياة التي أتمناها، وقد أبدعت في الحياة المنزلية، فكانت ربة بيت متميزة وجدت فيها أمنياتي بنظام المنزل وإعداد وجبات الضيوف والزائرين، وكان بيتنا متفوقا مجاريا للتطور وما زالت أكلات أم عادل موضع أعجاب كل من يزورنا رغم اختلاف مشاربهم من نجد والجنوب والحجاز، وهي جاذبة لزوجات الأصدقاء فبينهن تحاب وتواد.

وكانت علاقتها مع أسرتي موضع تقديري فوالدي كان يأنس عندي في البيت وتجلس معه رغم تكرار بعض الأحاديث، وكذلك تعاملها مع إخوتي ونسائنا في تحاب وتعاون، وما زال الترابط مع الأوائل موجود. بل إنها تقابل إخواني وأعمامي وكبار السن، فكانوا يقدرونها فجزاها الله خيرا. ولها عيب وهي أنها ترى المكتبة ضرة لها، فهي قليلة التعامل معها قراءة أما تنظيفها فهي تعطيها حقوقها.

أما علاقتي بسليمان الأميلس والدها فلقد تطورت إلى صداقة ومودة، وثقة فهو رجل مثقف متابع التطور الحضاري، وهو عرف ذلك مني فكان مجلسنا ماتعا ومفيدا رحمه الله.

وكانت عمتي – رحمها الله – ونحن ندعو أم الزوجة (عمه)، فهي موضع احترامي وتقديري، كانت تمنحنا اللبن يوم لا لبن موجود، وكانت مشهورة بإعداد الوليمة قبل وجود المطابخ.

وكذلك علاقتي بإخوان زوجتي وأخواتها احترام وتقدير ومودة بل ثقة فلا قدرة لأحد أن يشكك أو ينم، لم يحدث خلاف أبدا ولله الحمد. ومع كثرة تحاوري مع فرج ومحمد وأحمد وخالد إلا إن الحب والود يفيض من خلال حديثنا ومجالسنا. بل إن الأب والأم والإخوة والأخوات يقفون معي عندما تحاول أم عادل أن تتعرض لي بالتنقيص شأن الزوجات. وفي تلك الأيام أشتد عود جماعة التبليغ في المملكة عامة، فأخذوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجوبون مدن المملكة وقراها، ويستوطنون المساجد وهم يدعون إلى الالتزام الديني الفردي، وترويض النفس على العبادة والزهد، ويدعون إلى رحلات تبدأ باليوم وربما تجاوزت إلى الأربعين يوما، وهم يدعون إلى رحلات خارجية إلى الأردن ومصر والباكستان بل وأمريكا وأوربا، وقد التحق بها الصديق أحمد أقيهب، والجار نزال فالح البلوي رحمه الله وظلت علاقتي بهما دائمة.

وقد التحق بهم أعداد كبيرة من أبناء الشعب السعودي ولا سيما الأميين والذين التحقوا بالتعليم في عمرهم المتأخر، وكذلك التحق بهم كثير من الدعاة بل من ضباط الجيش وأفراده. وأراد بعضهم أن يجعل من المعهد العلمي مركزا لهم من حيث استضافة الوعاظ. وقد استجبت لبعض الدعاة ولكن سطحية العلم عندهم وكثرتهم، وعدم تحبيبهم لطلب العلم كل ذلك جعلني أعلن لهم أن لا يمكن استقبال ضيوف خطباء في المعهد إلا بعد معرفتي بالشخصية، فإذا كان عالما معروفا جمعت له الطلاب، وكنت أرغب في منهج جماعة التبليغ جانب تعليم العامة على المبادئ مثل الصلاة والقراءة فهي تناسب المجتمع في ذلك الزمن.

ثم جاءت لتبوك الحركة السلفية المتشددة بعد سنوات، واشتبكت مع جماعة التبليغ. بل أعلنت المجابهة مع كل من يخالف، فهي تحارب الغناء وتحارب أكثر المعالم الترفيهية وحرصت في دعوتها على محاربة القضايا الاجتماعية أكثر من حرصها على التعليم.

كان المعهد في مبنى مستأجر في أطراف المنشية مع تواصله مع حارة الخالدية ثم انتقلنا إلى مبنى جديد هو أول مبنى للمعاهد العلمية، وكان ذلك في عام ١٣٩٨هـ في مراحل تكوين جامعة الإمام بعد تحولها من الرئاسة العامة إلى جامعة، وقد دعوت مدير الجامعة الدكتور/عبدالله التركي لرعاية حفل افتتاح المبنى الجديد، وجاء وفد كبير من

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

الجامعة منهم الدكتور/ صالح العلي وأضحى رئيسا لديوان المراقبة برتبة وزير ومنهم الشاعر زاهر عواض الألمعي ومجموعة كبيرة من الجامعة. وقد أخذت العدة لهم منذ شهرين وكان أمير تبوك (سليمان السديري) وكنا نعد حفلا سنويا للمعهد يحضره (سليمان السديري) كل سنة مما جعل التواصل مع الإمارة والإدارات الحكومية جيدا لإعجابه بالإعداد مع إنه متعب جدا فلا مسرح ولا مكان للتنظيم، فإعداده من الصعوبة بمكان، وكنا ننظم مسرحيات تعالج القضايا الاجتماعية، وتنظيم الحفل نال أعجاب المسؤولين حتى قادة المنطقة العسكرية، والواقع أن المعهد العلمي بتبوك تفوق في نشاطه على نشاط إدارة التعليم.

وقد أتيت إلى الأمير سليمان السديري وأخبرته بالوفد، فأعجب إعجابا شديدا، وقد بادرت إلى وضع البرنامج قبل أن آتيه ومنه زيارات ودعوات عندي وعند الخريجين من الجامعة، وكذلك عند القاضي الشيخ عبد العزيز الحميد، ولهم لقاءات متعددة في القوات المسلحة كان برنامجا حافلا. استقبلناهم في المطار، وكانت الأخبار تنقل في الإذاعة الرسمية قبل التلفاز فجاء خبرهم في النشرة العامة. وليس هناك فندق، وإنما جعلت لهم الدور الأعلى في المعهد وفرشناه بسرر ومراتب مبسطه. وقمنا بإعداد القهوة والمستلزمات. وكل هذا يهون مادام المسرح موجود. أقمنا حفلنا الرائع برعاية الأمير ومدير الجامعة وكانت البرامج معدة إعدادا جيدا وقد حفظت الخطبة حفظا خشية أن ترتجف يدايّ أثناء مسك الأوراق.

كان الجميع معجبا بالحفل الضيوف وأهالي تبوك، وكان العشاء على حساب المعهد ولكن في مبنى الإمارة من أجل إعداده لمثل هذه المناسبة.

وبعد العشاء طلب رئيس البلدية (فهد القباع) أن تكون عنده جلسة قهوة، وكان أستاذي في الابتدائي، فانتقلنا إلى منزله وجاءت المفاجأة التي لم أتوقعها، فقد جاء

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محمد الغريض وهو رجل أعمال ومن وجهاء البلد، وهو المقاول الذي قام ببناء المعهد. فأعلن أنه يريد أن يكون لهم عشاء أو غداء، فأشار إليَّ الأمير فقلت: ليس له مكان في البرنامج، وقد أشعرته من قبل. فلم يرتض الجمع الرد. وطلبوا تحديد زمن لمناسبته ولكني امتنعت بحجة الالتزام السابق، ولكن الأمير ومدير الجامعة والوجهاء مع محمد الغريض، فأرادوا أن يبعدوا تكريم المتخرجين من الجامعة وعددهم ثلاثون. فوقفت بإصرار ضده، وكان الأمير سليمان التركي يداعب فقال آخذهم منك بالحق العربي، فقلت أنا ليس عندي حق عربي، وإنما التزام شرعي فتدخل مدير الجامعة وأراد أن يصر علي ويلزمني فرفضت. المجلس تحول إلى توتر بعض الشيء فقال سليمان السديري أنا أستأذن من الجامعيين، ويعرف أن اثنين عنده في الإمارة منهم ومن أصدقائي وذكرهما وهما الشيخ عواد عيد المدمي المستشار في الإمارة والأستاذ عبدالله هويمل مدير الحقوق الخاصة، فقلت له إنهما لم يشتركا. فطلب مني المنظمين فذكرت له منهم عبد الرحمن الغانم والملازم أحمد الحذيفي. فكأني أشرت له بما يبتغون فمباشرة قال الأمير لقائد المنطقة كلم الحذيفي فكلمه بالهاتف الأرضي، فليس هناك جوال وكان أحمد الحذيفي وديعا لطيفا فاستجاب لقائده، فخرجنا وأوصلنا الوفد لمقرهم ولازمت مدير الجامعة، ولكني مع هذا لست راضيا. ولما رجعت إلى البيت أتصل عبد الرحمن الغانم وكان قويا فقال فرطت بحقنا فذكرت له ما دار، وأني لست راضيا. فذهب إلى الأمير سليمان السديري في الصباح ونزلَ عقاله على طاولته، وقال والله لن أرفعه حتى ترد حقنا الذي سلبته، فأعاد البرنامج وزاد عليه إفطارا عند الشيخ عبد العزيز بدل الغداء الذي تحول عند محمد الغريض، وقد دعوتهم إلى الغداء عندي في حصاة على طريق البير، وقد قام بالإعداد أصحابي وأصدقائي. والواقعة كلها زادت المحبة عند الأمير، وعند الغريض نفسه وسائر أعيان تبوك فهم لم يشهدوا هذا الجمع من قبل وكانت مهرجانا ثقافيا في تبوك وأصداء

الجديد و طريف NEW & EXCLUSIVE

الحفل والبرنامج ونجاحهما كان له صوته في الجامعة، حتى أن مدير الجامعة أشاد به في حفل المعهد العلمي بالرياض وذكر أنه أكثر جودة وإتقانا.

الواقع أن المعهد العلمي شعلة نشاط مع القضاة ومع العلماء الوافدين ومع الإمارة حتى جاء الأمير عبد المجيد فكان يحضر كل احتفالات المعهد وأذكر منها أول احتفال في ١٢/٦/١٤٠٠هـ، فقد ألزمتُ مسلم فريج العطوى بقصيدة فشارك بقصيدة حول غزوة تبوك نالت الاستحسان. وكان نشاط النادي مصدر تواصل مع شرائح المجتمع ومع الوجهاء وكبار الموظفين، ولم يكن لي هدف من ورائه فأنا اجتنب الشفاعة والواسطة، وأجتنب خلافات المجتمع، ونشاط المعهد يقام في قاعة هي الوحيدة في تبوك، والناس يحضرون لتلك الفعاليات وكنت أدعو رؤساء الدوائر ومنهم الأمير وقائد المنطقة، ورؤساء المحاكم والشرطة والبلدية، وكنت أرقب البرامج التي تعلن على الجمهور وتارة أعد مسرحياتها. وفي إحدى المسرحيات مسرحية صامته تمثل الزى العربي لكل دولة، ويتحدثون في الأمم المتحدة بأسلوب ساخر، فقال لي الأمير سليمان السديري بعدها الحقني في مبنى الإمارة، فأحسست خيفة وقلت في نفسي أن الرجل يحمل غضبا، فلم ألحق به، وتم نسيان الموضوع أو تناسيه جزاه الله خيراً وفي إحدى المسرحيات الاجتماعية أراد الطلاب ذكر أسماء قبائل، ولكني منعتهم فلما ظهر حسن عسيري الممثل المشهور وهو من أبناء المعهد، لما ظهر على المسرح ذكر بعض القبائل، فأنبته على ذلك فيما بعد ولكني تفاجئت في الصباح الباكر بعد الحفل المسائي أن أجد عسكريا رسميا على الباب، فسألته الخبر، فقال معي رسالة شخصيه من قائد المنطقة عبد العزيز آل الشيخ، وتتضمن الشكر وينصح فيها بعدم ذكر القبائل ويشيد بالحفل. وكان الأمير سليمان يشيد بتنظيم المعهد العلمي، ويحرص على حضور حفله السنوي، ويناقش معي عروضه المسرحية بعد سنة، وكان الشيخ عبد العزيز صالح الحميد شابا

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أدعوه للمعهد وتواصلت الروابط معه فكان داعما، وكانت علاقتي مع القضاة قريبا من ذلك وأولادهم يدرسون في المعهد، وكنت حازما مع سائر الطلاب حتى مع أبناء القضاة والأقرباء، والوجهاء، فكانوا يشيرون إلي الحزم ويصفونه بالعنف لكن لم يحدث صدام أبدا.

وكنت مهموما بالهاجس الثقافي في تبوك وكذلك الاجتماعي وأتابع الصحف، فكنت أتمنى أن تشاد المعاهد والمدارس والجامعات والجمعيات في تبوك وكتبت مقالا مطولا موجها للشيخ عبد العزيز بن باز حول جماعة تحفيظ القرآن، فلم نلبث شهرا حتى أعلن الأمير عبد المجيد تكوين جماعة تحفيظ القرآن وكنت أمينا لها. ولما حضر مدير الجامعة لتبوك قدمنا مشروعا لإنشاء فرع لجامعة تبوك وتواصل الأمر مع الأمير عبد المجيد، وكاد أن يكون لولا أن مات حسن آل الشيخ، ثم انتقل الأمير عبد المجيد للمدينة المنورة وحاول الأمير ممدوح مواصلة الموضوع لكنه طالب بإنشاء جامعة وبناء مشروعها أولا وكان ذلك في بداية نزول سعر النفط العالمي فكان المشروع أشبه بالخيال، وتمنيت على الأمير ممدوح إنشاء كلية من فرعين تابعة لإحدى الجامعات، وطلب مني دراسة لذلك. لكن نقل الأمير ممدوح، وانتقلت إلى جامعة القصيم بعد حصولي على الدكتوراه.

كانت مصادر الثقافة في تبوك قليلة جدا، فإلى جانب الدراسة في الأزهر والاتجاهات حاولت أن أكون منتدى صغيرا يوم السبت ليلة الأحد في عام ١٣٩٨هـ وكان العدد محدودا فالأمر يحتاج إلى ترخيص. والحركات الإسلامية والحداثة أخذت تتضح وتكون شبهة، ولذا كان العدد محدودا وجعلناه للقراءة المتنوعة وأكثر من التزم بحضوره الأستاذ/ ضيف الله المضلعاني، وقليلاً ما يزداد العدد وأذكر أننا استضفنا الدكتور/ خالد الكماخي الذي قام بتأسيس كلية التربية للبنات بتبوك. وأحيانا نعمل

الجديد و الطريف
NEW & EXCLUSIVE

على منتدى متنقل مع أعضاء التدريس بالتناوب، وكانت علاقتي مع الموجهين من الرياض علاقة جيدة فأنا أستضيفهم في البيت استضافة خاصة ليس فيها تكلف، وأقوم معهم بجولة في تبوك، وأوضاع المعهد لم تستدع الخلاف معهم، فكل شيء واضح عندي، ماعدا إحدى الزيارات وكان الموجه إبراهيم الدوخي زميلا في الدراسة. فقد حدث أن ظهرت أصوات ضوضاء في السنة الثالثة الثانوية على أحد المدرسين. فقررت خصم خمسة أيام وخمس درجات واشتكوا له، فجاء إلى الإدارة وقد ظهرت عليه معالم الغضب، وقال حرام عليك تعمل هكذا يجب عليك أن تلغي القرار. فقلت له هل أنت شافع أم منصف قال منصف قلت أرفع أمرك إلى مدير الجامعة أو وكيل المعاهد. وكأن الرد أعجب زميله صالح الضويحي رحمه الله فقلت له فيما بعد لو أطعتك لرأى الطلاب ذلك ضعفا وتمردوا على المدير. وقد أخذت أمازح الأستاذ إبراهيم بعد فترة وكان الرجل كريما شهما أكرمني مرات عنده في الإدارة وفي الجامعة بل وفي منازلهم وكنت ميالا لهم حتى بعد التحاقي بالجامعة وصحبتي مع أعضاء هيئة التدريس.

سعدت بزواجي وكنت مستأجرا بيتا شعبيا بجوار والدي، ثم انتقلنا إلى بيتنا في حي المهرجان والفيصلية وكان البناء من البنك العقاري الذي له دوره الكبير في تنمية العمران وجاء لنا الأبناء، وقد حققت زوجتي أمنياتي بالقيام ببيتي ونظامه ونظافته والاحتفاء بالأقارب والأصدقاء والضيوف إنها رحلة يسودها الحب وكانت أسرتنا تخرج في رحلات بريه وساحلية إلى حقل وكانت مجمعا للتآلف الأسري حتى مع الأقارب خارج الأسرة. وكانت زوجتي نوره تحمل عقلا راجحا وخلقا جيدا، وتضرب للكلمة حسابا رغم بشاشتها، ولذلك فإن أسرتنا محبوبة من الأقارب والأصدقاء واتخذت منهجا للتواصل الاجتماعي، وهو القيام بزيارات للأقارب ولا سيما كبار السن، أمازحهم وأتلطف معهم. وفي أيام الأعياد أزور كل من هو أكبر سنا وكان ذلك مصدر

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

حب وود حتى مع أولادهم. وذلك لا يكلف شيئا حتى من الزمن وكنت أخرج برحلات برية بأسرتي الصغيرة ونزور فيها الأقرباء من أهل البادية في الأعياد والمناسبات وكنت أبتهج معهم وأسعد وما أجمل البساطة والبشاشة فإنهما مصدر سعادة ومصدر معرفه وتجربة ووعي بالمجتمع. نسأل الله فوق ذلك أن يكتب لنا الأجر والمثوبة، ونستغفره عما طرأ من تجاوزات وأخطاء فإن الله غفور رحيم. ومع تلك العلاقات فإني حريص على التزود بالمعرفة وبإعداد رسائلي للماجستير والدكتوراه قبل مدتها المقررة وحريصٌ على التواصل مع زملاء العمل، وزملاء الدراسة، وأحضر مجالسهم الخاصة والعامة، إنها شكلية الحياة المتنوعة، وكنت في غفلة عن الصراع الاجتماعي داخل القبيلة ومع القبائل الأخرى، وكذلك داخل تبوك، ولم أحرص على جني ثمار العلاقات ماديا، فلم أطالب بأرض أو أي موارد ماليه أخرى فأنا في غفلة منها حتى يومنا هذا وأسأل الله أن يتواصل ذلك في بقية حياتي.

في تلك المرحلة كنت أكتب رسالة الماجستير عن الفيلسوف الشاعر العتابي: حياته وشعره وهو شاعر قال الشعر زمن هارون الرشيد وابنه المأمون، وكان على علم باللغة الفارسية، وكان عالما حكيما بعيدا عن العنصرية القبلية، وهو الذي قال له مالك بن طوق التغلبي: لماذا لم تواصل القرابة فقال: قريبك من قربت منك مودته،وعشيرك من حسنت عشرته. وهذا منهج ربما أني أستلهمه ولامس مني توجها مماثلا له، فأنا لست مغرما بزيارة الوجهاء من أعيان القبيلة حتى أني لم أعرفهم إلا بعد تخرجي من الجامعة بسنوات وأكثر مقابلتي لهم في المناسبات الاجتماعية أتبادل معهم الأحاديث من منطلق ثقافي واجتماعي فكنت أتساءل معهم عن مهمة أمير القبيلة المعاصر وأن التحول في أدوار أمير القبيلة يتطور بحسب التحول الحياتي. أنهم مشحونون بالماضي منتمون إليه. هو مجال أحاديثهم في مجتمعاتهم، ولم يعملوا على معالجة القضايا الاجتماعية، وكان هم

الجديد والطريف
NEW & EXCLUSIVE

بعضهم رضا الإداريين عنهم نظير تلبية طلباتهم. وربما أن النظام المدني تبنته الدولة السعودية ويقوم على تحصيل الفرد لكل ما يحتاج حتى تعامله مع الدوائر الحكومية لا يحتاج إلى شيخ القبيلة أو غير ذلك مما أراح أمراء القبائل من بعض المسؤوليات، لكن الدولة لم تمنعهم عن التواصل الاجتماعي ومحاولة بناء الجسور على القضايا الاجتماعية في الأحياء والقرى، لكن ذلك أمر لم يعهدوه ولم يدركوا نتائجه، فكنت أعرض على بعضهم بناء متاحف، بل وأطالب بالمحافظة على النقوش والآثار حول قريته أو مضارب البادية ولم أجد لذلك صدى.

كان أول لقاء مع الشيخ كريم بن عطية وهو معمر وهو رجل فارس له جولات وصولات فروسية قبل العهد السعودي وأثناء تكوين كيان الدولة، كان أول لقاء في دعوة عند والد صديقي عطاالله بن هرماس، فسألت الشيخ كريم أسئلة لم يعهدها عن بداية طفولته وملابسه وكيف كانت أطعمتهم وألبستهم فأخذ يتحدث عنها بصراحة ثم أجريت معه مقابلة في الفيديو لكنها ضاعت ولي معرفة مع الشيخ/ جزاع كريم وأيضاً لي صداقة مع أولاد كريم بل زمالة دراسة مع محمد كريم وراكان وعبدالله وطراد وفلاح ومحسن وما زالت العلاقة معهم بل التواصل الثقافي مع عبدالله وفلاح وكل منهم وصل إلى رتبة لواء وتواصلنا أثناء عملنا في الرياض، ولما جئنا إلى تبوك تواصلنا مع ضيوف النادي الأدبي حضورا وإسهاما في الدعوات المنزلية. بل هما ممن تبرعوا للجنة التكريم تبرعا سخيا وأسجل للواء فلاح مبادرة للتبرع بثلاثين الف ريال سنويا في أول مجلس حمل بذرة الاقتراح، ولهما قصورهما العامرة على طريق المدينة ويفد عليها الزوار فابوابهما مفتوحة ولهما تواصلهما مع الجمعيات الخيرية.

أما الشيخ سالم بن حرب رحمه الله، فهو رجل يحمل هاجس التواصل ووظفها للعلاقات مع الوجهاء وكبار المسئولين ومعرفتي له الأولى في الرياض يسأل عن هذا

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشاب المتخرج من الجامعة واسأل عنه، وحين جئت إلى تبوك دعاني صديقي سعود محمد العرجان وإذا صاحب الوليمة أحد الشيوخ فعرف بي سعود أن مسعدا هو أول متخرج من الجامعة بالنسبة للقبيلة فقال: بارك الله له ولكن نجمة واحدة (ملازم) أفضل من الدكتوراه فقلت له لأن تبوك منطقة عسكرية ، وكان للشرطة والعسكرية هيبة في نفوس المجتمع والضابط له مكانة عالية حتى أن جاري وقريبي علي حمود النواقي تمنى أن أكون ضابطاً.

والتقيت بسالم بن حرب كثيرا ولقاؤنا يدور حول دور القضايا الاجتماعية وتارة حول طلب المؤسسات التعليمية والاجتماعية، وتارة يدور فيها صدام حول عدم اهتمامي بالكتابة عن مشايخ القبيلة وعنه وأسرته، ولكني أرد عليه أنا لا أكتب إلا عن شيء موثق فلم يرض بذلك ولم يطلعني على أي وثيقة، وكنت وإياه في جدل دائم ولكن لم تصل إلى مرحلة الجفاء فأبوابه رحمه الله مفتوحة وتواصله الاجتماعي كبير وسمعته خارج تبوك أكثر ولي مواقف معه كثيرة. فكانت تبريراته صريحة لي ولست بالمهمش في مجلسه ولا حتى أي من مشايخ القبيلة فإنني في حضور من مجالسهم وموجه لي الأحاديث، بل إنني أحولها حيث أريد لثقافتي الاجتماعية والعلمية وربطي بينهما بطريقة تقنع الحاضرين، إن ذلك من فضل الله علي، ولي ذات المواقف مع الشيخ سعود، ولي صداقتي مع الشيخ الحالي منصور بن حرب وأجد الود من أولادهم والأسرة كلها يشهد لهم القاصي والداني بقدرة التواصل. وقد وقف الشيخ منصور مع لجنة التكريم ودعمها، وكذلك لي علاقة ودية مع أخويه محمد وأحمد فهما لهما مكانتهما الاجتماعية وقصورهم يرتادها الكثير.

ومن المواقف مع الشيخ سالم بن حرب صاحب الجاه العريض أن دعاني الصديق عبد العزيز أبو شعيل وهو ابن عم لابن حرب. فوجدت الشيخ سالم والشيخ

الجديد و طريف NEW & EXCLUSIVE

عباطةالعطيات وهو عمل في القوات الأردنية ووصل رتبة عميد ورجل وجيه، وكذلك الشيخ عطالله بن سلامه الرضمة وهو رجل متحدث سلطان مجالس له مكانته في القبيلة، وسعى للاعتراف بمشيخته، وكان صديقاً مقرباً لابن حرب، فدار الحديث حول احتفال الزواج الذي يمتد إلى ثلاثة أيام وما فيه من الإسراف، وقد عزمت من قبل على ألا أتحدث، فقال عطالله الرضمة أتركوا الناس على عاداتهم ليفرحوا أو يمزحوا، فلم أعترض عليه ولكن لما أيده الشيخ سالم اندفعت معترضا، فقلت إنك شيخ قبيلة فهل تؤيد ذلك الإسراف والترف المادي للقبيلة، فكم يذبحون ويلقون في النفايات الذبائح الكثيرة، وكذلك أكواما من الأغذية، فأيدني الشيخ عباطة العطيات، وكذلك الشيخ سالم أيدني بقوة لما رأى صواب الرأي. والواقع أن المسرفين هم الضعفاء أما الأغنياء فإنهم لم يتجاوزوا الليلة الواحدة وأكثرها احتفالا أسريا، بينما أبناء القبائل هم المسرفون.

وكان الشيخ محمد سليم أبو دميك هو الذي وقع على حفيظة النفوس في أول يوم عرفته وقابلته منه، وكان أخوه سالما قد لجأ إلى الشام من حادثة مع أمير تبوك ثم عاد إلى الوطن وقد أحتفلت به القبائل وكونوا له ولائم كبيره استمرت أكثر من شهر، وكان ضيق الأفق عند المسؤولين في ذلك الزمن كبيراً لولا أن الأمير عبد المجيد أمر بعدم مضايقة القبيلة، ولما تعرفت على سالم أبو دميك أعجب بي ومازال يظهر الإعجاب حتى بخطبتي أمام الأمير سلطان بن عبد العزيز حين شهد حفل تأسيس المستشفى في تبوك عام ١٤٢٦هـ، والرجل دمث الأخلاق ولي لقاءات مع الشيخ محمد في المناسبات وكذلك سالم ونتبادل الود والمحبة، والأحاديث الاجتماعية. وقد كانا عونا في تكوين لجنة التكريم للعلم والمعرفة للقبيلة وشأنها شأن مشايخ القبائل لهما تواصلهم وهما أبناء الشيخ سليم أبو دميك المشهور عند القبيلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن المجتمع القبلي لم يتحول كثيرا مع التحولات المعرفية والعلمية والثقافية كل التحول إنما استمدوا من الموروث الإيجابي والسلبي، ومنها التنافس على مشيخة القبيلة ثم العشيرة ثم الأسرة، وتنازعت العشائر وانشطرت كل عشيرة إلى مجموعات كل مجموعه تتبع أحدهم يناضل الفرد كثيرا بل طول حياته لأجل الاعتراف بريادته للعشيرة وهذا عمل أدى لتشطير الأسر والعشائر يشجع المتنافسين كلهم ويضربهم ببعضهم، وتارة يتبنى كل شيخ أحد أفراد العشيرة وشيخ آخر يؤيد الفرد الآخر المنافس، حتى أن بعض الأفراد يسعى أربعين سنة ويجري وراء المشايخ وهم يعدونهم ويمنونهم ولكن بلا جدوى ، وربما أن الأمر يصعب عليهم لتكاثر العدد عليهم.

ومن الأمراض الطارئة الهجرة من الحاضرة إلى البادية وهي هجرة عكسية منهي عنها بخلاف الهجرة من البادية إلى الحاضرة، وهي التي حث عليها الرسول ﷺ وقد دعا إليها الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هذا الكيان. والهجرة من الحاضرة للبادية وتتمثل في تربية الإبل والاعتناء بها والبذل لها وكذلك تربيتها للسباق، وعرضها في المناسبات، من حيث المبدأ لا أعترض على تربيتها ورعايتها لمن لهم القدرة المالية، ولم يتخذوها ذريعة للهروب من تربية الأسرة، وكذلك تستحوذ على مالهم، وتشغلهم عن تربية أولادهم فيتركون الدراسة ويضيع بعضهم ويدخلون في عصابات للسرقات أو لترويج المخدرات إن التربية في عصرنا هذا أهم أمانة يحملها رب الأسرة وهي ذات معاناة وإرهاق، وتحتاج إلى حضور دائم، ولذلك حذر منها الرسول ﷺ وذكر أن العودة إلى الأعرابية (البادية) من الكبائر في إحدى الروايات.

كنت أعترض على تربية الإبل لمن لا قدرة لهم ورأي صريحٌ فلما جاء سمو الأمير فهد بن سلطان إلى تبوك عام ١٤٠٧هـ، وقد أراد الشيخ سالم بن حرب أن يكون سباقا سنويا للإبل، اعترض عليه بعض الناس وكتبوا كتابا من فاعل خير يذكر

المبررات المعارضة، ولم أعلم بالموضوع حتى قابلت الشيخ سالم بن حرب في دعوة عند عبد العزيز أبو شعيل، فلم يلبث بعد حضوره إلا أن قال أنا أعرف فاعل الخير الذي كتب للأمير وأخبرته وهو يعرض بي، فقلت الأمراء لا يأخذون بأقوال فاعل الخير وأدركت من مقابلتي لبعض الأعيان أثر ذلك. والواقع أني لم أكتب عن أي فكرة باسم فاعل خير فأنا صريح وواضح ثم عندي تجربة من الفعل الخفي الماكر، فقد كنت في مدرسة التربية الاجتماعية ومعي زميلي عبد الحميد صدفان وله أخ كبير، وقد عبثت بحقيبته، فاشتكي لأخيه فقال له هل رأيته. هل رآه أحد فقال أنا أتهمه، فقال هذا عمل ماكر فاترك الأمر لله. فكانت درسا لي فلم أحاول المكر، ولم أعمل في السر منذ ذلك ولله الحمد.

الزراعة في الحياة العربية:

تداعب فكري دائما فكرة رفض العربي والأعرابي والبدوي المعاصر لحياة الزراعة والاستقرار وحين أتذكر الحياة القبلية من حولي أجد مفارقات متعددة تكشف لنا أن التنظير والوصف في واد والحقيقة ماثلة في واد أو على سفح جبل، إنني في منطقة وعرة هي أطراف جبال (السروات) في شمال غرب الجزيرة، وهي جبال عالية وأودية سحيقة وتلاع وشعاب، وهي منطقة رعوية، ولكنها أيضاً زراعية، فالقبلي حريص كل الحرص على أن يمتلك واحة، ويكون فيها بذل المال والجهد بل والدم والصراع الطويل وليس أدل على ذلك من وجود الواحات في قمم الجبال وعلى سفوحها شديدة الانحدار كما هو في جبل (شيبان) وجبل (وتر) وجبل اللوز وهذه من أعظم جبال الجزيرة العربية، ولو وقف الباحثون على معالم الزراعة والواحات والمباني للأجيال المتتابعة والقرون المتتالية لكشف لنا عن العجب العجاب. إنني قمت برحلات متعددة في شمال غرب الجزيرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علقان وحقل والزيته وحسمى، ثم الحرة ثم حرة الرهاة ثم البيضاء والأخضر والفارعة وأبوراكة والجو وطرق الرسول في غزوة تبوك، فما زالت تلك الواحات إمّا متواجدة وتدب فيها الحياة، وإمّا اندثرت لعوامل التصحر، ولكن كلها تنبئ عن حب ابن القبيلة لحياة الاستقرار وحياة الزراعة بل والعمل فيها وأنا وأبناء القبائل المعاصرين يرثون تلك الواحات الزراعية، ونعمل فيها كما عمل آباؤنا، إن الزراعة مصدر حب وغارسة في الملكية الفردية للفرد العربي منذ العصر الجاهلي وما قبله حتى يومنا هنا ولكن السائل يسأل والمعترض يعترض بقولهم لماذا هذا الارتحال. أقول إن الارتحال ناجم عن ظروف البيئة فالواحات لا تكفي ولا تفي بحاجة الناس الغذائية للبشر ولا للمواشي، ومن هنا فإنهم ينتقلون وراء المراعي ويرتحلون لطلب المعايش وجلبها إلى الشام ثم يعودون لتلك الواحات مع معرفتهم للخيرات في بلاد الشام.

ونحن لما نقرأ الحياة العربية قبل التصحر نجد معالم الحضارات قائمة ماثلة للعيان فحضارة فلول عاد، وحضارة الثموديين وحضارة اللحيانين وحضارة مدين وحضارة الأنباط والتاريخ يدون أن المسافر يسافر من صنعاء فلا يحمل زاداً ولا غطاء، ويتنقل من قرية في النهار يتغذى فيها ويبيت في قرية أخرى حتى يصل بيت المقدس. ومعالمها واضحة للعيان في كل جبل وأحضانها وفي كل واحد وعلى التلال، إن بلادنا أجبرت على الحياة الرعوية ولكنها لم تعارض الحياة الحضرية والريفية، والدليل على ذلك سرعة تهافت أبناء البادية والريف للحضارة. إني وجيلي من المثقفين في شمال المملكة وجنوبها ووسطها وشرقها وغربها، حين نلتقي نستذكر أننا أبناء البادية الرعوية وأبناء الريف ومثلنا من قاد البلاد في تطورها الحضاري فلا تنازع بين الحياة الرعوية وباديتها والحضارة إلا بسبب التنافس على العيش وفقدان الأمن وما توارثته الأجيال من التاريخ الغابر للحروب على لقمة العيش. وأتمنى أن يكون هناك في منطقة تبوك وفي جامعة تبوك

مركزاً لدراسة المكان التاريخي والآثار والنقوش والواحات فجبل (اللوز) لا ترى فيه شعباً من الشعاب أو تلعة من التلاع أو سفحاً إلا وأنت واجد فيه بقايا معالم الزراعة وبناء المساكن، وكذلك في السهول المنبسطة تجد معالم الزراعة وجداولها انظر إلى (نعمى) و(روافه)، وجبل (قُرية، والعيينة)، ثم وادي الأخضر الممتد لأكثر من مائة وخمسين كيلا تجده عامراً بالواحات التي مازالت قائمة والمندثرة وهناك واحة (الخنبرة، وقنا، والهدرة، والهديرة، والنوييعة)، وكذلك البدع والبديعة وجبل (وتر) ففي منحدراته الواحات الكثيرة وجبل شيبان في سفوحه الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية كلها معالم زراعية مازال كثير منها، وكذلك عين الأخضر والبيضاء، والفارعة وأبوراكة ورحيب والظلفه، وحوبا والمعظم وتيماء والقليبة، كلها وقفت على معالمها الحاضرة ومعالمها الغابرة ورأيت فيها تتابع الحضارات وحول تبوك واحات مندثرة في رجوم شوهر والجرثومة ورايس ودمج وعيون تبوك، وهي واحات تتابع عليها الأقوام ولم تعش كلها متعاصرة وإنما تعلو تارة ويحيا بعضها وتندثر الأخرى. وتعاد الحياة لها، إنني عايشت العناية بها ثم عايشت تدميرها، لا سيما رجوم شهور، وكذلك الآبار على الحاجز الممتد بين عيون رايس حتى الجرثومة وأبو العجيجات ورجوم شوهر. لعل التاريخ كفيل بتغيير نظرة الثنائية القبلية بمحاذاة التحضر. وإن الذي أسجله هنا تألمنا حين يكون الافتراق بين مضارب النزل الصيفي في البادية وتفرق النزل وتشطره في الشعاب والأودية من أجل المراعي، إنها من عوامل المآسي للقبائل بما تحمله من فرقة ووحدة، ومعاناة للرعي وجذب الماء وقلة الغذاء وشدة البرد، وأنني عشت تلك المرحلة ولكن في طفولتي وقد تحدثت عنها بعض أوصافها. وقل أن نجد أسرة من بني عطية ليس لها أملاك زراعية وكذلك القبائل الأخرى في مواطنهم مثل بلي والحويطات وعنزة فلهم واحاتهم الزراعية. وقد تبنت الدولة السعودية التحول من البادية إلى الحاضرة، فوزعت الأراضي الزراعية، وحفرت الآبار،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأعطت قروضاً ثم قامت بتوزيع الإقطاعات الزراعية ومنحت للمزارعين القروض الكبيرة فتداعى ابناء المجتمع ومنهم أبناء القبائل للزراعة وهم مع تحضرهم واهتمامهم الزراعي لم يتركوا العناية بالواحات البرية وتربية الإبل التي وجد فيها الوجهاء والأعيان والمؤسرين مدلف للراحة النفسية من معاناة المدن حتى أن الإبل ألفت أصحابها فقد حدثني صديقي عيد الزميلي أنه غاب عن إبله شهراً إثر مرض فلما عاد وجلس بالخيمة وإذا بالإبل تتوافد حول الخيمة كلها وتقف هناك وتضع أنوفها على الخيمة ثم عادت، وحدثني العميد سعيد إبراهيم العطوي أن الشيخ سعود بن عيد بن حرب، كان عنده أحد الرعاة من الأردن ثم غاب الراعي أربع سنوات أو أكثر فعاد، وذهب سعود وصالح بن عاصي والراعي إلى الإبل في مرعاها فلما وصلوا صعد الراعي القديم على تلّ وهما معه فأخذ ينادي الإبل بأعلى صوته ويرفع صوته كأنه حداء فأخذت الإبل تتوافد وهي كثيرة ما شاء الله فلما اقتربت منه أخذت تمد أعناقها له وعيونها تدمع إنه موقف التآلف والتواد بين الإنسان والحيوان الأليف.

قضايا المجتمع:

لا شك أن المؤسس الملك عبد العزيز استطاع أن يكوّن دولة من قبائل متناحرة، وأقاليم متنافسة وحارب العنصريات، ومازج بين أبناء المناطق والقبائل وحدث تآخي عظيم، ولكن بعض الذين أتيح لهم العمل حملوا جوانب من الذاتية والانحيازية وعملت على تكوين شرائح حول القوى المؤثرة ولو أنهم استعملوا العدل والمشورة لحفتهم المحبة.

وقد ذكر التاريخ القديم تأثيرها على الأمم وسماها علماؤنا البطانة ودعوا بصلاحها وهي لا ريب من وجودها وساعد على تكوينها في المنطقة وغيرها تكوين

ثللية لها صداقة مصالحها تتحلق حول المسؤول لا تصارحه ولا تناصحه وإنما تزين له ماتريد وهذه لها تأثيرها مهما احترز منها المسؤول.

وقد أوصى الحكماء مثل هؤلاء فقال أحدهم لا تطلبوا من الأشياء ما يكون بحسب محبتكم، ولكن أحبوا من الأشياء ما هي محبوبة في أنفسها.

إن التعليم في بدايته بين القبائل العربية، والذين تخرجوا في الجامعة قليلون، وقد توافد لمدينة تبوك أعداد من المناطق الأخرى وتولوا إدارات، وهم يشكرون على ذلك، والواقع يهيئ لهم أن يستعينوا بمن يعرفون من أقاربهم أو ممن يمليه عليهم المنفذون من الدوائر الأخرى أي تبادل المصالح، وكل مسؤول يأتي بمن يجده من إقليمه وهكذا تكونت الطبقة الإدارية الأولى وهي تولد الطبقة الثانية فأضحى أبناء المنطقة، في بعد عن التكوين الإداري، وهم من الأصل عندهم القناعة، فلم يعالجوا ذلك بالتنافس السلمي والعمل على التواصل مع المسؤولين ولم يعالجوا أنفسهم بالبحث عن الأسباب الذاتية، ولم يغذوا عقولهم يومياً بالمعرفة فأضحوا بسبب من هذه في بُعدِ عن مواطن الاستشارة ولم يعملوا في الإدارة، وكان ذلك إحباطٌ لهم، وانزواء عن مواطن القرار، فانظر معي كم في المنطقة من المعلمين والمدرسين ولم يصلوا إلى المناصب الإدارية في إدارة التعليم، مع أنهم يمتازون بالمصداقية والتفاني في العمل، وليتهم جعلوا طلب الثقافة عادة فالعادة لها سلطان على النفس ونتيجة لذلك فإن عددا منهم أتجه إلى تربية الإبل، وليتهم يغذون عقولهم كما يغذون إبلهم وقد قال أفلاطون: ((أطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح فإن الخاصة تفضلك بالفكر والعامة بما تملك والجميع بما تعمل وتنجز))، ولذا غاب كثير من أبناء المنطقة عن التأثير التربوي والفكري والتطويري حتى الثللية المؤثرة منزوية على ذاتها فكل منهم في دائرته الضيقة فهم لم يواكبوا التطور الفكري فمثلا نجد أن انزواءهم أثر على تمسكهم الدائم بموروثات كمثل الاحتفال بالموروث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمنذ أيام الملك سعود وزيارته لتبوك عام ١٣٧٣هـ يقوم الاحتفال على عرض الإبل وما زال حتى آخر زيارة لخادم الحرمين الملك عبدالله عام ١٤٢٦هـ بل يحال بين أعيانهم ومقابلة الملوك كل ذلك التهميش ولّدَ الإحباط، فنحن نفتقد الاندفاع عند شبابنا في دراستهم وفي إنجازهم ويعود ذلك لفقدان الهمة التي تنمو مع اشتعال النفس للانجاز، ومن ثم نفتقد العزيمة لتواصل العمل ويعود ذلك إلى عدم الإحساس بالأهداف التي تؤدي إلى الانفعال والاندفاع وهو ما يشجع بالطموح، وعدم الممارسة، وكذلك عدم التواصل مع الآخرين، وهم يرددون استحالة وصول ابن المنطقة إلى المسؤولية أو حتى الكتابة الصحفية والواقع الذي أدركته من أن الكفاءة تفرض نفسها، وكل مسؤول يتمنى أن يجد كفاءات ونشاطا لينجح عمله وإدارته، والثقافة تظهر كالملبس الجميل، ولكن من الصعوبة التعرف على أولئك إذا لم يحفزهم المسئولون المباشرون ولم يندفعوا إلى التواصل، وقد حاول صديقي مدير التعليم محمد اللحيدان أن يفتح الباب أمام الجميع فوجد تعاونا وعمل توازناً. والواقع أنني أرحب بالتمازج الوطني ففيه تمازج فكري وفيه تحلل من العنصرية وفيه اجتماع على الوحدة الوطنية وفيه تمحيص للأرآء ويجب علينا أن نعمل به ونعمل على ضوابطه التي تؤدي إلى التوازن ولقد أوجد الملك عبد العزيز نماذج لهذا التمازج في مرحلة توحيد البلاد وما بعدها فليتنا نسير على البرامج الوطنية التي تواصل المسيرة وأنني أعشق بل أتمنى صحبة سائر الشرائح ولست ضد أي فئة وأشعر بالسعادة والبهجة إذا جلست مع كل شريحة فإذا تعارضت اللقاءات فإن أفضل الشرائح الأبعد من أجل التنويع.

إن مهمة الاندماج والتمازج مهمة إدارية وطنية، فبعض المناطق لا تستقبل أي مسؤول ومنطقة تبوك تستقبل المسؤول ومن يرغب أن يأتي به والأفضل الوسطية والحذر من الأهواء الشخصية إننا في زمن يحتاج إلى الجاذبية والاستدراج وتنمية القدرات

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

وإتاحة الفرص للجميع وذلك من مسؤولية القيادات الإدارية في الوزارات والمناطق. حتى لا تكون هناك شرائح قابلة للشائعات، وتبتهل تلك النفوس المريضة الشائعات والتجاوزات وربما تثير شررا على الأوطان. ومن التهميش إننا ثلة من الجامعيين من شرائح أبناء المنطقة ومن تخصصات مختلفة ولم ندع ولم نرشح لأي اجتماع استشاري بل لم أدع لأي لقاء، ولم أرشح لخطابة وقد رشحوا في إحدى المرات أمام الملك خالد خطيبا لا يحمل مستوى وهو عريف في الشرطة وأنا وبعض الجامعيين لم نرشح خشية الظهور مع أبي مدير المعهد العلمي وأحمل الماجستير، إنها النفوس المريضة. ولم أتحدث أمام كبار الزوار إلا بعد العودة إلى تبوك من مجلس الشورى وقد عانيت من الإقصاء المتعمد في زيارة الملك عبدالله بن عبد العزيز وقد رشحني سمو الأمير للعمل في اللجنة العليا، وهذا يؤدي إلى التوازن وينأى عن الإقصاء ويقنع المجتمع الواعي بالوسطية ،ولكنها تعقد اجتماعاتها في سرية لم أُدعّ لها وكلهم يعرفونني، وكنت أحمل أفكاراً لصالح الوطن وتطوير الحفل، ومع ذلك لم أحاول أن أثقل على سمو الأمير في إثارة الموضوع. فهم حلقة لها تأثيرها كما يقول أصحاب الإدارة، ولو أنهم أستشاروا لكان أفضل مما كان ولكان هناك تآلفا وغرسا لحب الملك والوطن ولحبهم أيضاً ومن الخير تمحيص الرأي بالحوار في اللجان والأخذ بالأغلبية فالدنيا تداول مرة لك وأخرى عليك فإن توليت فأحسن وإن تولوك فلن. وهذه المعاناة لا زالت قائمة مع تكرار زيارات ولاة الأمر. بل إن الخطيب والشاعر أمام الأمير سلطان ولي العهد وثم أمام الملك عبدالله ثم أمام الأمير سلمان بن عبد العزيز وزير الدفاع عام ١٤٣٣هـ مازالوا هم أنفسهم، مما أحدث تذمرا وفيه إثارة من المنطقة وخارجها فالسؤال الذي يُطرح لماذا هؤلاء لا غيرهم؟ وأين البقية؟ ألم يكن هناك تأهيلا كل ذلك يعود إلى فقدان الإحساس بغرس الحب والولاء بين الوطن وأبناء المنطقة. ويقوم على أهداف ضيقة ولا وسيلة إلى تجاوز هذه إلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بتعدد المشارب والحوار والنقاش في الاجتماعات، وقد جربت ذلك مع عدد من الأخوة فوجدت أن للأفكار قبولاً عند الجميع ولا ضرر منها على أحد، وقد أدرك كثير منهم أنني لا أحاول إبعاد الآخر أو منافسته وإنما نريد الحوار والنقاش الذي يساعده في إدارته فالهدف المصلحة العامة ونحن في مرحلة جديدة يجب علينا الإيثار والتنازل والتآلف والتآزر والتحلل من الذاتية والعنصرية.

وقد حذر العلماء الأوائل من أتخاذ الثللية حول السلطان خشية الاستحواذ عليه وحجبه عن العامة وحجب العامة عنه وولى الأمر إذا زار منطقة فإنه يريد أن يتعرف عليها ويرضي أهلها لذا فإن أهالي المدن والمناطق يستبشرون بلقاء ولي الأمر أو وزرائه أو ولاة المناطق فقالوا للمنصور: إن بعث البعوث والكشف عن أحوال الأقاليم لا يغني عن المشاهدة والمشاهدة لا تغني عن السماع وقد دأب الملك عبدالعزيز والملوك من أبنائه على زيارات المناطق ويتحدث الناس عن بذلهم وعطاياهم بسخاء لا نظير له، وبناء المشاريع التي يسمعها من المجتمع ومنها كثير من الجامعات والطرق التي نعرف أن الملوك أمروا بها في الحال فكان الحب والدعاء وقول الشعر الذي سطر ذلك. وقد أشرت إليها في كلمات كتبتها حين الانتظار في حفل ١٤٣١هـ لجائزة الزراعة: وأشرت إلى نتيجة التلاحم والبناء الوطني.

((كانت صحراء فأضحت مروجا خضراء، أشجار تعلو أشجاراً، زهور تجاور زهور، جنات من أعناب ونخيل، وتلال في أحضان الجبال، وحدائق زيتون ورمان، إنها آيات في الجمال، أدامها الله على الإنسان، وحمانا الله وبلادنا في كل زمان، جموع تلتف على جموع، تشدو بقيادة الإحسان، فيا الله بارك لنا في الأعمال، وامددنا بما يهدي للإبداع والإتقان، واجعلها لنا عونا على الدين، وعلى التلاحم والتمكين، واحمنا من

نـزغ الشـياطين، واغمـرنا بالإيمـان والعمـران إلى يـوم الـدين، واجعـل لنـا مثوبـة بـه يـوم تبعثون)).

كنـت مـثقلاً بالهـمّ الثقـافي، وكنـت محبـا للحيـاة الاجتماعيـة، وكنـت مشـاركاً بالكتابة الصحفية والتأليف، ومعني بالشأن الواقعي على مستوى الوطن ومستوى الأمة الإسلامية والعربية، بل ومتابعاً لأحداث العالم ومع ذلك أحمل هاجس مدينة تبوك بل هاجس التفاعل مع أبناء المنطقة. وكانت لقاءاتي مع أمير المنطقة لا توحي بأن يكون لآرائي قبولاً ولا مقترحاتي، وفي ذات ليلة من الليالي وأنا أسير في شوارع حيّ الغدير وهـذا مضـمار رياضـتي الليليـة بعـد العشـاء لقريـة مـن حـي المصـيف، الـذي فيـه منـزلي بالـرياض ولأن شـوارعه معبـدة ولم يتكـاثر فيـه السـكان، واتخـذت الـذكر عبـادة لي أثنـاء المسير في بعض الليالي فاكرر ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) مائة مرة واكرر ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله)) مائة مرة، وكذلك ((أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم)) مائة مرة، والاستغفار مائة مرة ذلك في أكثر الأحيان، وتارة تجتاحني الأفكار والأوهام فتغلب عليّ وذات ليلة شاتية كنت أسير وخطر علي علاقتي مع الأمير فهد بن سلطان وهو رجل مهيب قوي الشخصية عنده القدرة على ترويض الأفكار، ولم استطع أن أبثه أفكاري، فأخذت أقول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعبدك واستعن بك واستهديك وكررتها مائة مرة وطلبت الله أن يهـديني أولا للأصـلح لمـا يصـدر مـني أولا ويصـلح نيـتي وأن يتقبـل مـني الأمير وتكون العلاقة حسنة وأنا أنوي توظيفها للخير وللصالح العام. وبعدها أحسست بلين سموه وأخذ يحادثني حتى لما أردت الانتقال لتبوك زرته واستأذنت منه وأشرت أن هدفي الثقافة تمهيداً لمنتداي الثقافي الخاص. فرحب بالفكرة، والواقع أنه دعمني ووجهني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخذ بيدي، ورشحني لرئاسة النادي الأدبي ثم رشحني ضمن وفود المنطقة، وكذلك رشحني لمجلس المنطقة وللجمعية الخيرية، وكذلك لمجلس الآثار والسياحة في المنطقة، وقد صحبت وفد المنطقة لمبايعة سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز حين صدر أمر الملك بتعيينه نائبا ثانيا. وكذلك صحبت الوفد لحضور افتتاح مشاريع الحرمين والبدء بمشاريع أخرى عام ١٤٣٢هـ، والواقع إن أكثر الوفود من أعيان المنطقة ومن مشايخ القبائل، وقد تعرفت عليهم وحادثتهم وألفت الجميع ورأيت منهم المحبة والتقدير، وقد وجدت نفوساً طيبة قابلة للمقترحات الخيرة ومشكلة القبائل التنافس الداخلي في كل قبيلة أمّا إذا اجتمع شيوخ القبائل فإن الاحترام سائد بينهم وإذا طرح مشروع خيري خاليا من الأهواء فإنهم يبادرون إلى تأييده ونجم عن هذه الصحبة صدقات معهم، ومنهم الشيخ سالم أبو دميك العطوي والشيخ سليمان ابن رفاده البلوي، والشيخ عون أبو طقيقة الحويطي، والشيخ عبدالكريم بن رمان من تيماء ومنهم الشيخ محمد كريم العطيات ومنهم الشيخ عبدالعزيز الغريض والشيخ محمد الناصر، والشيخ مدني العلي، وكنت قادراً على التعامل مع الشريحتين الحضرية والبدوية، فأنا مخضرم، وإحساسي الداخلي هو تقدم المنطقة ومجتمعها ولذا أخوض في عموميات قضايا المنطقة وهم يرحبون بها.

وبهذه المناسبة فأنا أحاول أن أكون مستقلا لا انتمي لفئة داخل القبيلة دون فئة ولا لشريحة دون شريحة ولا لقبيلة دون قبيلة ولا لشخصية دون شخصية إنما الجميع أصدقاء، وقد دعاني بعض المشايخ لأكون ضمن اجتماع عام للقبيلة يبحث في استقبال الملك، فرفضت وقلت إني أعمل للمنطقة بقدرتي الذاتية مثل كتابة المقالات.

وكذلك رفضت حين عهدت لي لجنة الاستقبال لخادم الحرمين بأن أكون منظما لقبيلة بني عطية، وأصبحت في اللجنة العليا التي لم أدع لحضور أي اجتماع لها ولم يستمع لي أحد منهم. ولذلك أضحت الاحتفالات تقليدا لما كانت عليه من قبل،

فاللجنة متوارثة الأفكار، وبرنامجهم موحد حول عرض الإبل فكأن تبوك لم تدخل الحضارة.

ولما بدأت جلسات المنطقة أخذ عدد كبير يحذرني من الكلام والمداخلات وطرح الأفكار يشفقون علي من قوة الأمير ولكني أسأل الله دائما أن يريني الحق حقاً والباطل باطلا وأدعو الله أن يجنبني الزلل والخطل وأن يهديني إلى الطيب من القول وإلى الصراط الحميد، وأن يرزقني الكلمة الطيبة ويجنبني الكلمة الخبيثة. وقلت للإخوان لن أسكت عما أراه صائبا وسأحمل المسؤولية فالأمر لله مهما دفعت الثمن.

وأخذت أتحدث عما أراه بأسلوب مختصر جداً، فيتقبله الأمير فهد ويناقشه معي، فزاد تحذير الأخوة لي إشفاقا علي ومع ذلك لم أترك التعليق حتى قنع الجميع بقبول الأمير وأنه يتقبل الآراء الصائبة بأسلوب جيد حتى أن بعضهم يشير إلى طرحي الموجز للقضية.

والواقع أن الأمير مثقف ثقافة عالية فهو أعلم من الحاضرين ومني بالموضوعات، ونظراً لأنني أدرس المقترح، وتارة لي فيه مقالات متعددة وأحمل هاجسه، ولذلك يكون طرحي مقبولاً عند الأمير، وتبين للأعضاء قبوله للرأي المدروس، والاقتراح الواقعي الموضوعي.

ولما استقر بي المقام في تبوك بعد رحلة طويلة في الجامعات والمجتمعات المثقفة أردت أن أطرح الشأن الثقافي الاجتماعي العام في المجالس والمنتديات وقد رأيت الناس في إحباط وهمي، فيقولون إن الصحافة لا تنشر لنا، وهم يحجمون عن طرح قضاياهم لأن بعض المسؤولين يحذرونهم والواقع أنهم لم يستطيعوا إيصال الرسالة بطرائق مناسبة. وقد حاولت معهم فقلت إن القادر على الكتابة تستقبله الصحافة وإن الأمير يتقبل لو اتخذتم أسلوبا مناسبا، وإن الوظائف القيادية تحتاج إلى ثقافة وإلى تقدم خدمات وإلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تواصل اجتماعي وثقافي حتى يتم التعارف، ولكن جل المجتمع في عزلة مع وجود الوعي، ولكن أريد أن يتلاحم أبناء المنطقة في خدمة الوطن بدلا من الشائعات، وقد خضت في سبيل ذلك حوارات ومناقشات فيها قوة تجذب الكثير من الحضور وتغضب منهم القليل، وربما ذلك يعود لروح التنافس، فتلك القلة غير مثقفة ولا تستطيع على الحوار والحضور يتجهون لي لأنني طرحت القضية. ولذا وجدت معارضة من أولئك بحجة أني أطرح موضوعات فوق مستوى الحضور، وهذا ليس بصحيح، فالوعي متمكن من الجميع وتارة يقولون أنك صريح في طرحك حين أقول يجب على المدرسين والضباط والمهندسين أن يعملوا على الوعي الاجتماعي، ولكني رأيت أن كل أولئك في تهميش عن قيادة المحاورات في المجالس، ومن هنا يطرح المجتمع قضايا تتسم بالبساطة، بل ترى أن المجلس موزع إلى اثنين اثنين كل منهما يحادث الآخر، ولذلك فإني إذا حضرت مجلسا أحاول أن اطرح قضايا تهم الجميع فيشاركونني حتى أولئك الأقارب في البادية فإنهم يرغبون في محاوراتي، ولم أجد من يعارضها إلا أولئك المنافسون وأنا أعذرهم ولو أحصيت المؤيدين لطرحي لتجاوز ٨٠% في كل مجلس.

والواقع أني تعرضت لاعتراضات حادة، فاضطررت للرد فقال: أحدهم أن كل ضابط مثقف وكانت هيئته غير دالة على تأنق لذا لم أعرفهم مع أن رتبته كبيرة، فلما عرفني بنفسه ألقيت عليه أسئلة من اختصاصه فلم يفلح بالإجابة، فكان الأمر قاسيا. وقابلني مهندس رث الثياب، فأخذ يحاورني وهو يعرفني ولا أعرفه، وكان منطقه سليما، فقلت ما اختصاصك، فقال مهندس من جامعة الملك سعود، فقلت له: كنت أتصورك من معهد المساحة فأنت لم يتوافق تأنقك مع اختصاصك، وقد نظر فيلسوف إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فيلحن في كلامه فقال له: أمّا أن تتكلم بكلام يشبه لباسك أو تلبس لباساً يشبه كلامك. وحاولت أن اخفض من هذه الحدة، ولكن حواري مع

مشايخ القبيلة صريحا يدور حول مهمة شيخ القبيلة في هذا الزمن المعاصر، وتارة نطرح القضايا الاجتماعية وهم يتقبلون الحوار والمجتمع من حولهم ماعدا نفراً قليلا. وبعض هذا النفر يثير علي من غبار المحاورة بعضهم لكنهم يدركون ذلك. وأنا استحمل ذلك من أجل تغيير الوضع الاجتماعي فإن المجالس للدعوات والولائم كثيرة جدا وافتقدنا فيها سلاطين المجلس وأضحى كل يحادث جاره ويهمس له همساً فأردت أن أوحد المجلس في موضوع واحد ويشترك فيه من أراد بمداخلات وأردت أن يكون للشعر دورة فأنا استدرج الشعراء وهم يرحبون بذلك ولكنهم لم يتعودوا على حمل قصائدهم فشجعتهم على ذلك.

وحدثت أمسيات شعرية جيدة وشجعني عدد كبير من المجتمع بما فيهم الشيوخ والوجهاء بل تكاثرت عليّ الدعوات غير أني أرفضها لي إلا إذا كانت قائمة لغيري فإني استجيب لهم وفعلاً أجد تقديراً من أصحاب الوليمة ومن الضيوف ومن المجتمع الحاضر. وكثير من الشباب يشير إلى تلك الموضوعات والدارج في المجتمع أن الشباب لا يستمعون للكبار والواقع أنهم يفتقدون الأحاديث الجاذبة. وكنت ذات ليلة مدعو بصحبة الصديقين مسلم فريج ومحمد فرج عند سليم سالم عفيصة والضيوف المصابحة حول بليطيح وبعد العشاء جلست أمام أكبر الضيوف سنّاً وهو الشيخ عدوان عم الشيخ بشير بن عادي المصبحي وأخذت أطرح عليه أسئلة حول رعي البهم والغنم وذكريات الورود على المياه ومقابلة الراعيات. وأحجم في بداية الأمر ظنّاً أنها سخرية ولكني مزجتها بما أعرف وبالتاريخ وشعر الشعراء فانطلق وتمّ الحوار والمداخلات وأخذت الذكريات اللطيفة تثرى والشعر حضر فلما التفت وجدت أن الجميع يستمع والشباب وقوف حولنا ينصتون ويبتسمون فأدركت أننا نستطيع جذب الشباب بأحاديث متنوعة في المجالس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحدث مثل هذا الاستدراج كثيراً حتى أضحت واضحة المعالم وبعضهم يدعو لي واقتبسها بعضهم ولعلها سنة حسنة. وأحمد الله على أخذ الناس بها مهما كان مصدرها.

كانوا يدعوني للولائم الكبيرة ذات الإسراف، وأحاجهم فيها على الملأ، ولكن الأمر قليل وأحجمت عن ذلك، وركزت على طرح القضايا الاجتماعية وتارة الفكاهية اللطيفة التي تنقلنا إلى قضية تربوية أو اجتماعية.

أدركت أن كثيرا من الذين لم يطرحوا قضاياهم للحوار، فإنهم ينهلون من النت والمحطات الفضائية التي تشيع الشائعات ولم تلتزم بالحق والعدل وأمانة الوطن، ومن هنا كنت أدعُ للحوار في القضايا المهمة، وأن يفسح المجال لمن يكتب أو يحاور وقد رأيت أن ظهر كثير من الكتاب المثقفين في صحيفة صدى تبوك والصحف الالكترونية الأخرى وهم يملكون الموهبة والثقافة والأسلوب والوعي. لكن لم يستطيعوا الالتحاق بركب الصحافة الورقية لهيمنة الثللية.

وكنت استدرج الشعراء الحاضرين في الولائم، فيمتعون المجالس ولذلك لي صحبة مع سائر الشعراء الشعبيين بل إني أعلق عليهم حين يتحدثون عن الماضي ويتجاوزون الحاضر من القضايا. وطرح القضايا المعاصرة يحتاج إلى أسلوب جذاب يقوم على طرح أسئلة أو طرح قضية تهم الجميع ويشترك المجتمع في المجلس في مداولة الرأي حولها ومن القضايا التي نالت اهتمامي قضايا التربية الاجتماعية وقد دأبت على إثارة عناصر تربوية تتبنى الأسرة والمجتمع وأطرحها على شكل نقاط منفصلة في الولائم الصغيرة ويحدث حولها حوار وإذا دعاني صاحب الوليمة للحديث العام في الولائم الكبيرة فإنني أطرحها

متكاملة وقد فعلت ذلك بمناسبة حصول الدكتور محمد عودة على الدكتوراه وهي تدور حول الأب ومهامه التربوية وأهم عناصرها:

١- الدعاء بالصلاح والحفظ

٢- استصحاب الأولاد يومياً

٣- وضع ساعة يومياً للقراءة الأسرية في المنزل بصحبة الأم والأب

٤- متابعة قراءة القران والحفظ

٥- الجولات بالأولاد في المكتبات والمعالم الأثرية والحضارية

٦- شراء كتب تناسبهم ويقرأون بإشراف الأب مهما كان مستواه

٧- أخذهم مرة كل أسبوع للندوات والمحاضرات في المساجد وغيرها

٨- مجالسة كبار السن وأهل الفضل

٩- على الأب أمانة التربية

١٠- الحذر الحذر من تفضيل الاستراحات على تربية الأولاد

١١- قارن بين تمضية الوقت في الألعاب والجلسات ونتيجته مع تربية الأولاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الانتقال إلى القصيم

كنت من مديري المعاهد الذين لم يحدث لهم مشاكل في إدارة المعاهد حتى بعد تحولها للجامعة، ويعتبرني بعض المسؤولين أفضل مدير في الإدارة، ولكن هناك من مديري المعاهد من هم أكثر جاها وأهمية مني لبعدي في الأطراف، وقد رأيت سلوكيات فردية ما كنت أتمناها لوطني وهي ظهور النزعة الإقليمية عند بعض الأشخاص وفي تلك المرحلة تعالى صوتها بل يصارحني بعض الأصدقاء بأنهم الأوّلى في الوظائف القيادية، وقد رأيت مظاهر ذلك كثيرا في كل إقليم وأصابني شرر منها، فقد وقف بعض الأشخاص من المسئولين في شئون الموظفين بيني وبين العلاوات السنوية التي تتمثل في زيادة درجة أو صرف راتبين وهي ميسورة وطالت جل أبناء المملكة ماعداي مع نجاح الإدارة فأسال الله أن يعوضني إياها في الآخرة، وكذلك وقف لي مدير شؤون الموظفين، فحين صدور النظام بتحويل المدرسين إلى كادر خاص بهم وكان التحويل لمن يحمل الماجستير على المستوى السادس رفض أن يلحقني بهم بحجة أن الماجستير من مصر، فقلت له: أبعدها عن الدكتور عبدالله التركي وهو مدير الجامعة في ذلك الوقت وعددت له كل الدكاترة، ولكنه أبى وذهبت إلى مدير الجامعة وأخبرته ووعدني، ولم يخرج أمر التعيين إلا بعد أربعة أشهر، وكذلك لم أُشرَك في لجنة البحث عن المدرسين في الخارج مع تكرار ذهاب زملائي، وكان الانتداب من معهد تبوك خاص بمدرس واحد طوال ست سنوات مع أن هناك مدرسين سعوديين حتى جاء آخر يوحى اسمه أنه من شريحة مخصوصة وهو غير ذلك، فاشترك مع زميلنا الزاهد في هذا الانتداب وأحس بهذا الإيثار تارة ويرفضه تارة إنه الشيخ إبراهيم العقيل. وهناك تصرفات غير محمودة من بعض الأفراد كثيرة وكثيرة شاهدتها، ولكنها لم تعرقل مسيرتي فمن سياستي أنني أبحث

عن مسارب يندر فيها الزحام. وغالبا ما أتجه إلى بناء ذاتي ثقافياً وأُشغل نفسي بالبحث مما ينسيني كل همٌّ أصلح الله الحال في كل مجال والأمر ليس خاصاً بإقليم، فكل جماعة إقليم يؤثر بعضهم بعضاً لفقدان الرقابة.

بعد أن نلت الماجستير عام ١٣٩٧هـ، أدركت أني أحوج ما أكون إلى موارد ثقافية كثيرة، فقد كنت زاهدا في تقدير الماجستير (جيد) مع أنه يؤهلني للتسجيل نظاما في جامعات مصر والمملكة في تلك الأيام، وأدركت أن سبب ذلك فقدان الممارسة الحوارية الثقافية وأدركت صعوبة التحصيل في مصر، لذا حاولت التسجيل في جامعة الإمام التي هي أول من فتح قبول تسجيل الدكتوراه في المملكة، وحاولت الاتصال بالأساتذة في القسم، ولكني لم أقنعهم بالموضوعات التي طرحتها، ولم اقنع باقتراح الدكتور طبانة عن (معجم الأماكن الشعرية في الجزيرة) مع أني أتمناه إلى يومنا هذا وبعض الأساتذة من سوريا يرفض الموضوعات بتعال، فلما رأى استقبال الدكتور/ زاهر الألمعي لي في مكتبه استوقفني وأبدى استعداده للتعاون معي فسبحان الله حتى العلم يخضع للاحتساب ولكن الله قيض لي أن الاستاذ الدكتور/ محمد بن حسين قد تسلم رئاسة قسم الأدب ونصحني بلقائه زميلي الدكتور/ معيض العوفي وكان لقاءاً فتح لي الأبواب واستقبلني استقبال الأب الناصح وأخذ بيدي وطرح عليّ موضوعات منها (الشعر في نجد، وأحمد الغزواي الذي مات في ذلك العام ١٤٠١هـ، وأهداني الله للأخير وأقبلت عليه وتركت الاهتمام بالدورة التربوية التي كنت فيها في الرياض، وقدمت المخطط وتمّ قبوله رغم اعتراض الكثير عليه فأكثر الأدباء لا يعرفون عن الغزاوي إلا حولياته في الحج، وقد سخر من الموضوع كل من الدكتور عبدالله الحامد والدكتور/ عبدالله العسيلان، ولكني واصلت البحث فوجدت علما غزيرا وشعرا غزيرا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان سببا لقراءة جميع الصحف السعودية في مرحلة التأسيس والتكوين وكانت فائدة كبرى لي.

وكان التصوير والببلوغرافيا (الكشافات) معدومة فكنت أتصفح الجرائد صفحة صفحة وما أكثر ما تستوقفني القراءة، وكذلك أنسخ القصائد بيدي أنني لم أتأخر عن لقاء الاستاذ المشرف في الرياض بل كنت أتمنى زياراته مع سفري له من تبوك، وكذلك أمكث في مكتبات الرياض ومكتبات مكة وجدة ما دمت أجد مادة أستفيد منها، وقد تعاون معي عمداء المكتبات ومنهم د/عبدالله العسيلان عميد مكتبة جامعة الإمام، والدكتور/ سليمان العايد عميد مكتبة جامعة أم القرى وكذلك مدير مكتبة دارة الملك عبد العزيز، وكذلك أمين مكتبة معهد الإدارة ورفض التصوير عميد مكتبة الملك سعود رفضا لا مبرر له إلا التنافس بين الجامعتين في الرياض.

إنها مرحلة بناء العلم الحقيقي فقد استحوذت علي فأنا أبحث بمعدل أكثر من عشر ساعات يوميا وقد أفادني أني في المعهد قد وزعت العمل على الإداريين والمدرسين، وكان منهجي الحازم واضحا فوجودي في المعهد يكفي رهبة للطلاب وأكثر مكثي في الدوام بين الكتابة والبحث في المكتبة حتى أنني أنجزت إنجازا نادرا، وكانت الرسالة عن حياة الشاعر ودراسة أدبه مما اضطرني إلى جمع المادة وهي كثيرة جدا مما جعل الدكتور محمد بن حسين يأمرني بطباعة المادة خشية ضياعها فهي غير مجموعة، وكلها من الصحف شعرا ونثرا ثم من أجل إظهار تعبي وكانت الرسالة تجاوزت أربعة ألاف صفحة.

وكنت أبذل المادة من أجلها سفراً وإقامة، حتى أني اشتريت آلة تصوير وهي غريبة في ذلك الزمن، وكذلك طبعت الشعر والنثر تباعا كل صفحة بعشرة ريالات فقد كلفتني الطباعة وحدها ستين الف ريال. وأذكر أن أول فصل قدمته لأستاذي المشرف

كتب عليه كتابة سيئة بخط أحمر مازال عالقا في ذاكرتي، وأرشدني إلى قراءة الكتاب والتأمل في أساليب الكتاب.

واتخذت منهجا متعبا فأحضرت لكل باب كتبا مراجع خاصة له، فأخذت أقرأ فأستفيد منهجا، وفكرا وأسلوبا، ومعجما لغويا. وكان هاجس التقدير في الماجستير وأسبابه عالقة بالذاكرة، فأحاول أحضر المحاضرات، والمناقشات، وأعددت المقدمة إعدادا جيدا أسلوبا، وتمحيصا للرسالة. فتطورتُ تطوراً جيدا وكانت عندي الجرأة على الحوار مع الأساتذة المشرفين، بل تداخل معنا الأساتذة الحضور على غير عادة المناقشة، وكان منهم الدكتور/ عبد القدوس أبو صالح، والدكتور/ عبدالله العسيلان، والدكتور/ معيض العوفي والجدل دار حول هل شذرات الذهب من الأدب أو خارج مادة الأدب.

كانت المناقشة عام ١٤٠٥هـ وكان يوما حافلا بالبهجة والفرح حضر كل زملاء الدراسة وجمع من الجمهور وكل أبناء القبيلة في الرياض وعددهم قليل أما القاعة فقد امتلأت بالحاضرين.

ويوم نيل الدكتوراه، هو العرس الثاني لنائله فهو فرحة كبرى وتحول في الحياة. وعملت ولائم متعددة، وكنا وقتها نخرج بالمناسبات في مكان يسمى (المضابع) فيه ظلال وافرة وعلى امتداد الوادي وفي أحضان الجبال وتحف به الشعاب وهو على قرب من تبوك وكنت أعد له العدة، فخرجت إليه ومعي ابني عادل صغيرا، ومررت بمنحنى ضيق فاصطدمت بسيارة فيها أربعة من الإخوة الباكستانيين. وقلت لهم إني مستعد بإصلاح السيارة ورضوا وأعطيتهم أربعمائة ريال في ذلك الزمن لها قيمتها، وقلت لهم إذا زاد الأمر فأنا سأدفع لكم الباقي، فجاء رجل وأطلق لسانه وأراد البطش بي، فقلت له لو أني هربت لشكرتك على وطنيتك، لكني دفعت لهم، لكنه رأى ضعفي وجبني وتمادى بالقول البذيء، وأشتد غضبي ولكني أصبر وأصابر خشية أن أذهب معه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للشرطة ويكون صدى المضاربة سيئا لي بعد أخذ الدكتوراه، وقد زال الخوف مني وأدركت أن الله ناصري لتجاوزه، وقد اجتمع الناس حولنا يحاولون وهو يطلق لسانه إنه الابتلاء والاختبار. فألهمني الله أن أقول للناس الواقع فهل أنا مخطئ فقالوا لا والله فقلت لهم بالله خذوه عني لسيارته، فكأني صاحب سلطان فأخذوه ودفعوه وأركبوه في السيارة، فحمدت الله أن لم يأت أحد من الأقارب بل من القبيلة. ولو أتى من يعرفني لتولى الدفاع عني.

يقول الشاعر:

حفظ اللسان راحة الإنسان فأحفظه حفظ الشكر للإنسان

فكان بعض الأخوة يتندر عليّ ويقول عرفت أنك جبان، وفي تلك الفترة كنت أسهر وأعلق على أحد الشباب ولم أشعر أنه غضب أو تجاوزت الحد، فلما خرجت وركبت السيارة، وإذا به قد أقبل علي يلعن ويشتم وأقفلت أبواب السيارة، وأنا أقول له حاضر حاضر آسف آسف. فرحمني وولى محذرا ومتوعدا.

إن العقلاء ينأون بأنفسهم عن الصدام مع عامة الناس حماية لأعراضهم، لذا فإنهم لا يأتون مراكز الشرطة، ولا أبواب المحاكم، وذلك ما عملت به ولله الحمد حتى يومنا هذا واسأل الله أن يتم لي ذلك حتى ألقاه.

وقت إعداد الرسالة قمت ببناء دار لي من البنك العقاري، وكنت أبتعد عن الإشراف على الأعمال العمرانية ووكلت الأمر لأخي رشيد فهو المشرف على كل ما قمت به من عمران فجزاه الله خير الجزاء حتى وقت كتابتي هذه السيرة فإنه يشرف على عمارة سكنية من دورين. إن وقتي ليس ملكاً لي وإنني أريد أن أشغل فكري ووقتي بما

هـو أهـم. بـل أني أجهـل ضـروريات البنـاء وهندسـته ولا أحتمـل تأخـير العمـال ولا مراوغتهم.

وفي تلك المرحلة أمرت الدولة بمنح المشاريع الزراعية وهي غالبا تكون مساحتها مليون مـتر مربـع. وطلبـت مـن مـدير الزراعـة أن يمنحـني في طريـق المدينـة وتكـررت المحـاولات، ويكتـب لـه الأمـير عبـد المجيـد خطـابا يـدعمني، ويحادثـه وكيـل الإمـارة الأسـتاذ أحمـد الخريصـي وأذكـر أنـه قـال والله إن الـدكتور مسـعد أولى منـا كلنـا بموقـع متميـز، ولكـن النتيجة أنه في غياب وكيل الإمارة أقنع الوكيل المساعد بكتابة للشرطة تأخذ عليّ تعهدا بعدم المطالبة، ومنح زميلي موقعا متميزا على طريق المدينة، وقذف بي عند شرورى وهذا المشروع جنى عليّ فأنا بعت أرضي من أجله، ثم إني أدفع من راتبي على عمالته، فكانا هما حتى بعته بستمائة الف ريال قيمة إحدى معداته الزراعية. وفارقت الهم بعده ولله الحمد.

كان الوالد مؤذناً لمسجد قريب مني، وكان يحفني بحبه، وبدعائه، وإخواني أيضا وعمتي وأخـوالي وأقـاربي وأصـدقائي كلهـم يحفـون بي ويقـدرونني ولـذا فـأنا أكـثر راحـة نفسـية، وبعيدا عن الصراع والضغائن والأحقـاد. وكانت الاجتماعـات الأسرية متواصلة بمناسبة الأضياف والعقائق والأعياد، والرحلات العائلية البرية والبحرية، إننا نجتمع مع جيراننا أسرة آل شلهوب. فكان تعارف وتآلف بين الأسر رجالا ونساء حتى كبر الأولاد وأثروا برغباتهم على الآباء والأمهات فآثروا على من استمع لهم وخضع لهم فتباعدت الأسر، وقد رأيت الجفوة من شباب لاعبتهم أطفالا وأحببتهم، وحرصت على مداعبتهم حتى بعد أن تخرجوا وعملوا في الوظائف، ولكني افتقدتهم الآن بل يدفعون بمن يجالسهم إلى الجفوة مني أنه ظلم الأقارب وأقول لهم كما قال القاضي الفاضل:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلـــيعلم الأحبـــاب أنا لهـــم   وافـــون في الحـــب وإن خـــانوا[1]

وعلمتني الأمثال وأقوال الحكماء أن أكون دائم الالتفات لصديقي وقريبي، وأن لا أدفع للمفارق بكلمات أو أعمال تبقى حائلا عن عودة الصداقة والمحبة إلى مجاريها مخالفا قول الشاعر:

إن القلـــوب إذا تنـــافر ودهـــا   مثـــل الزجاجـــة كسـرها لا يجـــبر

وكنت أتمثل بالآية الكريمة: **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**[2].

وكذلك قول الشاعر:

إذا كنـــت في كـــل الأمـــور معاتبـــاً

والذي أخشاه أن الأمر أخذ يدب على بعض أقاربي فاسأل الله أن يديم صلاح ذات البين.

وقد أخذتني الرهبة والفزع بعد هذا العمر الطويل فخشيت أن تكون الزلة مني وخشيت من معنى الآية الكريمة "يحسبون أنهم يحسنون صنعا"

(١) الديوان ص ١:١١٥.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٤.

وخشيت كما قال أحد البلغاء:

"وكنت أظنني مجنيّاً عليه ، مساءً إليه ، فإذا أنا في قرارة الذنب ، وبمثابة العتب ، وليت شعري أي محظور في العشرة حضرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته ، أو واجب في الزيارة أهملته ؟ "

كان مجلس الأمير عبد المجيد يعقده مساء الأحد، وكنت ملتزما بالحضور وكان فيه أحاديث ومداخلات، وكان الأمير عبد المجيد قد أخذ بمظاهر التحول جدا فاستقدم لها المهندس/ عمرو درويش من جده وكانت بلدية تبوك تعود إلى جده وقد حضر أمين جده إلى ندوة في تبوك وقال إني افتخر بالأشراف عليها منذ عشر سنوات، فبادرت إلى مداخلة قلت فيها نحن نعرف نشاطك في جده وتطور بلديتها فأين أنت عن تبوك في هذه المرحلة. فأجاب إجابة صريحة، هي أن الأمير عبد المجيد هو أميرها الآن ليس كمثل إمارتها السابقة. والواقع أن تبوك انتفضت كليا مع الأمير فبادر إلى تكريم خويا الإمارة وجعلهم يجلسون على الكراسي بدلا من جلوسهم إلى جانبها. وأخذ يبعد كثيرا من المهيمنين سابقا، وتكاثرت المشاريع، وخاطبه شاعر تبوك الشاعر مسلم في ١٤٠٠/٦/١٢هـ:

وهنا مطالب نحوكم نفضي بها … من غيركم بالبت فيها يجسر؟

أنتم لها والشعب هذا شعبكم … من حبكم ترقى تبوك وتكبر

أين الميادين الفسيحة عندنا … أين النوافير العظيمة تهدر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيـــن الشـــوارع وســـعت أركانهـــا　　　مـن كـل شـتل في الرصيف تشـجر

أيـــن المصـــانع يكفهـــر دخانهـــا　　　أيـــن الحـــدائق والحـــزام الأخضـــر

أيـــن المشـــافي بالنظافـــة تعتـــني　　　يشـفي المريض ويستريح الخـاطر[1]

وقبل تلك المرحلة طلبني رئيس البلدية (فهد القباع) لأكون نائبا له فرفضت لدراستي، ولما جاء الأمير عبد المجيد وبعد فترة من الزمن حثني الشيخ عبد العزيز الحميد بأن التحق بالإمارة وكيلا أو وكيلاً مساعدا في أثناء تحضيري للدكتوراه، فاستخرت الله وقدمت الطلب ولكن لم يكن هناك رد. فلم أتأثر بل أني مرتاح البال. فميلي ميل دراسي وكنت أهذي داخل نفسي بأن أكون أستاذا جامعيا حتى خشيت أن يظهر اللسان ما يبطن الجنان.

لم أرض بكتابة لفظ الدكتور قبل أسمي بل أرفض نطقها من الآخرين حتى صدر القرار من مجلس الجامعة، هناك أخذت أعمل على الالتحاق بالجامعة، وبعض الإخوة أشار عليّ بجامعة أم القرى في مكة المكرمة فهي حديثة العهد. ولكن لم آلف سكن الحجاز لأن دراستي وعملي مرتبط بالرياض وأهل نجد، فلما جئت إلى التقديم أشار عليّ الدكتور محمد السالم أمين الجامعة في ذلك الوقت بأن أذهب إلى جامعة الملك فيصل فهي حديثة التكوين ويعرف مديرها، وهناك تتاح لي فرص أكثر ولكن بعد الشقة وعدم وجود طيران مباشر إلى تبوك كان عقبة لأن والدي رحمه الله مازال عائشا. وأنا ألوي عنقي إلى تبوك دائما فلما وصل الأمر إلى وكيل الجامعة قال: أتريد أن تكون

---

(1) د/ مسعد عيد العطوي: تبوك قديما وحديثا ص١٩٢.

في فرع الإحساء أو في فرع الجامعة بالقصيم فاخترت القصيم لقربها وصدر القرار المائع الذي يذكر أن أدرس تحت التجربة لمدة سنة وانأ على المستوى السادس. فاذعنت للقرار لرغبتي في التجربة فأنا لم أدرس في الجامعة وانقطعت عن التدريس أثناء الإدارة، وجهزت الأسرة نفسيا للانتقال فليس عندي إلا عادل وأحمد وأحلام، وعادل في السنة الثانية وأحمد في السنة الأولى وذهبت لاستأجر وسكنت في فندق السلمان وكان أمراً أُخِذ علي من قبل وكيل الكلية فإن سكن الفنادق أمر مكلف وهو كذلك والمتعارف عليه أن أسكن عند أحد المعارف، وليس لي في بريده من معارف إلا الاستاذ علي فهد الجماز، فهو جار لنا في الخالدية وقد كان من طلابي النابهين في المعهد ووالدي يتواصل مع أعمامه. وقد استقبلني واستأجر لي منزلا قريبا منه في حي (المؤطا) وهو حي يسكنه أهل بريدة خاصة.

عدت إلى تبوك قبل الدراسة في النصف الثاني بأسبوع واحد، وحملت أمتعتي وصحبني إخواني محمد ورشيد في سياراتهم واتخذنا طريق تبوك حائل وهو ترابي وفي تلك المرحلة اهتز الأمن لانتشار قطاع الطرق وهو أمر لم تعهده البلاد منذ بداية العهد السعودي ولكن الحزم وقتل الفُتاك بل وصلبهم أعاد الأمن إلى طبيعته، وصلنا بريدة في مساء ذلك اليوم واستقر بنا المقام في منزلنا.

وكان التحول جذريا فأنا انتقلت من بيئتي وبين أسرتي وأصحابي، وكذلك أم عادل لم تعهد الانتقال عن بيئتها. وأخذت أتعامل مع بيئة جادة يصعب اختراقها بل إن الإنسان تحت الرقابة من الحي ولقد نصحني الاستاذ/ على الجماز المعيد في الكلية ذاتها بأن أتعامل مع كل ناقد أو ناصح بالقول: "جزاك الله خيرا" بلا جدال والواقع أني لست بعيدا عن البيئة، فالتعامل متقارب والالتزام بالعادات والتقاليد هو السائد وإن اختلفت بعض الشيء. مكثت ثلاثة أسابيع لم أتعامل مع الجيران ولم أتعرف على أحد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منهم فهم في وحشة مني وأنا مشغول بالإعداد والتحضير وملتزم بالوحدة حتى جاء أحد الجيران بجانبي في المسجد وسلم علي ودعاني فلم أستجب له. وبعد أيام وجدته جالسا فوق شنطة سيارتي الكابرس القديمة، فدعوته إلى أخذ فنجان فرفض وأصر على عدم المغادرة إلا بموعد. وأجتمعنا عنده وانطلقت المعرفة والمودة والتضاحك والألفة.

وكانت لهجتنا في تبوك تميل إلى إظهار الحروف مضخمة وفيها إمالة، ولم آلف اللهجة في القصيم في بداية الأمر التي تميل إلى إبدال بعض الحروف بالسين أو الزاي، وكنت في المسجد أُسبح بعد الصلاة فلم انتبه إلا وجاري يمدّ على قارورة فيها ماء فقال (زرية) أي تقرأ عليها ففهمت أنه يقول ماء قربة، فترددت كثيراً وكدت أن أشربها لكني أخذت أتفكر لماذا أشربها، فإذا جاري يهمزني ويطلبها، وإذا به يقرأ وينفث فيها، ومن النكت المماثلة بعد لأي من الدهر صحبت زميلي الدكتور/ يحيي العطوي إلى الأردن فدخل هو وزميله على قارئ وكان زميلي يحيي يشعر بنوع من المرض، فقرأ الشيخ له في قارورة مملؤة ماء وعدنا إلى الفندق وسبقني بالدخول ونسي قارورته وأنا لم أشعر بها، وقبل أن أدخل الفندق أردت أخذ قارورة ماء لحاجتي الدائمة إلى الماء وإذا بالقارورة أمامي فأخذتها وشربتها في تلك الليلة وفي الصباح يسأل الدكتور/ يحيي عن تلك القارورة وقلت له لم أرها حتى وضحَ الأمر لي بأن شكلها كذا فقلت: والله شربتها البارحة، فقال: هي التي قرأ لي فيها الشيخ، فشربت الدواء من حيث لا أدري ولعله أفادني.

والتحول الآخر هو ممارسة التدريس في الجامعة وهو محور الارتكاز وقد حاولت أن يكون جدولي من الأدب العباسي أو السعودي، ولكن رئيس القسم أعطاني مادة البلاغة، وليس لي عهد بها وليس عندي وقتا لمراجعتها في أمهات الكتب، فدخلت فحضرت الموضوع اليومي، وبعد أسبوع اصطدمت بمسألة لم أعرفها، وأدرك الطلاب

ذلك فقلت لهم سأحضرها فيما بعد: وتوقفت عن التدريس وخرجت من المحاضرة وذهبت للعميد الدكتور/عبدالله الطيار.

فأخبرته بالواقعة وقلت له ليس المادة من اختصاصي. فقال توقعت الإحراج لك فأمرهم بإعطائي مادة الأدب في العهد الأموي والعباسي وكنت تحت المجهر، وكنت مهزوز الجانب، وكان الطلاب لم يعهدوا تدريس ابن البادية لهم.

وفي تلك المرحلة عمت الصحوة عند طلاب الكلية، وأنا لم التزم بإطالة اللحية ولا بتقصير الثوب، وأدرس الأدب المرن وكتب ((شوقي ضيف)) الذي كتب عن شعراء المجون وعن المغنين وأصحاب اللهو فأي خطأ في الدين فإنه كفيل بالاعتراض ورفع الأمر للعميد بل للشيخ ((محمد بن عثيمين)) رحمه الله. بل حتى لهجتي فيها تباين عن اللهجة القصيمية. وقد رفعوا الأمر لابن عثيمين لأنني قلت لهم إن هناك رأيا يذكر أن إدريس قبل نوح. بل اعترض أحد الطلاب على وجود مادة الأدب في الكلية، فقلت له بأنه يفيد علما وأسلوبا لكن لم يقنع بل أشار إلى المجون الذي فيه، قلت يمنحك الشهادة فلم يقنع فقلت له أنت تدرس من أجل العلم البحت أم تريد أن تحصل على الشهادة، فقال أريد العلم فقلت له إذا اذهب إلى ابن عثيمين في المسجد ولازمه. فلم يعد الطلاب إلى تلك الاعتراضات، والواقع أن الطلاب من القوة العلمية بمكان، ولكن يجهلون ضرورة تعليم الأدب للعلماء والشرع فابن مبارك يقول "تعلم العلم الشرعي شهر وتعلم الأدب شهرين فهو وسيلة التوصل والإقناع".

والعنصر المؤثر هو أني كنت مديرا للمعهد لمدة عشر سنوات وكنت آمر وينفذ الأمر وإذا بي أتحول إلى إنسان عادي يعاملني بعضهم كما يعامل المتعاقدين فإني غريب متطفل على البيئة وفي مقدمتهم وكيل الكلية، فجئته لتوقيع ورقة وكان عنده صف من الطلبة فأشار علي أن انتظم في الصف، فخرجت من عنده وأظن أني مزقت الورقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عنده. ولما جاء الامتحان وكنت مكلفا بجولات على صالات الامتحانات، وقابلته وهو يدخل للكلية متأخرا فقال حدد مكانك يا دكتور فقلت له: إني أجول على القاعات. فكان فظا غليظا رغم التزامه وإمامته لمسجد وكانت قاصمة الظهر في بداية إحدى الإجازات جئت إليه وقلت: إن يوم الأربعاء عندي محاضرتان واستعد بهما الدكتور خليل أبو دياب، فقال قدم طلبا رسميا فخرجت من عنده وقد أخذ الشرر يقدح من وجهي. فلما عدت وفكرت في الأمر وعزمت على الذهاب لأن ذلك من حقي، لكني أريد أن أعطيه درسا فكتبت الورقة وقلت له: إني أعرف النظام حتى الإجازة الاضطرارية أكتبها عن بعد ولكني التزم بالنظام خشية أن أموت في الطريق فآثم. ولكني أكثر منك إلتزاما فأنا لم أتأخر يوما واحدا وأنت تحضر يوما وتغيب أياما وتارة يوما لك ويوما للعميد. فقال: أنا أذهب انتداب، فقلت: تتغيب بأجر كل ذلك وسيلة مشبوهة باسم الدين. فاشتد غضبه وخرجت من عنده وهو يقول: أذهب بلا توكيل للغير، والفائدة أني أرحت نفسي أثناء سفري وإجازتي. وهو من قبل رفض أن أكون رئيسا للقسم وأجرى الانتخابات في الإجازة وذكر لي عبدالله الطيار عميد الكلية أنه لم يعلم.

افتقدت في القصيم العلاقة الحميمية، من الأصدقاء والأقارب والمجتمع وأقتصر ذلك على ثلة النادي الأدبي، الدكتور/ حسن الهويمل، والدكتور/ صالح الوشمي، والدكتور/ عبد الرحمن السويلم، والدكتور/ علي فهد الجماز، والأستاذ/ إبراهيم البلهي. وليس هناك دعوات جانبية إلا عند الدكتور/ حسن الهويمل وما يحدث في النادي وكذلك الأسرة افتقدت العلاقات الاجتماعية، ونتيجة لذلك فإننا نذهب بعد نهاية يوم الأربعاء إلى الرياض ونسكن عند زملائي ومنهم اللواء عيد بن عطاالله أبو شعيل، فهو يكثر لي الزيارة بأهله في القصيم فنتبادل الزيارة وكذلك العميد سعيد إبراهيم العطوي، وعند زملائي الأقرب للنفس سويلم محمد اقيهب، وعوض رويعي العطار. وكانت

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

الولائم للضيوف دائمة وقد حدث أن كانت عند عيد أبو شعيل وليمة، فأخذ يتحدث رجل وينتقل من حديث إلى حديث ولم يترك فرصة للحاضرين وكلهم أكثر منه تجربة وجاها، وآخر حديث له قال كنت أسير في خان الخليل في القاهرة فعثرت بي قدمي واصطدمت بعجوز فقالت: إيه البقر فباشرته وقلت: كيف عرفتك؟، فاهتز المجلس ضحكا واحترمني ولم يرد عليّ رغم إثارة بعض الإخوان الغاضبين علي فجزاه الله خيراً.

ومن تلك الطرائف أنني حضرت مؤتمر الطفل في الرياض لخمسة أيام وسكنت بأولادي عند اللواء عيد أبو شعيل وكان عصبيا حادا ملتزما بعادات القبيلة، فلما أردت السفر وكان من قبل اقترضت خمسمائة ريال من خضر حماد وقلت له إني أضعها عند أبي شعيل، فأخرجت النقود وذكر علي أن أجعل فيها نكته، فقلت له: إني جلست عندك خمسة أيام وهذه خمسمائة لقاء الجلوس، فاقسم أنه لن يأخذها، وأنا أجزم عليه، ويقول والله عيب، وأكرر عليه فاشتد الحوار بيننا وارتفع الصوت واجتمع الأطفال، واقتربت النساء من وراء الأبواب تستمع فاشتد الموقف والجدل حتى خشيت من الانفجار فقلت اعطها خضر حماد. فانقلب الجد إلى ضحك حتى الاطفال والنساء شاركونا وظلت نكتة نتدوالها. ثم نعود مساء يوم الجمعة فيكون الأسبوع حافلا بالعمل والبحث، فألفت هناك كتاب العاشق العفيف، وبحثا مطولا عن الحداثة، وكتاب الغموض في الشعر العربي، وكتاب المقطعات الشعرية، وكتاب تبوك قديما وحديثا، كنت حريصا على حضور المحاضرات في النادي الأدبي وغيرها، بل انتقل للمحاضرات في الرياض وكذلك لمناقشات الرسائل وكنت حريصا على حضور مهرجان الجنادرية في سنيه الأولى وحرصت على مقابلة العلماء كابن عثيمين وسمعت محاضراته.

وكنت أتألم من قلة الراتب سيما بعد نقصانه ما يقارب أربعة ألاف ريال عند تحويلي إلى أستاذ مساعد، فكتبت التماسا للعميد لعله يرفعه إلى الجامعة فقال: والله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إني أسعى لترقية الدكتور/ حسن الهويمل، قلت له ألم أكن أنا والهويمل متماثلين في الحصول على الدكتوراه، والالتحاق بالكلية وكلانا في المستوى السادس ورفض إلحاقي مع الدكتور الهويمل، وكتبت خطابا للملك فهد مباشرة ليس شكوى، وإنما طلب تعديل للوضع ولم أشر لحادثة الهويمل، فحوله الديوان إلى الجامعة ووجهوا لي لوما ووعدني وكيل الجامعة أن يكون التعديل مع كادر أعضاء هيئة التدريس الذي لم يعدل إلى الآن، وأنا الآن متقاعد، وكانت الانتدابات تهال هيلا للزملاء من السعوديين، أما أنا فلم أدع ولم أكلف ومعاملتي أشبه ما تكون بمعاملة اليتيم فلا الجامعة تعاملني معاملة السعوديين، ولست بالمتعاقد حتى يدفعوا لي بدل سكن وبدل تذاكر، وظل هذا الشأن سائدا حتى بعد أن ذهبت للرياض. ولولا الله رعاني وأمدني بالصبر وبالقوة الذاتية التي تحمل الثقة لكان ذلك أثر عليّ نفسياً وفي تلك المرحلة طبعت كتاب (أحمد الغزواي) بمائة الف ريال بعت لها آخر أرض لي، وقد كتب الأمير عبد المجيد مقدمته، وكنت أظن أن الأمر سيعود علي بالخير، فأخذت نسخا منه وتوجهت إلى المدينة المنورة في سيارتي واصطدمت بتل ترابي على الخط فسلم الله، وكنت حلمت أني أمسكت بغزال فهرب مني وسلمت على الأمير عبد المجيد، ونفسي تهفوا إلى الدعم والمساندة، وأنفض الجمع من مجلسه وأنا قابع ثم حدث اجتماع آخر معه وأنا قابع في مجلسه وهو محتمل الأمر ولم يأمر بإخراجي فخرجت، وجئت إلى زميلي محمد الطيار وهو مدير مكتبه، وطلبت مساعدته، فقال: أنا أدبر الأمر وإلى هذه الليلة لم يأت شيء وقد مات الأمير عبد المجيد وللحادثة ثلاثون سنة. وكان الأمير عبدالله الفيصل أعلن عن استعداده لطباعة ديوان الغزاوي فبعثت له، وكذلك بعثت للأمير خالد الفيصل لأن أغلب شعر الغزاوي عن الملك فيصل، وأرسلت إلى جامعة أم القرى والنوادي الأدبية في المملكة، فكانت النتيجة أن أشترت أمارة القصيم مائة نسخة أمر بها سمو الأمير محمد بن سعد بن عبد

العزيز، وكذلك اشترى نادي جدة الأدبي بخمسة ألاف ريال وهذه الحصيلة كلها لم ترد قيمة الإرساليات فالحمد لله فلعل في ذلك خيرٌ لي، وأتصور أن الأمراء والمسؤولين يظنون أن الأمير عبد المجيد قد طبعه على حسابه، والواقع أن الأمير عبد المجيد رجل كريم لكن لم يكتب الله لي ذلك.

جاءت زيارة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود للقصيم وأخذت الجامعة تعد له مقابلة في قاعة المحاضرات، ووضعوني في لجنة الاستقبال، فكان المشايخ يتسابقون على استقبال الأمراء والمشاهير أما أنا فلست عارفا أو معروفا من التعارف حتى ظهر شيخ مشهور كان قاضيا في تبوك، ست وعشرين سنة وهو رجل مهيب ولي معه علاقات قليلة في تبوك وهو رئيس هيئة التمييز في مكة ومجالس للملوك والأمراء، وكان يتعالى على أهل المنطقة مع تقديرهم له، فقلت لزملاء الاستقبال أتركوا لي هذا، فقابلته وعرفته على نفسي بأبي د/ مسعد العطوي. فقال: عطوي وتدرس في القصيم، فقلت له مازلت تحمل على بني عطية، فقال: أنا منهم وأحبهم، قلت: كنت أظن ذلك قبل الآن، فقبض على يدي قبضة قوية ورفض الفكاك حتى جاء مجلسه بجانب الملك، وهو يريد إقناعي حتى تفلت منه وهو يقول سنكمل الحديث، ولم أقابله بعدها. ولم نلبث زمنا طويلا حتى صدرت له مقابلة في ضيف صحيفة الجزيرة التي يعدها محمد الوعيل، ولم يشر لأهل تبوك البتة، وإنما أشار فقط إلى عمله، وقال إنه دخل تبوك وفيها مسجد واحد وخرج منها وفيها مائة وعشرون مسجد.

ولم تمض أيام حتى صدرت مقابلة في الجزيرة ذاتها مع الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير تبوك سابقا، وأمير المدينة المنورة في تلك الأيام، وأثنى ثناء عاطرا على أهل تبوك، وامتدح أخلاقهم، وتعاونهم وابتعادهم عن المشاكل، وللحق فهو أول أمير أنصف أهل المنطقة عدل بينهم وأعطاهم حرية القول ولم يعاملهم بالعنف، بل حاول أن يفتح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفرص لهم فكثر الذين تولوا مناصب إدارية بعض الشيء، وحاول افتتاح فرع للجامعة، وكنت قدمت طلبا لمدير الجامعة حين افتتاح مبنى المعهد العلمي عام ١٣٩٨هـ، إن الأمير عبد المجيد أحب أهل تبوك وأحبوه لتعامله الإنساني، فكتبت مقالا تعليقا على المقابلتين مضمونه أن الأول جاء تبوك وقد نال فيها جاها ومنصبا وامتلك مزارع وأراض وكان له حي باسمه وظلت تدر عليه الأموال وهو في مكة وهو لم يثن عليها، ولم يذكر أهلها وتجاهلهم، أما الأمير عبد المجيد فهو أفاد المنطقة وأهلها، ومع ذلك أنصفهم ومدحهم وأبان عن مكانتهم بل إنه حطم حلقة إدارية مهمشة لغير الموالين لها، إن نظرة الشيخ نظرة فيها مداراة لأهل القبائل لبداوتهم ولكنه يجاريهم ويرضوا منه بالمجاملة، وحكمه يقوم على الصلح بين الناس ويشفع لهم كثيرا، ويقابل الناس بسماحة ويزورهم. خرج في إحدى جولاته إلى الجرثومة وهي مزرعة لعلي بن سلمان أبو طربوش رجل أمي فقير، فقال للشيخ أعطني صكا على هذه الأرض فوعده بعد أسبوع وجاءه وأخذ الصك فرحا جذلا ومات عليّ ومات القاضي فأراد الجيش أن ينزع ملكيتها ويعوض أهلها عنها فقد تكاثرت المزارع حولها. فلما جاء أخي محمد عيد أبو طربوش ليقدم الصك، وإذا هو (٢٥/٢٥) ولولا محل الزراعة واضح والجداول لاقتصر التعويض على هذا الأمر، بينما المحكمة تعطي صكوكا حول تبوك له ولثلثه لمزارع كلها الآن أحياء.

كانت المودة والأنس مع الاستاذ علي الجماز وأسرته صديقة لأسرتي وقد تعرضت زوجتي لوفاة طفلها في بطنها، فاعتنت بها أم فيصل زوجة علي الجماز، فكانت تبعث لها كل يوم قرصان، وحنيني ومراصيع وكليجة وجريشة وأكوام الأخباز المدهنة بالسمن والعسل. فكنت أعب منها عبا فأنا معجب بهذه الألوان الشعبية فجزاها الله خيرا.

في تلك الفترة كنت أحاول الانتقال للرياض وقد ذهبت وقابلت وكيل الجامعة معالي الوزير الآن/ صالح سعود العلي. قال لي: احْمد الله أن قبلناك في الجامعة، فلم أتملك نفسي فضربت يدي على الطاولة وقلت (لا شكر الله لكم) تمنون علي أن ألحقتموني في الجامعة وكلها أعضاء تدريس متعاقدين، ووقفت وارتفع صوتنا وأنا واقف أريد الخروج والرجل وقف وأمسكني وقال والله لن تخرج، فدخل مدير المكتب ومعه غيره ظنا أني اعتديت على وكيل الجامعة فأمرهم بالخروج وأجلسني ومحا ما في نفسي فجزاه الله خيرا مازلت أحبه وهو كذلك حريص علي حتى في مجلس الشورى التقينا وتآلفنا، إنه رجل حكيم له دوره الكبير في بناء جامعة الإمام فهو من المؤسسين وفي مجلس الشورى فهو أيضا من المؤسسين وفي ديوان المراقبة بل هو أستاذي في الإدارة والمدارة. ولما يئست من الانتقال للرياض طلبت الانتقال لكلية إعداد المعلمين في تبوك وسهل الأمر حتى آخر لحظة توقف الأمر في الجامعة وتعذروا ببعض الطلبات وعزمت الذهاب إلى الرياض لمقابلتهم ولكن العميد عبدالله الطيار استدعاني وقال يبلغك الدكتور عبدالله الشبل وكيل الجامعة السلام ويقول: إن كنت تريدنا فنحن نريد بقاءك، فقلت سلمه الله وجزاه الله خيرا والله إني لا ابتغي بديلا عن الجامعة. ولم أمكث إلا ذلك الفصل وتم نقلي عضو هيئة تدريس في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكنت طالبت في عهد الأمير عبد المجيد وعهد الأمير ممدوح بنادٍ أدبي في تبوك، وتابعت ذلك في الرئاسة العامة لرعاية الشباب فكتبوا للإمارة، وطلب مني وكيل الإمارة الأستاذ عامر الغرير مقابلتي للأمير بالخطاب المدون:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

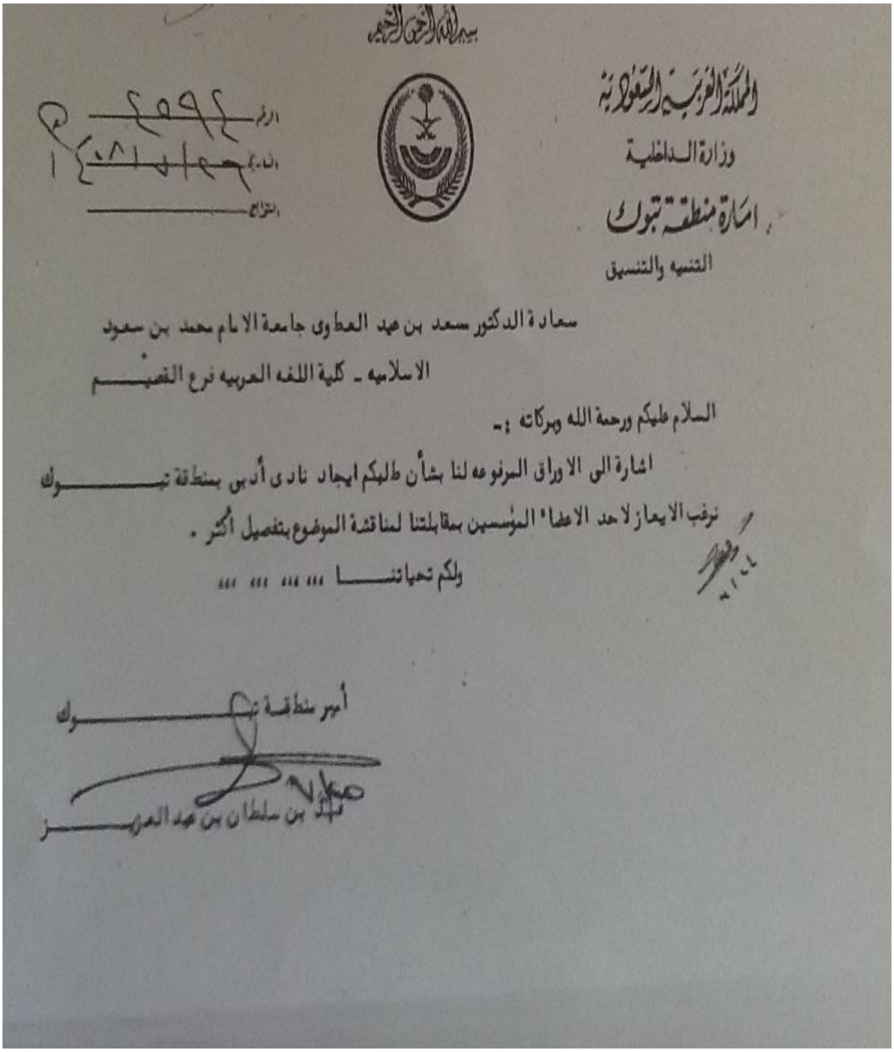

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة منطقة تبوك
التنسيه والتنسيق

الرقم: ٤٢٩٢
التاريخ: ٣/١/١٤٠٨هـ
المرفقات:

سعادة الدكتور سعد بن عبد العطوى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه - كلية اللغه العربيه فرع القصيـــم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

اشارة الى الاوراق المرفوعه لنا بشأن طلبكم ايجاد نادى أدبى بمنطقة تبـــــوك نرغب الايعاز لاحد الاعضاء المؤسسين بمقابلتنا لمناقشة الموضوع بتفصيل أكثر .

ولكم تحياتنـــــا ،،، ،،، ،،،

أمير منطقـة تبـــوك

فهد بن سلطان بن عبد العزيـــز

فدخلت على الأمير بعد حجبي فترة من الزمن وقد جاء رئيس النادي الوطني الأستاذ/ إبراهيم سُلِيم اللاحم وهو من طلابي جاء بعدي وادخل للأمير مما أثر في نفسي مع إني جئت على حسابي من القصيم والحال المالي لا يسر كما أشرت، فإن راتبي موزع بين أجرة الدار، والأسفار وطباعة الأبحاث والكتب. ثم قابلت الأمير ولم يكن اللقاء موفقاً لعدم قدرتي على الإقناع لأنه كان مهيبا قوياً حازماً فهو ابن سلطان بن عبد العزيز صاحب النفوذ الواسع، وسبق أن تعرضت لموقف مماثل حين ظن بي أحمد الخريصي خيرا فطلب مني أن أقدم طلبا لأكون وكيلا مساعدا واشترطت على ترشيحي للمرتبة الرابعة عشر، ولم يكن هناك رد فلو دخلت باب الإدارة لم أتمكن من كتابة بحثا واحدا فأراد الله بي خيرا، فلم يسخر الوظائف الإدارية لي. والواقع أني لم أندم على حجب الوظائف الإدارية عني أبدا.

حاولت في القصيم أن أكون لي مجتمعا ففشلت وقد اقتصر مجتمعي على ثلة من أقربائي الطلاب الذين يدرسون في فروع الجامعة في القصيم حتى تزوج محمد خلف الخضري وأتى بأهله وكانت العلاقات الدائمة القائمة حتى الآن، فهو صديق حميم وقد ذهب إلى قطاع البنوك وإدارتها فتفوق فيها، وقد تعلمت في القصيم أنواع التمور وطريقة كنزها، والواقع أن مجتمع القصيم آلفه وأميل إليه، وأحب مجالستهم، ولكن زملاء المهنة في غربة عني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرياض والتحولات

أشعرتني الجامعة بالنقل بعد الاجراءات في الكلية من موافقة القسم ومجلس الكلية فذهبت إلى الرياض واخبرني زميلي الدكتور/ معيض العوفي عميد الكلية بأنه يسكن بحي المصيف، وبحثت عن بيت هناك فوجدته واستأجرته وإذا به مجاورا للدكتور معيض العوفي والدكتور/ محمد سالم بن شديد العوفي عميد كلية العلوم الاجتماعية والدكتور/ سليمان الرحيلي، وفي الرياض التقيت العميد سليمان بن سعيد العطوي فأخبرني أنه نقل إلى العمل في الرياض وقلت له وأنا كذلك فقال: بشرك الله بالخير وتصافحنا. واحتفى بي الأخوة الجيران وتقاربنا أكثر وتعارفت الأسر، والتحقت معهم في دورية الدارسين في القاهرة وأكثرهم من العلماء المشهود لهم في الجامعة. ومنهم الدكتور: محمد العجلان مدير الجامعة وهو عالم فاضل ومنهم الدكتور أحمد مباركي عضو مجلس كبار العلماء ومنهم الدكتور: محمد الشويعر كاتب ومؤلف ومنهم الدكتور محمد سالم بن شديد رئيس مجمع الملك فهد للقرآن والدكتور: معيض العوفي عميد كلية اللغة العربية والدكتور سليمان الرحيلي عميد كلية الآداب والتربية في جامعة طيبة.

والدكتور مسفر الدميني أشهر المحدثين في الجامعة والدكتور محمد الزهراني مؤرخ والدكتور محمد الزير عميد كلية اللغة وملحق الثقافة في مصر واليابان والدكتور عبدالعزيز الزير والدكتور ناصر الداود مدير مكتب الأمير سلمان ووكيل أمارة الرياض والدكتور عبد الرحمن داود نائب رئيس هيئة الأمر بالمعروف وكانت تستمر كل شهر وكانت جلسات معهودة ومحببة إلى النفس وكان يحضرها كثير من رجالات جامعة الإمام تلك الجامعة التي أنارت بفكرها وعلومها الجزيرة العربية بل الوطن العربي وامتد نشاطها

ليشمل العالم بأسره بمعاهدها تتواجد في القارات ماعدا استراليا إن فضلها كبير وخيرها عميم.

وكلفني القسم بأربعة مناهج وعكفت عليها وعلى مراجعها، وأخذت أكتب في الصحافة واحضر الندوات والمناقشات، وكلفني القسم بمناقشة أول رسالة عن (الشعر في هجر) للدكتور خالد الحليبي مع زميلي الدكتور عبدالله الحامد والدكتور/ عبدالله المبارك، وكنت أشد كلفا بها من الطالب ذاته فأنا أريد أن أمتحن نفسي في المناقشة ووافقت على مناقشتها رغم الأجازة ووجودي في تبوك ومنع الطيران لحرب الخليج ١٤١٠هـ، ولذلك أتيت لها من تبوك أثناء حرب الخليج والطيران ممنوع من التحليق ماعدا طيران وزارة الدفاع فعملت الشفاعة عملها حتى سافرت فيها إلى الظهران أولا ثم الرياض ثانيا وكنت متعلقا حول الحقائب ومكثنا اثنتي عشر ساعة لم نذق شيئا فعدت إلى الرياض الساعة الحادية عشرة ليلا وكدت أن أضيع عن منزلي من الإرهاق. وناقشت الرسالة وأفردت عضلاتي ولم أذعن لتهدئة الدكتور الحامد وأشار علي الدكتور/ تركي سهو بأن أخفف وانحزت مع الدكتور/ عبدالله المبارك الذي أصر على تقدير جيد جدا مع أنه يستحق ممتازا. وهذا الاتجاه أجده واضحا عند الشباب الذين يناقشون معنا.

كنت التزم بعدد من المراجع للطلاب وكنت حازما على نفسي وعلى طلابي وكنت حين تخرجت من الكلية أكره التدريس فلما أجبرت عليه حلمت أن الطلاب قد ثاروا في وجهي، وأخذ هاجس الحلم يلازمني وأن مررت على شيء منه في أول أيام التدريس في المعهد العلمي فدخلت فصلا ضحكت على أستاذ فيه من قبل حين كنت طالبا في الفصل ذاته وغمز له بعض الطلاب فقال: أتركه سيكون له ما يعمل. فضحك على الطلاب في المكان ذاته. وقلت في نفسي لعل هذا هو الحلم. ولكن طال تفسير الحلم حتى دخلت على إحدى القاعات والكلية في حي الناصرية بالرياض فلما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدأت ضحك بعض الطلاب، فحاولت تهدئتهم، فلما واصلتُ تكرر ضحك أغلبهم، فهددتهم وسألتهم عن السبب ولكن يسود الصمت، فلما بدأت ثالثة وإذا بكل القاعة تهتز ضحكا وقد عزمت على أن أجعل اثنين منهم كبش فداء، ولكن لما عمت البلواء وكان الكتاب في يدي فنظرت لأحدهم وإذا هو فاغر فاه ضحكا فضربته بالكتاب على وجهه، وساد الصمت وواصلت المحاضرة، وكأنها اختبار وابتلاء واكتشاف من الطلاب لحالي وواصلت الحزم والإنصاف للطلاب، ولم أجد منهم إلا خيرا غير أن بعض الطلاب مغرور وقد اجتمع بعضهم وكانت مرحلة الصحوة والرقابة الدينية من الطلاب أكثر على المدرسين، فأحدهم ملتحٍ مزعج للأساتذة وكنت أدرس الحروب الصليبية، فقال يا أستاذ أنت تميل للشيعة وللدولة العبيدية، فقلت له: أنا لم يظهر مني ذلك، وأدرك الخلاف في الدولة العبيدية، فألح علي مغتنما أن الموضوع تجاوزناه بأسبوعين وفاجأني ولم استحضر ما قلت، فقال بعض الطلاب تسمح لي يا أستاذ بقراءة ما قلت فأنا أكتب معك، فقلت أقرأ فقرأ ما خالف رأي الطالب تماما، وهنا قلت له: أنت مادمت تدافع عن الإسلام تكون صادقا لا تكفي المظاهر وأنت بهذا تفتري على غيرك وهذا ليس من أسلوب المسلم. وكان آخر عهدي به فلم يعارض ولست أدري هل واصل دراسته أم تركها، فاللهم أصلح نياتنا.

ومن المواقف أن بعض الطلاب يحضرون الندوات والمحاضرات مع العلماء وينقلون، أخبار ما يحدث من خلاف ولم يتعمقوا ويأخذوا العلم النافع فتعرضت لمسألة ثقافية وإذا بطالب من الخلف يقول: الشيخ عبد العزيز رأيه فيها كذا وكذا ولم يطرأ على بالي إلا الشيخ ابن باز، فقلت ومتى علم ذلك، قال: الشيخ عبد العزيز الذي أمامك، وإذا به طالب عندي، وابتسمت ومضيت في الشرح. وقلت في نفسي إنهم القراء الذين ذكروا عملهم منذ العصر الإسلامي الأول واعتراضهم على العلماء بلا فقه.

وجدت مضايقات متعددة من رئيس القسم الذي أضحى عميدا فهو مداري في إدارته، وكان يشتكي له الطلاب فقال: يا دكتور يجب أن تصور لهم الموضوع من كتاب مختصر، فلما أجاريه ولكنه جعلني أخفف من تعدد المراجع، في تلك المرحلة عكفت على إعداد بحوث الترقية وكان الهدف تأليف كتب، فألفت كتاب الغموض في الشعر، والمقاطعات الشعرية، وعروة بن حزام، وقدمتها للترقية بعد مضي ثلاث سنوات ونصف، وطلبوا من التعزيز فقمت بتأليف وأبحاث جديدة، فإذا بالأستاذ الدكتور محمد الخثران يقول لي: إنه نقص عليك صوت واحد والمطلوب تعديل في الكتب، فعدل الكتب الأولى لأنه كان في اللجنة ومدح موضوعاتي لكني أعددت موضوعات جديدة وتمت ترقيتي لأستاذ مشارك.

وكنت ملتزما بمنهج يومي لا يتجاوز نومي خمس ساعات يوميا، وليس هناك زيارة إلا بموعد سابق ماعدا بعض المقربين، فجاءني طالب في الطب د. هويمل عوده العطوي، فقال أراك شاحبا، فقلت له أنه الرشح (الزكام) فأشار عليّ بمراجعة الطبيب وذهبت إلى الوحدة الصحية للجامعة، فقال الدكتور: أخشى أن يكون الصداع من زيادة الضغط وقاسه وإذا به زائد فقال لي إنه من الضغط، ولكن حاول تخفيف الجهد ونصحني فقررت شيئين. أكل الثوم، والسير ساعة في اليوم، فلما عدت له قال ليس معك ضغط وصبرت على السير حتى يومنا هذا، فكنت من أشهر المشائين ونشرت ثقافة المشي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أبناء القبيلة والمنطقة:

أعود للحالة الاجتماعية في الرياض، فقد كانت لي علاقة جيدة مع الأقارب أو لنقل من أبناء القبيلة فهي أكثر تآلفا خارج تبوك ويرتبطون بالدعوات والولائم، فالعميد سعيد إبراهيم العرد العطوي وهو من العشيرة، وعلاقتي به دائمة وتآلف الأسرتين يزيد ارتباطا، أما العميد سليمان بن سعيد الرواضين العطوي، فأنا معه أكثر ميلا وقربا وتآلفا وصداقة بل وثقافة، وكذلك مع أسرته وكنا نلتقي كل أسبوع بسمرة عائليه في المنازل وتارة خارج الرياض أو على أحد الأرصفة المنارة، ونخرج أيام الربيع في رحلات لبطون الأودية وفي التلاع على طريق رماح وروضة خريم، وروضة التنهات، وهو وامرأته يجيدان الطبخ أكثر مني ومن زوجتي. ولما نقل اللواء/ زعل سالم العليين العطوي التحق بهذا الارتباط الأسبوعي وأصر فهو يحب سليمان وأنا زميله وأسرته أيضا تآلفت مع أسرتنا، وهما عسكريان وثقافتهما عسكرية وأنا لأميل للإكثار منها. ولذلك أحاول أن أهجم عليهما وكنا موضع احترام الآخرين لأن كلاً منا يحرص على العلاقات الطيبة ويجتنب التجريح والقدح. ونحن على التزام بالعلاقات مع الآخرين سيما الولائم للضيوف وما أكثرها مع العميد/ سعيد إبراهيم، ومع عوض رويعي العطار أقدم الموجودين في الرياض وزميل الدراسة، وزميل العزية في الرياض، وكنت أسكن عنده حين آتي للرياض قبل معرفة الفنادق والشقق المفروشة ومنهم اللواء عيد أبو شعيل، واللواء فلاح كريم العطيات ثم جاء اللواء عبدالله كريم العطيات وكذلك العميد منصور عيد بن حرب الذي أضحى شيخا بعد أخيه سعود ومنهم العقيد/ سعود عواد العطيات، وسعد أبو لهيمط، وسالم بن عتيق الفندل وكلهم لي معهم صداقات ومودة مازالت قائمة مع الأحياء منهم أمّا الصديق سويلم محمد أقيهب، فهو مثلهم يكثر عنده الأضياف ولكنه

انتقـل إلى تبـوك ، ومـنهم العميـد درويـش العطـوي وخضـر العطـوي وابـراهيم العطـوي وغيرهم.

كنت استقطب الطلاب أو أحاورهم بل أجادلهم فهم يأتون مع أولاد إخواني وأقربائي بلا تكلف، ولكثرة الوافدين فكرت بفكرة هي أن نستأجر بيتا خاصا للضيوف وتحمست لها وعرضتها أول ما عرضتها على اللواء عيد أبو شعيل، فقال تكون مأوى للمنحرفين والمهربين، فأقررت بخطأ فكرتي وأعرضت عنها.

كدت أن أدخل باب الإدارة ليس لمكاني أو جدارتي، وإنما نتيجة الصراع بين فئتين وخشيت الجامعة من نجاح أحد المتقـدمين للانتخـابات، فأوحـت لي بأن أرشـح نفسـي للعمـادة، ففكـرت وكنـت حـديث عهـد بالتـدريس، والعمـادة مضـيعة لجهـد الأستاذ، ورأيـت الـدكتور/ معيض العـوفي واسـتنزاف جهـده ووقتـه فامتنعـت عنهـا إثارة لتواصل المحبة من شرائح القسم ومن بعدها لم أكلف بلجنة ولم يعهد لي اشتراك في أي من لجان الجامعة والكلية، فكنت نسيا منسيا أتألم واتجه إلى البحث والنشاط الثقافي في الصحف والمحاضرات والتأليف، بل ينظر لي الكثير أني خارج السرب، ويسخرون مني، وفي إحدى المرات أعلنت العمادة أنها ستضع كتب أعضاء هيئة التدريس في مكان بارز في لوحات زجاجية فأحضرت كتبي وأحضر الدكتور محمد بن حسين كتبه فغلبت كتبنا على مكان العرض، فلم تبق إلا أسبوعا واحدا وحُجِب العرض. وطلبوا من أعضاء هيئة التدريس كتبا للعرض في معارض تعدها المملكة في الدول العربية، وكـان ذلـك في أولى سـنواتها ثم رفـض عـرض كتبنـا بـل لم أدع لتمثيـل أدب المملكـة العربيـة السـعودية مـع اختصاصي له.

وتولى رئاسة القسم أحد الزملاء فأخذ يسخر مني في كل جلسة ويتندر علي فصبرت حتى تجاوز حده فأتى بمثل عليّ في إحدى الجلسات وضحك النجديون الذين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عرفوا المثل وأنا لم أفهمه، فحاولت الخروج من المجلس فاعترضني أستاذي د/ محمد بن سعد بن حسين وحلف عليّ بالعودة ولكن رئيس القسم لم يبال ولم يتعظ فأتى بأخرى على عجل فخرجت من الجلسة، ولم أعد لها لمدة شهر، ولم يكلمني رئيس القسم ولا حتى العميد. وأخذ مني الأمر كل مأخذ حتى خشيت على نفسي من جراء القهر، فأعددت في نفسي لمقابلة معه مقابلة كلها شرر، ففتحت باب القسم عليه بعنف، وأقفلت الباب بعنف ، وقلت له: أنا لم آت للكلية مع تركي الأهل والجاه والمال من أجل أن تسخر مني وأراد الخروج ولم يعط الأمر اهتماما. فقبضته من وجهه وقلت أعوذ بالله منك ومن الشيطان معك استمع وإلا تجد أمرا وقذفت به على الكرسي فجلس وقلت له: أنت خالفت الشرع، فالشرع ينهى عن السخرية (لا يسخر قوم من قوم) وقلت أنت خالفت العقل فليس من العقل في شيء أن تسخر من زميلك وأنا لم آت بشيء يؤدي إلى ذلك، وخالفت الإنسانية، فأنت شيطان والشيطان أهون منك وأنا استعذت بالله منك سنة وأنت لم ترعني وأنا لم أمنعك عن الكتابة الرسمية السرية أو غيرها، ولم أعترض على أي عمل أدرى وأحذركم وقلت كم من قتيل في المقابر بلسانه، ووالله أني شهدت من تحطمت أسنانه بسبب سخريته والأمر الآن ليس رسميا إنما هو شخصيا فوالله مادام كذلك وإن عدت سينالك ما ينالك، ألم تر أن الذين أهم منك يحترمونني؟ قال بلى والله إني أرى د/ الحامد يحترمك وأرى الدكتور/ الربيع قبلك لخطأ بسيط. فقلت: فإني أحذرك ثم أحذرك، فاستجاب الرجل وقال والله إني متأسف وسوف أعتذر لك في المجلس، والمجلس بعد ساعة فخشيت أن يكون هناك إفراط وأنا غاضب فقلت له لن أحضر الآن وإنما في الجلسة التي بعد وفعلا تمّ الاعتذار ولم يعد لمثل ذلك قاتل الله الغرور والتعالي والتكبر وقد صدق الغزالي حين يقول: الإنسان أقل من القليل وأذل من الذليل، قال ذلك في عرضة عن التعالي والكبر وفند الأمر في

صفحات في كتابه (إحياء علوم الدين) وعادت الصداقة مع هذا العالم الأدبي اللغوي وكأن الأمر غفلة وزلة فكر غفر الله لي وله.

وقد صدر أمر الملك فهد بصرف أراضي لأعضاء هيئة التدريس وجئت لوكيل الجامعة عبد العزيز الرومي فقال: أنتم تأتون مثل الغنم قلت هذا ليس بأسلوب بل أنتم لا نظام عندكم الواجب تكون في كشوف معدة غير أني لم أنس موقفا يدل على ضمير للدكتور عبد العزيز الرومي، فقد كنت في إدارة المعهد العلمي بتبوك وأرادت زوجتي نوره وحمواتي، منيرة سليمان الأميلس، وفاطمة سليمان الأميلس أن ينتسبن وشجعتهن على الالتحاق بكلية الشريعة لأنني أرى أن الشريعة أفضل لكل منتسب فجئته وهو عميد أو وكيل لكلية الشريعة، فطلبت منه الموافقة على انتسابهن فرفض وحاولت معه لكنه رفض، فلما وقفت قلت له: أنت مسؤول أمام الله عن حجبهن عن كلية الشريعة مع أنهن مقبولات في كلية العلوم الاجتماعية، فبادر إلى قبولهن، وقد تجاوزن الامتحان كل سنة ماعدا زوجتي التي لم تواصل الدراسة.

والواقع أن الواسطة الإدارية في أمانة الرياض فمن وجد له واسطة ولو باسمه أعطى في منطقة الحمراء التي تساوي مبالغ كبيرة، وتم انتقاؤهم من الكشف الذي أنا فيه، ولما جئت وجدت أن أرضي منحت لآخر مع وجود رقم الحفيظة عليها، وتكرر الأمر فقد منحوني أرضا في نمار ثم وجدتها منحت لآخر فهي منزوعة مني ومعطاة لآخر، ووزعوا لي مع الذين وزعوا لهم في صلبوخ ولكني أخشى ذهابها. أبعد الله الفساد والمفسدين عن وطننا الغالي.

قمت بإعداد البحوث وأنا في تهميش من الجامعة، وقدمت أبحاثي للحصول على الأستاذية بعد ثلاث سنوات ونصف، ودفعوها للمعقدين من الأساتذة وبعثوا أحدها للدكتور/ مصطفى هدارة، وهو الوحيد الذي أجازها كلها وكان الرفض من

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحدهم لأسلوب كُررَ في ست صفحات ولكنه كان حاقدا وليس هو من المشهور بالتفوق في النقد وهو قد رد بحثي مع اثنين من القسم واعترضا عليه، وقدمت بحثا جديدا وتم بعد سنتين ترقيتي بالإجماع ولأول مرة أمنح درجة زيادة، فقابلني الدكتور ناصر الرشيد وهو من طالبي التعزيز فقال طلبت التعزيز من أجل كتاب (الوجدان في الشعر السعودي) فأنا أعرف أنك تبحث وقد وافقت على ترقية فلان لأنني أعرف أنه لن يأتي بجديد. وكانت لي مواقف مع الدكتور/ ناصر الرشيد فهو عالم ناقد هو الذي تحال له أبحاثي للترقية ومرة سمع مقابلة في الإذاعة عن الفكر في عهد الملك عبد العزيز فقال لي هل تعي ما تقول، فقلت له بغضب وهل وصل الأمر أننا لا ندرك ما نقول قاتل الله المكر، فاعتذر وبادر إلى تقبيلي إن مواضع السخرية والاحتقار التي تعرضت لها أكثر من أن تحصى ولكن الله منحني الثقة بالنفس بلا تجاوز.

جاب زملائي الكون وطوفوا به بانتداب وباسم التدريس للغة بأمور قادر عليها ولله الحمد ولكن عدم العدل والمساواة حتى ممن له علاقة بالدين ويظنون أنهم حراس الدين حالت بيني وبين كل ذلك من الجامعة، فلا لجان ولا انتداب ولا خارج دوام كأنني غير موجود فأنا الوحيد من شمال الجزيرة بل صارحني بعضهم أن احمدوا الله أن ضممناكم للمملكة، فقلت وأنتم أحمدوا الله أن انضمت إليكم الشرقية والحجاز والشام والجنوب والشمال فكيف أنتم من قبل قاتل الله الانتماء للإقليمية التي التحقت بالعنصرية القبلية وحملت أضرارها إنها تولد حوارا مضرا. ولولا غالبية العقلاء لوجدنا فيه اختلافا كبيرا وكثيرا، فأسأل الله أن يوجد العقلانية والتوازن وأن لا يسلط علينا أنفسنا وأهواءنا وأن يحارب المجتمع هؤلاء قصيري النظر بل البصر والبصيرة، فنحن فداء لتلاحم الوطن وتآزره نفديه بأنفسنا ولعل ذلك في سبيل الله.

ولما جاءت الاحتفالات بالمئوية وكان لي زميل عضو فيها ولكنه لا يبالي بزملائه بل قال كلمة حين أخطأ واعتذر والله لأحاسبنك، ومع تقديري لنشره أول بحث لي في مجلة الجامعة إلا أنه تسلم وكالة الجامعة وقادر على ترشيحي في مواضع كثيرة، غير أنه لم يفعل شيئا. ومع ذلك وجدت خبر الدعوة إلى البحث في الجريدة، فقدمت البحث مع صورة الجريدة فقبل مني ذلك. ولما حصلت على درجة الأستاذية، قدمت طلبا لمدير الجامعة مع صورة لكل وكيل من وكلاء الجامعة قلت في مضمونه: إن الدين الإسلامي يدعو إلى العدالة في الجاه والمال وإتاحة الفرص، وأن أنظمة الدولة السعودية تأخذ بذلك وهذا ما نفقده في الجامعة فلم تشركني في أي لجنة، ولم تبعث بي لأي انتداب ولم تعاملني معاملة زملائي فأين العدل يا جامعة الإمام الإسلامية. هذه حكايات من أفراد غير أنني أتمنى من الجامعة أن تتفحص الأعمال وتحد من إفراط بعض الأفراد.

فلم يحادثني إلا زميلي محمد الربيع وكيل الجامعة فقال لو انتظرت لرشحناك، فقلت أين هذا من العشرين سنة التي مضت. ومع ذلك تم ترشيحي في لجنة المعيدين العليا، وفي لجنة معرض الكتاب، وانتدبتني الجامعة ليوم واحد مع مدير الجامعة لتبوك ولا أصدق أبدا أن يكون انتداب مدير الجامعة والمسؤولين معه يوما واحدا لكنه لفساد بعض صغار الموظفين الإداريين وأرجح أن معالي مدير الجامعة لم يعلم به والدليل على ذلك أنني في هذا الانتداب مكلف بإدارة الندوة التي من ضمنها معالي مدير الجامعة ورئيس النادي في تبوك محمد عرفه ومع ذلك لم يذكر الوفد الإعلامي اسمي في هذا النشاط.

ومن الأصدقاء الدكتور/ محمد الربيع وهو الذي له علاقات ثقافية متعددة بل هو رجل اللجان في الوزارات والتقي به في المنازل وفي المنتديات في سائر المدن، وقد

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دلني على ندوة أنور عشقي، فكانت الصالونات الأدبية سلوتي، فقد تواصلت مع ندوة أنور عشقي، ومع ندوة الدكتور/ محمد بن حسين وندوة الوفاء مع صاحبها الأول عبد العزيز الرفاعي ومع صهره أحمد أبو جنيد، وندوة راشد المبارك، ومع ندوة الأمير سلمان بن محمد، وندوة سعود المريض وكنت أخوض محاورا ومجادلا معهم فروضتني على الحوار وزادت ثقافتي وتطورت معارفي وتنوعت.

وأشرفت على عدد كبير من الرسائل في الجامعات المتعددة وناقشت أكثر إنه الأسلوب الجامعي الذي كنت أتمناه، فقد منحني الله إياه، وقد رشحتني الجامعة لأكون رئيسا لقسم الأدب، وكنت فيه أشبه بالمعارض وذلك لأنني أطلع على المناهج الأدبية والنقدية، وأراجع ما يتعلق بموضوعات الرسائل المطروحة لموافقة القسم، وكان الإخوة الأعضاء يدركون ذلك، فلما عهدت لي الجامعة برئاسة القسم، وقد ضم العمداء الذين اصطدمت بهم توقع بعض الإخوة الصدام لكني أخذت أقرأ كتبا حول الإدارة وإدارة الحوار وأنا في ذاتي ليس عندي نية الأخذ بالثأر، ولم أحمل ولله الحمد الاحتقار للآخرين بل حملت تقدير مكانتهم، فدرت الرئاسة بسلاسة حتى صارحني أكثر أعضاء القسم بعدم توقعه لهذا الأسلوب حتى الأعضاء الجدد لم يحدث منهم خلاف يذكر مثل ما حدث بعدي حتى رشحتني الدولة لمجلس الشورى، وهنا تعالت الأصوات المنددة بتهميشي واحتقاري فقال الدكتور/ محمد المفدى أراد الله أن يرفعه على من كان لا يراه شيئا، وقال مثل هذا القول الدكتور/ تركي بن سهو العتيبي ولا أنسى موقف أصدقائي الدكتور/ عبد العزيز الفيصل، والدكتور/ عبد الرحمن الهليل فهما الأقرب لنفسي في القسم فهما تواصلا معي زياراتٍ ومحادثاتٍ.

تكررت المواقف في الكلية المثيرة للنفس البشرية، فهم يقيمون الندوات والمؤتمرات ولم أخص بالدعوة مثل مؤتمر ضعف اللغة العربية، وكذلك يتجاوزون حتى

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

أخذ رأيّ فيما يتعلق بي بل يصدرون أمرا فقد أعلنوا عن مناقشة رسالة أشرف عليها قبل أخذ موافقتي على الزمن، أن هناك تعاملا فضا، حتى أبناء القبائل الذين يشتمونا بالبداوة لم يكونوا أشد من بعضهم في غلظة التصرف أذكر أني وزميلي محمد الربيع مع العميد نسير متجهين إلى مكتب العمادة، فلما فتح العميد الباب أدخل الربيع وقال لي: اذهب مع الباب الآخر، فذهبت ولم أعد فكان العنف وسيلة لبقاء شخصيتي فقط، وقد أشار إلى ذلك بعض الأساتذة في القسم الذين تألموا من الفضاضة بل سمع أحد الزملاء السعوديين يطعن في بالبداوة وقال والله إنه أخف من بعض من يزعم الحاضرة. وقد رسب طالبان عندي أحدهم لم أفهم كلمة واحدة لما كتبه: فقلت هذا إما أراد التمويه فيستحق الرسوب وإما أنه لا يعرف الكتابة أصلا فكيف وصل إلى المستوى الخامس؟، وعرضوا الإجابة على العميد واعتذر له بأنها حالة نفسية وأظنه تجاوز بقرار من العميد وآخر رسب فطلب مني العميد أن أعدل درجته ورفضت وقلت يعرض على الأقسام فرفض من مجلس الكلية المرة تلو الأخرى لكن العميد أصر على نجاحه، فأحاله على أحد المحاضرين، فنجحه ظلما وتجاوزا مع أن هذا المحاضر نال الدكتوراه والآن يعيب على كل دكتور ويتصيد الأخطاء إنها المفارقة في التعامل ونسيان الواقع الذاتي. وضعف العميد الذي أرادني أن أكون عينا له على القسم، فقد استدعاني حين تولى العمادة، وقال لي: أريدك تخبرني عن كل شيء في القسم قلت له: أنا أخبرك عن شيئين اثنين أحدهما ما يخالف الدين والثاني ما يخالف العقل: قال هذه تأتيني من خلال المحاضر، قلت: أتريد أن أكون مباحثا لك بعد هذا التأهيل. ولو لي من الأمر رأيا لوضعت في كل جامعة أو في وزارة التعليم، برامج إدارية لمدة قصيرة لكل من يتولي منصبا إداريا من رئيس القسم ووكلاء الكليات والعمداء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والواقع أن الجامعة جداول خير نهلت منها، وإنما هذه نتفُ من المعاناة في الجامعة أسردها للعبرة والعظة فهي تسير جنبا إلى جنب مع حياة تفيض بالمعرفة والعلم أخذا وعطاءً وسعادة وشقاءً إنما الحياة سعادة وابتلاء، كما قال الله تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان في كبد}، وقد داخل هذه المعاناة والمكابدة في الحياة الجامعية نجاحا، فألفت كتبا وصارت حياتي في موكب من الخيرات لا تحصى ولله الحمد، فكل الضروريات الحياتية أعب منها وأنهل فالدولة أمنت العباد والبلاد وضرورياتهم والرياض عاصمة الثقافة وهي التي عشت فيها زمن الدراسة والعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والتقيت بالعلماء من المحاضرين المباشرين والزوار، وقد دفعتني الجامعة بكل مكوناتها إلى طلب العلم بل إن أساتذتها بذروا فيَّ روح الحماسة وزرعوا الطموح وألهبوا الهمة ذلك سلسل من نبع يفيض بالحق والخير.

وكثير ما تطفو على سطحي أنواع من الابتلاء التي لا ريب من تعاورها وتكاثرها، فتهب على الإنسان وتعقبها نسمات خير ورياح تكوّن السحاب وتدفعه حيث يريد الله، وهكذا الإنسان تعتريه موجات من الخير يشكر عليها، وتعتريه موجات من الابتلاء والمعاناة فيؤجر عليها إن صبر ولعل فيها تكفيرا لذنوبه فمن سره زمن ساءته أزمانُ كل ذلك فيه أجر إذا استعان الإنسان بالله وتأمل بعقله فالعقل هو الذي يهدي إذا استلهم الدين والفكر السليم، فالحمد لله الذي هداني للالتحاق بالجامعة وطلب العلم والعمل فيها وإني أدعو الله أن يكتب الأجر والمثوبة لكل من عمل لي خيراً من حيث أعلم أو لا أعلم ومن حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب وأستغفر الله عن كل زلل وخطل ووهم وظن فالله هو الغفور الرحيم، ومن هذا القبيل كثير ما يبتلى الإنسان من شرائح مجتمعه من الأقارب والأصدقاء والمحيطين به، ولكن هذا الابتلاء الذي لابد منه إنما هو اختبار لعقلية الإنسان واختبار لثبات دينه وشحذ لحلمه وصبره

وترويض له على الحياة يقول ابن المعتز: ((العقل غريزة تُربيها التجارب)) وحياة العقل وتفعيله وتدبره وتأمله في كل أمر من الأمور اليومية هو المأرز المنجي في كل زمان ومكان وفي كل تعامل في الخير والشر ((فالعقل أحسن معقل)) وفي العقل والتعقل صفاء للنفس وتنقية من لوثات الهوى النفسي بل وحب الذات وقد تعرضت في تبوك لكثير من نوازل الحياة والجدل مع القليل من الشرائح الاجتماعية من حولي، ومع ذلك التزمت الصبر والتغابي عن كثير من هفوات الأصدقاء وعدم التحاور فيها، وقد صبرت على مهاتفات وهمية يقوم بها أحد الأصدقاء أمامي ويحكيها على مسمع مني أو يعتذر بها كي يوهمني وأستحضر قول العرب وإن كنت غير سيدٍ حين يقول أحدهم:

ليس سيد القوم الغبي إنما سيد القوم المتغابي

وتجرحني بعض الكلمات وبعض التصرفات فأرد تارة وأعرض تارة أخرى مع أن الإعراض دعا أحد من يلازمني ردحا من الزمن إلى المكر والخديعة، فيمكرون وما يحيق المكر السيء إلا بأهله، وكلها تمر مر سحائب الصيف أو نسمات الهوى، ودائما أُجالد نفسي على الصبر والحلم اقتداءً بالحكمة الشائعة ((لا يجلس في الصدر إلا وسيع الصدر)) وأنا دائما أحاول الجلوس في الجوانب لا في الصدر، إلى جانب ذلك فإن مجتمع بلادي والمجتمع التبوكي منحوني كثيرا من الثقة وكثيرا من مجالس الأنس والسعادة التي لا إثم فيها ولا وزر إن شاء الله بل فيها الطرائف وباقات الفكر وزهور الأخلاق إنني أعيش في مجتمع يغمرني بالحب والخير في جل أموره، فحيثما سرت في طريق أو سافرت إلى بلد أو حللت في منتدى فإني أجد التعارف والتآلف والثناء العاطر والذكريات الجميلة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما عن الطباعة لكتبي وتسويقها فهذا أمر عانيت منه ما عانيت فقد بعت أرضا لطباعة كتاب أحمد الغزاوي في ثلاثة مجلدات. وكانت عندي فلسفة في طباعة الكتب هي إما أن أطبع الكتاب أو يموت بأخذ محتواه، أو لا يجد من يطبعه بعد الوفاة، ولذا بادرت بطباعة كل كتاب بعد إنجازه فورا ويدرك الباحثون معاناة طبع الورق وكلفته ماديا وزمنيا ويدركون معاناة المراجعة والتدقيق ثم ندفعه لمطابع تجمع بين الطباعة والنشر فيأخذون قيمته مقدما، ويلتهمون ما يوزعون، فالعائد لا يساوي شيئا.

وقد أخذت أطبع كتبي في مؤسسة التوبة، الطباعة جيدة ولكنه لا يرحم بالقيمة وقد طبعت عنده ثمانية كتب وآخرها كتاب (الاتجاهات الشعرية إبان الحروب الصليبية) ووصل وقت ضائقة مالية فلم أستطع أن أقدم الدفعة المتبقية، فمكث الكتاب محجوزا قرابة سنة وكان صاحب المكتب لبناني يشهد معنا الجلسات ويزعم بالتقدير والاحترام ويطلب منا زيارته في لبنان وكتب الله لي زيارة لبنان فاتصلت به فلما علم أني في لبنان قطع الهاتف وحاولت الاتصال فيه لكنه لم يرد، فلما عدت للرياض زرته في مكتبه، وقلت له: لو كانت علاقتي مع كلب لكان أفضل منك استقبالا. وتركت التعامل معه، إن بعضهم يسخرون منا وهذه السخرية لأهل الجزيرة مماثلة لسخرية أهل الحاضرة من أبناء القبائل والعكس كذلك، وقد تعرضت لمثلها في ندوة أنور عشقي فقالوا إن فقدان الأمن من سمات القبائل، وقال أنور عشقي: أن القبائل مغروس فيها سفك الدماء مهما بلغت من العلم وسكنت المدن. وكان الأمير سلمان بن سعود بن عبد العزيز حاضرا، فأخذت الكلمة وقلت: أنتم هنا تسمون كل قبلي بدوي ولو تحضر وتعلم، وأنتم تماثلون الغرب والدول العربية فكل أبناء الجزيرة عندهم بدو سذج والفتك في القبائل العربية في الجزيرة نتيجة لفقدان الأمن، والرسول ﷺ أشار إلى ذلك في مضمون حديثه حين رأى أن أربعين سنة يحكم بها فاجر أو كافر أو عبد خير من ليلة واحدة بلا

حكم، وكم هناك من فتك في المدن حين تغيب الدولة، ففي بغداد مثلا وفي المدن الإسلامية زمن المغول فقد قتلوا ملايين من البشر ومثلها كثير من المآسي ونحن اليوم نشهد ما يقع في العالم العربي. فكيف نرد على الآخرين ونحن نشتم أنفسنا فردَ الأمير ردا لطيفا.

وقد ازدهرت تجارة شنطة الكتاب فنحن نأخذ الكتب لوزارة المعارف، ووزارة الإعلام، وغيرهما ولكن لا شراء إلا الوزارتين هما اللتان تشتريان ونحن نعرض ثلاثة كتب، فيشترون بعشرة آلاف ريال لجميع الكتب وتارة تصل اثني عشر ألف ريال، والألم يعتصرنا حين نطلع على الكشوف أو حين تسلم للمستودعات فإن الواسطة وليس الشفاعة الشرعية هي التي تجعل شراء الكتاب الواحد يصل إلى مائة الف ريال أما لخاصة الخاصة للأثرياء، فهو خمسة مليون ريال، وقد طلبت مني جامعة أم القرى خمس نسخ من كتاب أحمد إبراهيم الغزواي. هذه الجامعة التي في مكة المكرمة وأحمد الغزواي من أدباء مكة المكرمة ومكتبه الغزاوي في مكتبتها ويكون دعمها بشراء خمسة مجلدات إنها المهازل بالثقافة والباحثين.

وكنت أبعث للإمارات والنوادي الأدبية لعلها تدعم حسب التوجيه السامي الذي أمر بشراء مائة نسخة لكل مؤلف، ولكن ماء الوجه يذهب هدرا إذا لم تكن هناك واسطة أو أنك تصل إلى قمة الهرم والأمر لا يستدعي ذلك. ولكني أشكر أهل الفضل الذين بذلوا واسطتهم لله وهي باب الشفعة فلم أعمل لهم أبدا وإنما جاشت صدورهم بالمثالية فهذا الدكتور/ عائض الردادي يقابلني في إحدى الجلسات وهو في وزارة الإعلام وجاء حديث عن التسويق للكتاب وسألني كم أخذت الجامعات وجامعة أم القرى بالذات من كتاب الغزاوي وسألني كم أخذت منه وزارة الإعلام، فكانت الإجابة بأنهم رفضوا التعامل معي فقال والله لقد أمنوا كتباً ليست بهذا المستوى بمبالغ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كبيرة وكرروا الشراء كل سنة، فأمرني أن أكتب طلبا للأستاذ/ إبراهيم القدهي وكيل وزارة الإعلام وذهبت إليه فأمر بشراء الف وخمسمائة نسخة، فجزي الله الدكتور/ عائض والأستاذ/ إبراهيم القدهي كل خير فإنني كنت في مأزق مالي صعب واستخرجت منها كتابي المحجوز عليه وطبعت كتبا أخرى وموقف آخر فقد عرضت على وزارة المعارف كتبا وأعطوني ستة آلاف ريال فكررت عليهم مرة أخرى، وقابلت الدكتور/ إبراهيم الراشد وكيل الوزارة للثقافة. فعرضت عليه بعض كتبي وأهديته كتابا صدر لي حديثا وهو (الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية)، فلما عدت للإجازة وراجعت وجدت الوزارة قد أمرت بشراء الف نسخة بمبلغ خمسة وستين الف ريال فجزاه الله خيرا. وهذه ساعدتني في أجرة البيت، وطباعة الكتب، والأسفار، ومن الإنصاف إن الدكتور عبد العزيز السبيل أنصف المؤلفين والمبدعين بتوازن على مستوى المملكة فيأخذ بثلاثين ألف ريال لكل مؤلف ثم جاء مسئول عن الكتب فعاد بها إلى محسوبيتها الأولى فهو من القدامى في قسم المطبوعات ولم يستجب بعد عودته لأي طلب لي بل يتصلون بي يظنون أن هاتفي لمن لهم الحظوة عندهم أو يشعرونه ويمنون عليه.

من المهمات التي أثقلتني تربية الأولاد فهم بلغوا سن المراهقة، ومجتمعهم من طلاب الجامعة وأكثرهم يمارسون التدخين مما علم أولادي التدخين، فكنت حازما وكان عادل أكبر الأولاد، إذا قلت له قولا ذات اليمين قام بالمخالفة ذات الشمال، وقد زاد الطين بله أن أقربائي من الضباط الذين ينعمون على أولادهم لقدرتهم المالية، ولأسلوبهم التربوي غير أسلوبي فأنا أريد طلاب علم، وأريد الالتزام بالصحبة معي، فلما لم يروا أصحابهم يحضرون يحتجون عليّ، وهم في المدارس مع أصحاب الذوات الأثرياء، وأنا لم أستطع إحضار سائق ولا شراء سيارة لهم، وكنت أحظر عليهم الخروج من المنزل إلا

بمعرفة الصحبة، ولا أسمح لهم بالتأخير ليلا أبدا حتى في الجامعة. وكنت في معاناة وكان أشدهم عادل مع أنه الأقرب الآن إلى سلوكياتي فاقتبس مني رغم معارضته لي أسأل الله له ولأولاده التوفيق ولسائر أولادي وأحفادي.

أحاول جمع الأصحاب من الزملاء والأقارب فلم استطع إلى ذلك سبيلا، فالرياض عاصمة كل من فيها متوتر ومشغول. لتباعد المسافات والناس فيها لجأوا إلى الثللية، وبدأت الاستراحات تستقطب الكبار والشباب فكانت علاقتي محصورة في الرسميات والولائم والمناسبات. وكان الأولاد سحبوا البساط من تحت أقدامي فاستأثروا بأمهم وغلبت خدمتهم على الوجدانية الزوجية، وأبدعت في الخدمة المنزلية، وتربية الأولاد بل لها الفضل في متابعة تعليمهم، والخاسر الوحيد الجانب العاطفي أنا وهي. حتى فكرت بالزواج وحاولت، ولكن باءت بالفشل وذات ليلة جاء إبراهيم محمد ولد أخي وطلب إفطارا له ولزملائه في أيام الستة، فجهزت لهم ذلك وكأن الإفطار أعجبهم فلما رجع قال: يا عمتي دعونا لك بأن لا يزوج الله عمي عليك، قلت: والله لو أني أدري بدعائكم هذا لم أسمح بإعداده لكم. وضحك الجميع وأخشى أن الله استجاب لدعائهم.

وقد سافر الابن عادل وهو في الثانية عشرة من عمره لمدينة تبوك لأيام معدودة، فهاتفني الوالد أنه يشرب الدخان وأمرني بإعادته وعادل عند أخواله وهو أثير عند خالته الأستاذة منيرة وكأنه ولدها فلما أمرت عادل بالعودة غضبت خالته وعلمت بذلك فكتبت الخاطرة الآتية:

مـــا للأخـــت منـــيرة جفتنـــا

أَنســـيتْ أن دخانـــه كـــان شـــقوتنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بهجرانهـــــا الطويـــــــل أوحشـــــــتنا

أغـــيرة علـــى ابنهـــا عـــادل قلتنـــا

****

وكـــــل منـــــا لاجتهـــــاده يلينـــــا

غـــــير أن الأب يـــــدرك اليقينـــــا

طبـــع النســـاء للحـــزم لا يشـــتهينا

أمّـــا الرجـــال فعقـــولهم بالحـــزم تســـتعينا

والقلـــب لـــديهم يتقطـــع ألمـــاً دفينـــا

****

ألا تعلمينـــا أنـــه كـــان عنيـــدا يشـــتكينا

وقلبـــه مثـــل الصـــخرة لأبيـــه لا يلينـــا

وهـــــو إن رآنا معرضـــــا حزينـــــا

وهـــو بالدعابـــة والبشاشـــة لنـــا ضـــغينا

فـإذا غبـت عنـه فإنـه يتحـف السـامعينا

****

ألا تشـــــاطرينا تربيـــــة البنينـــــا

ألا تغضـــبن لشـــربه الـــدخان اللعينـــا

ألا تألمـــين لضـــعفه أمـــام الدارســـينا

ألـــيس الجـــدّ للنبـــوغ رهينـــا

أنفشـــي في روعـــه عـــزم النـــابهين

لعلـــــك يأختنـــــا تعـــــذرينا

وتحليـــل الأوهـــام لا يزيـــدك إلا شـــينا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فنعهـــدك يا أختنـــا ذات عقـــل رصـــينا

ونعهـــدك يا أختنـــا ذات قلـــب حنينـــا

ونعهـــــدك ذات نيـــة حســـــنة فينـــــا

****

فـــــإن لــــك عنـــدنا بنـــاتا وبنينـــــا

يحبونــــــك حبــــا دائمــــا كمينـــــا

لعـــــل الله يهـــــدي عـــــادل لنـــــا

ويـــــزرع فيـــــه كـــره المـــــدخنينا

****

ويمـــلأه إيمـــانا بـــــه يســـــتعينا

ويرزقـــــه علمـــــا نافعـــــا ثمينـــــا

ونـــراه يزهـــو فـــوق الأقـــران أجمعينـــا

ونـــراه رجـــلا ســـالكا طريـــق الصـــالحينا

وقد استجاب الله دعائي له فهو رجل متزن لين الجانب.

وقد التحق مصلح محمد بالكلية الأمنية وارتبط بثلة ذات أخلاق وهم في منأى عن الانحراف ولكنهم انشغلوا ببعضهم فهدفهم النجاح ولم يبالوا بالتفوق والتقدير وهذا شأن أكثر الطلاب الملتحقين بالرياض ، فأراد التسرب فغضبت غضباً شديداً لأني أعتبره أقرب إلي من أبنائي فقد لاعبته في طفولته كثيرا وصحبني كثيرا فكان حاضر المشهد اللواء عيد أبو شعيل، وكذلك الاستاذ ضيف الله المضلعاني فوجدت منه إصرارا فاتصلت بأبيه وأخبرته، وكان الأخ محمد حازما صارما نخشاه كلنا، فتوعده بالويل والثبور فعاد مصلح إلى الكلية وهو الآن وصل إلى رتبة مقدم، وقد ملّ بعض الأقارب صحبتي وتجمعت مساويّ في ذاكرتهم فهم إن لم يكونوا ضدي فليسوا معي. وأتمنى ألّا تؤثر علاقتهم على التواصل بيني وبين الأسر وأن لا يدوم الجفا وأن يصلح الله ذات البين، وأنا الآن أتمنى ألّا يصحب بعضهم أحداً ممن يحترمني ويقدرني حتى لا تتهاوى مكانتي عنده. إنها الأيام يوما يكون صاحبك مضادا لك ويوما يكون عدوك صاحبا لك:

(فلم أر الصحبة تدوم حتى أولادك الأكثر محبة منذ الطفولة تتحول أحوالهم).

وكنت حريصاً على التواصل مع الأقارب والمجتمع وحوارهم الذي ربما يؤدي إلى تأويل أو زلة لسان ويتعرض الإنسان للنقد والنفس أمارة والشيطان متأهب والمفاجآت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تترى وزلات اللسان تقذف الحمم مما يولد الاحتكاك ويورث التبرم وهذا شأن كل مجموعة منعزلة كما يقول الشاعر:

وطــول مقــام المــاء في مســتقر   يغـــيره ريحـــاً ولـــوناً ومطعمـــاً

وعلاج الأمر أن تتباعد المنازل وتقل الزيارات ولكن لاتنقطع وأني خالفت الشاعر:

الهجر أروح من وصل على حذر   والموت أطيب من عيش على غرر

وقـد زرت علـى حـذر فوجـدت   فرصاً كثيرة لإصلاح ذات البين

ولكن بعد دعاء الله والنية الصالحة ومحاولة الجذب فكم عادت الألفة بعد ذلك وتصافت الأنفس حتى إذا ضاقت النفس فعلى الإنسان أن يهتم بمظهره الخارجي بل حتى بين الزوجين فالاهتمام بالمظهر في حالة الاحتكاك يولد الابتهاج وطيب النفس ومن ثم صلاح القول.

من موارد السعادة لأستاذ الجامعة طلابه المنتشرون في مدن البلاد وفي كل وجهة هو موليها. فقد كنت أستمع لمناقشة رسالة في قاعة الكلية فإذا المناقش يستهل حديثه بأنه يقول إني سعيد بحضور أستاذي الدكتور/ مسعد لسماع مناقشتي وإذا به الدكتور/ عبدالله الزهراني رئيس قسم الأدب في جامعة أم القرى من طلابي في المعهد العلمي بتبوك. وآخر في صحبة رئيس مجلس الشورى في أحد الاحتفالات وإذا بالمقدم وهوالشاعر/ عبدالله القرني يبتهج بحضوري.

وذات مرة كنت في الطائرة فإذا شاب يترك أسرته ويجلس بجانبي ويعرفني على نفسه بأنه عبد الرحمن البلوي فسلمت عليه وأعطاني بطاقته فلم أقرأها ولكنه أصر علي فقال لابد من قراءتها فإذا به حاصل على الدكتوراه فسلمت عليه مرة أخرى سلاما خاصا وتقديرا له والواقع أن لي عددا من التلاميذ الذين وصلوا إلى رتب عالية في المجال العسكري ومنهم من بلغ رتبة لواء مثل سليمان الحويطي والعقيد علي صدفان والعقيد فيصل مسعد العنزي وغيرهم وكثير منهم حصل على الدكتوراه.

وذات يوم دلفت إلى قاعة الاحتفالات في الجامعة فإذا برجل ذو لحية طويلة يقابلني ولم أعهد ذلك من زملائي في الشريعة فلهم نظرتهم لأساتذة اللغة العربية. فسلم علي بحرارة وقلت من أنت فقال أنا تلميذك، وهو قاض في الشرقية وهو الذي سيلقي كلمة الخريجين في الحفل لحصوله على الدكتوراه بدرجة ممتاز. وأما الآن في الملتقيات فهم أكثر من أحصيهم حتى الدكتورات التي أشرفت عليهن أو ناقشتهن أو درستهن فإنهن لا يتركن التعريف بي أثناء المحاضرات أو المداخلات إنها نعمة من الله. عزمت السفر لحضور معرض الكتاب في القاهرة وقال لي صاحبي لو لبسنا سترة وبنطالا حتى نذوب في المجتمع ونحن نأتي ليلا فقلت أخشى من الطلاب في المطار فقال: الطائرة أجنبية أمريكية لا نجد أهل اللغة حولها. وذهبنا إلى المطار فإذا باثنين من طلابي يقومان بعمل الجمارك فيسلمان علي ويقولا أحضر معك ما تشاء من الكتب فنحن هنا. وأولادي الآن ينعمون بالخدمة والتقدير في تبوك ذكورا وإناثا. وقد كان لتواصلي مع المثقفين دور كبير في تكوين ثروة من المعارف والأصدقاء التي لها أثر في تكويني الثقافي وتواصلي مع المعرفة فمنهم الزميل الدكتور عبد الرحمن الهليل الذي صحبته في السنتين الأخيرتين في الكلية وهو رجل علم من أسرة علم واشتركنا في مناقشات متعددة وسافرنا معا إلى الشرقية والقصيم والتقينا كثيرا في منازلنا وفي رياضة المشي. وكذلك تعارفت مع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدكتور/ ظافر الشهري رئيس نادي الإحساء الأدبي فاشتركنا في مناقشات متعددة، والتقينا في الملتقيات الأدبية في النوادي الأبية حتى أننا حضرنا مؤتمرات في القاهرة. وتعارفت على كثير من رواد الصالونات الثقافية في الرياض وجدة والإحساء تعرفت على أحمد المبارك في الإحساء وعجبت من حفظه للشعر والمقامات. والتقيت بعبد الفتاح أبو مدين وقرأت كتبه وأعجبت بعصاميته. إني متابع للحركة الثقافية في الصحافة فأنا أعرفهم منذ البداية حتى الآن وإن لم ألتقِ بهم وتعرفت على توجهات رؤساء التحرير ومديري التحرير وتعرفت على الصحافة وملاحقها وعلى النقاد والكتاب والمبدعين من الشعراء والسرديين وحرصت على حضور الفعاليات الثقافية التي يعدها مهرجان الجنادرية، وهي من أرقى المحاضرات والندوات وتعرفت على كثير من المثقفين، وعملت مداخلات واشتركت في ندواته مع تكريم الشاعر عبدالله بن إدريس.

قمت بالتدريس لمناهج متعددة منها الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والعباسي الثاني، والحروب الصليبية، والعهد المملوكي والعثماني ودرست النقد في القصيم، وقد درست الحروب الصليبية والمماليك والعثمانيين لأكثر من أربع سنوات وألفت فيه كتاب ((الاتجاهات الفنية إبان الحروب الصليبية)) واستفدت من مصادره ومراجعه كثيرا حتى رأيت أني لن أستفيد جديدا ومللت من التكرار للمادة ذاتها فحاولت أن أدرس الأدب الحديث أو الأدب السعودي، وألححت على ذلك حتى أخذت موعدا بعد الإجازة، فعكفت على دراسة الأدب الحديث وأكثر مراجعه تحويها مكتبتي، وقرأت فيه أكثر من ألفي صفحة فعدت من الأجازة بموفور علم ومعرفة، ووضعت عناصر لكل محاضرة وعنوان، فكتب معي الطلاب حتى تكونت مذكرة كبيرة ووفيرة وتناقلها الطلاب لأكثر من أربع سنوات حتى بعد انتقالي لمجلس الشورى، وهي التي أصدرتها في كتاب (الأدب العربي الحديث). طلب القسم مني التدريس في الكليات

خارج كلية اللغة فرفضت خشية التصادم مع الطلاب، فمنهم يعتقدون أنهم حراس الدين. ونحن في كلية اللغة لدينا ليونة حتى أن الدكتور عبد القدوس أبو صالح الذي يرأس الأدب الإسلامي والذي يندفع منافحا في الاتجاه الإسلامي لم يسلم، فقد حاصره طلاب كلية الدعوة وطلبوا منه تقصير الثوب واستجاب رغم زعامته بعد محاصرته للمرة الثانية عند المسجد.

وفي أوائل التحاقي يقسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض شعرت بتحامل على الموضوعات التي أطرحها، فاستذكر في إحدى الجلسات أن اثنين من الزملاء عارضا موضوعا كنت مكلفا به (عن لغة القصة القصيرة) مقترحا لرسالة فأعلنا الرفض بلا مداولة وكاد يكون، لكني قلت لهم: هذا ليس بالمنهج العلمي ولابد من طرح البراهين والحجج ومداولتها فأذعن القسم للحق وتمت الموافقة على الموضوع.

وكانت النظرة من أحد الأعضاء متعالية، ولم أحمل عليه لمدة سنتين، وبعدها عارضته بشدة أجهضت رأيه بمواجهة قويه فقال: أنت لم تحترمني فقلت له: احترمتك حتى أبيت فكانت نقطة تغير. وفي إحدى الجلسات تداخلت برأي مخالف فمال له الزملاء فقال أحد الأعضاء أظن أنه أعانك عليه قوم آخرون فقلت حتى هذه الجزئية تتصور أننا لم نستطع عليها ارجع لكتاب كذا ولكتاب كذا، فما منه إلا أن قام وأراد الاعتذار لكنه ألقى الحجر في الماء فقال بما معناه "إنني لن أتركها لك، لكنها إرادة البارئ ابتلاء لي". وعهد إلى القسم بالتوجيه المبدئي على إرشاد الطالب حسن النعمي لعمل المخطط لرسالة الماجستير، فلما ناقشناها في القسم عهد لي بالإشراف كعادة القسم يكلف بها من قام بالتوجيه، لكن الدكتور/ أحمد الحكمي يرغب بالإشراف عليها فالطالب من جازان والموضوع من جازان والطالب يرغب في ذلك، فأغرى الطالب بتقديم طلب عن طريق وكيل الدراسات العليا الدكتور/ حسن حفظي، وهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أستاذ فاضل يحمل خلقا، وله صداقة ومودة مع أحمد الحكمي وكلهم من الجنوب، فعلمت بالمحاولة ورأيتها طعنا وتشكيكا في قدرتي وقلت للدكتور/ حسن الحفظي. والله لن أتنازل حتى يبلغ مدير الجامعة وأرجو ألاّ تدخل في هذه الرسالة العنصرية. فقال حاضر وأجهض الحركة. ولكن الطالب حقد عليّ ولم يستجب للتوجيه إلا بالحزم.

وذات مرة أحضرت أوراق الامتحان، والطالب جالس وأخذها، وأخذ يحادثني عن الرسالة وهو جالس ووقف عندنا الدكتور/ أحمد علي وهو مصري من أشهر الأساتذة فاستمع للمحادثة وأدرك أنه طالبي فلم يصبر وقال أما تستحي وتخجل تحادث أستاذك وأنت جالس وهو واقف، إن هذه مهزلة، فنهض الطالب واقفا وكأنها درس للطالب، ووقفت مع الطالب أثناء المناقشة مع أن العضو المناقش الذي أحضره صديقة الدكتور/ الحكمي وأضحى وكيلا للدراسات العليا ولم أستطع رفض الدكتور فهد سنبل لأنه زميل دراسة لكني أعرف أن اتجاهه مخالف تماما. فوقفت إحقاقا للحق بجانب الطالب ضد رفض الرسالة ولامني بعض زملاء القسم على الموقف لعلمه بتفاصيل الموضوع ولكنني أبرئ ضميري، وبعدها تغير الطالب تغيراً كليا.

وكان رئيس القسم له رغباته غير العلمية فعهد القسم لي بالتوجيه على رسالة أحد الطلاب وهو طالب متمكن، درسته في المرحلة الجامعية لكنه فضُ الخلق متعاليا، فحاولت معه بناء المخطط وطلبت منه التعديل لكن رفض الاستجابة فقدمه لرئيس القسم وقدمه في جدول العمل للمجلس: فأخذ النقاش فيه حتى وصل الحديث إليّ فقلت: بأي حق وأي نظام يدخل الموضوع للقسم وأنا لم أكتب عليه تقريرا، والطالب رفض التعديل، وانشطر القسم إلى شريحتين شريحة مع رئيس القسم ماعدا الدكتور/ محمد الزير والأعضاء الآخرون كانوا إلى جانب نظام القسم، فصوت القسم على الرفض

للموضوع كليا. وأخذ بعض الأعضاء يبرر أنها ليست عصبية. وخشيت أن أتجاوز حدودي الأكاديمية فإني تغيبت عن مناقشة موضوعه الجديد في القسم.

وكذلك رفضت التدريس في أقسام البنات خشية أن أقول مالا يرضي الملتزمات أو المتربصات. مع أنهن طلبن تدريسي بالاسم بحجة أنني من كبار الأساتذة في القسم، فلما رأست القسم ورأيت الشكوى تلو الشكوى على من هم أكثر مني حيطة حتى ملابسهم قصيرة ولحاهم طويلة قلت الحمد لله والمتزعم ذلك طالبة أو طالبتان في القاعة. وأكثر الشكاوي من أجل حزم الأساتذة.

ولكن درست الأدب المقارن للدراسات العليا في كلية التربية للبنات مرحلة الدكتوراه، فكانت تجربة رائعة حتى الطالبات لم يغبن عن المحاضرات ويعارضن أي تغيير للمحاضرة إذا لم تناسب حضورهن وكلهن حملن الدكتوراه. أما في الكلية فلم أرشح للتدريس في الدراسات العليا لهيمنة الأساتذة الأقدم عليها. ولمعارضة العمداء الذين لهم موقف مني.

وعندما درست الأدب الحديث واجهت عددا من الاحتجاجات ضد طه حسين وعند الحديث عن الأقباط، وأشرت إلى الكنائس فإذا بجمع يصوت بأصوات الاعتراض وقالوا يجب أن لا تكون كنائس في بلاد المسلمين ولا نتعامل مع الكفار. وكأنهم يجهلون الأقباط ولم يعهدوا طرح التعامل مع غير المسلمين، فقلت لهم بحزم: أنتم هنا في عزلة عن التعامل مع الأديان الأخرى والأمر له فقه خاص بالفقه الإسلامي ارجعوا إلى كلية الشريعة وأسالوا عن معاملة أهل الذمة ثم تعالوا ناقشوا في المحاضرة الآتية وواصلت التدريس ولم يعترض أحد منهم من بعد ذلك.

وقمت بعمل لأول مرة في الكلية، وهو طلب الأبحاث الصغيرة، وتعريف بكتب تتعلق بالمنهج أو كتابة عن شخصية فكرية أو عن شاعر أو كاتب في إطار المنهج،

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك طلبت تعريفا بأحد المؤلفات، وشجعت على إلقاء المحاضرات من الطلاب، وأذكر أن أحد الطلاب شعر بتأخره وحرمانه، فطلب مني تكليفا يدعم موقفه، فقلت تعطي محاضرة عن ابن سناء الملك فاستجاب ولكنه لم يأت به من الغد، فطلب يوما آخر فلم أعطه إلا بشفاعة جلّ الطلاب فأتى باليوم التالي وألقى محاضرة مطولة عن ابن سناء الملك، فحمدت له ذلك وشكرته وقلت له: كم نمت، فقال: لم أرقد حتى الآن فصدقته لأنه أتى بعمل طويل متقن.

وقد عارض بعض العمداء على هذه الفكرة، ولكنني حاولت التحايل عليها وقد انتشرت في الكلية وأضحت وسيلة تعريف لكتب أعضاء هيئة التدريس أذكر أن الدكتور/ إبراهيم الغنيم كلف طلابه بالحديث عن بعض كتبي وانتقلت معي هذه إلى جامعة تبوك ورأيت صداها عند بعض الزملاء. وتحدث ترشيحات للاستشارة خارج الكلية وللتكليف بتأليف أبحاث أو مشاركة في تأليف مناهج ولكن الرفض يأتي من الكلية أو الجامعة، وقد رشح بعض أعضاء الكلية للاستشارة قبل أخذ الدكتوراه وبعضهم رشح بعد أن نالها بشهر واحد. إنها المحسوبية فحسب.

ولما تسلمت رئاسة قسم الأدب أردت أن يكون هناك لقاء ثقافي شهري لأعضاء القسم وقمت بالدعوة إليه واستعنت ببعض المحاضرين الراغبين لذلك، وكان الاجتماع وكان اجتماعا حافلا لكن بعض الإخوة كان معارضا له زاهدا فيه وفيمن أعده ودعا له وإنه التعالي والغرور الذي لم يروضه العلم وحاولت أن يتواصل وأشاد به العميد والزملاء وحال دون مواصلته انتقالي لمجلس الشورى.

وكنت التقي مرات ليست بالكثيرة بالإخوة المتعاقدين فهم خارج سرب الدعوات المنزلية بل أصبت بالاشمئزاز حين يدعوني زميلي والزميل المتعاقد جالسا إن تلك النظرة للأخوة المتعاقدين وكذلك للمدرسين والمهندسين والانفصام عنهم تماما

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

جعلني أقول لو أننا نحتويهم لكان أفضل ولكنهم هم أيضا لا يرغبون المشاركة لكلفة الأمر عليهم، أما تعامل القرى والريف مع المدرسين وسائر العمالة فهو مختلف جدا فهم يدعونهم ويقدمونهم، ويجالسونهم ويكرمونهم، ولا يطلبون منهم جزاء ولا شكورا، ولذا يمكث المهندس أو المعلم أو العامل سنينا طويلة في المزارع أو الريف أو القرى وفيه تكافل أسلامي رائع وهم أيضا في مدن الحجاز أكثر تقاربا ولقاءات اجتماعية بل حتى اندماجا عائليا. وكنت في المعهد العلمي على تواصل أسري مع كثير من المدرسين وأذكر في إحدى الزيارات أن قذف أولادي بقشرة الموز في الصالة فأخذت بنتهم تبكي وتنادي ماما ماما، ولكني أقر بندرة تلك العلاقات.

الأسفار بين تبوك والرياض:

كانت الرحلات دائمة ومتواصلة بين الرياض وتبوك، اشتريت سيارة كابرس بمبلغ ثمانية وسبعين الف ريال ولم نتجاوز السنين الثلاثة حتى تجاوزت المسافة التي قطعت مائة وثمانين ألف كيلا بينما اشتريت واحدة من قبل فمكثت عندي خمس سنوات لم تتجاوز عشرة آلاف كيلا، ووصلت السيارة إلى أسوء الحالات لأنني مقيم في تبوك، ولأنني كثير الأسفار، كنا ننطلق إلى تبوك في أيام الأجازات الصغرى في رمضان، وتكون الانطلاقة فجرا ونبيت في حائل فهي منتصف الطريق سبعمائة كيلا، ونواصل الطريق من الغد وتارة إذا كنا مجموعة نواصل المسيرة فنأتي تبوك بعد العاشرة مساء لا سيما في اليوم الصيفي لطول نهاره.

إن الرحلة إلى تبوك ضرورة لزيارة الأهل فالوالد يمكث في انتظارنا ويعد الوليمة الدائمة لنا ولو في السنة أربع مرات وغالبا أجده على قلق من تأخرنا ثم تكون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التجمعات الأسرية في إفطار رمضان ولها مذاق خاص، وكان مما يضايقني فيها انشغالي بالارتباطات عن متابعة صلاة التراويح وصلاة التهجد.

ثم نعد العدة للعودة وغالبا أتفق مع اللواء عيد أبو شعيل، فأسرتنا متقاربة وتارة مع العميد سعيد العطوي، وتارة مع الدكتور هويمل، والدكتور عويض أنني ألين مع الأصحاب وكذلك أم عادل فهي محبوبة من النساء وكنا لا نستطيع على قيمة تذاكر السفر في الطائرة.

وسافرت وأسرتي مرات متعددة منفردين وكل منها تكون فيه عثرة من العثرات خرجت في إحدى السفرات من القصيم وواصلت حتى نزلنا لصلاة العصر في بيضاء نثيل بعد حائل بمائة كيلا فلما جلست وشربت القهوة والشاي المعدة سلفا ثم أردت النهوض فإذا بي أشعر بدوران ويصعب الوقوف، ودنوت من السيارة وركبت لعلي أصل إلى منطقة مأهولة ولكن الله سلم فواصلت، المسيرة ولكن الكارثة كادت أن تكون قبل تيماء في طريق منخفض ومرتفع فأردت تجاوز ناقلة كبيرة وإذا بي وجها لوجه مع جمس فخرج عن الطريق، وخرجت سيارة أخرى وسلم الله الجميع، ولو حدث صدام لذهبت والعائلة في الحال فالله حافظ وهو أرحم الراحمين، وفي إحدى الأسفار انطلقت من تبوك مبكرا حتى وصلت واديا كبيرا هو أخطر الأماكن ففيه من الشباب المتربص الذي يروج المخدرات، فقلت أفطر وأسرتي على جانب الطريق وعدلت إلى أرض رأيتها صلدة فإذا بها لينة رقيقة، فلما حاولت تحريكها لم استطع فقيادتي رديئة فأحسست بالخطر فإذا بسيارة ونيت تأتي فلما رأيت فيها امرأة استوقفتها واستجابوا واخرج سائقها سيارتنا براحة وحمدنا الله، ولم نقف إلا في حائل وقريبا من هذا المكان خرجت من حائل صباحا مبكرا ونزلت للإفطار في ظلال مبان لم يكتمل عمرانها خاوية على عروشها. فبينما نحن نفطر ونشرب القهوة والشاي وإذا بسيارة ونيت تقترب منا وصاحبها عليه

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

قميص علاقي، فأخذت البندقية في يدي ظاهرة وأعلنت الركوب للسيارة، وقد ابتعد عنا فانطلقت بالسيارة بسرعة غير معهودة حتى وصلت الجهراء.

وتارة نأتي عن طريق المدينة المنورة ونبيت فيها، ومرة واحدة أتينا عن طريق الطائف ومكة من أجل العمرة في الطريق. ومن النادر أن أكثر السفر ليلا فهو من الصعوبة بمكان، وتارة نتجاوز الحد في مواصلة السفر وفي السرعة أذكر أنني سافرت مع اللواء عيد أبو شعيل والدكتور/ هويمل عودة الساعة التاسعة مساء من الرياض ووصلنا مدينة الأمن في تبوك الساعة السابعة صباحا وأكثر القيادة مع الدكتور/ هويمل وأنا أما أبو شعيل فرفض رفضا قطعيا، والحكمة بيد الله. ومنها أني خرجت من بريده الساعة الواحدة ظهرا ووصلت تبوك الساعة التاسعة مساء وكنت ملتزما بنظام الرحلة وعدم التوقف للأسباب البسيطة، ومما يضايقني توقف بعض المصاحبين من أجل رغبة طفل والمكث معه لساعة أو أكثر. وكذلك فأنا ملتزم بمواعيد الانطلاق فإذا عاود صاحبي التأخر فإني أنطلق.

وفي إحدى الأسفار المتأخرة أخذت بعض الأهل من الذين أتموا الامتحانات وصحبنا الأستاذ ضيف الله المضلعاني، والسيارة جديدة، وكتب الله أن أقودها من الرياض وضرب الإطار فلم نستطع أن نبدله فوقف بجانبنا شاب معه جمس، فلما رأى عملنا أراد عوننا لكنه خشي من العائلة وهي عاملة منزل والطفل نايف فكلمته وأقبل وأصلحها في أقل من خمس دقائق ونحن لنا ما يقارب من الساعة. وأصلحنا الإطار في المجمعة وتسلم القيادة الأستاذ ضيف الله، وإذا به لا يتنازل عن مائة وستين كيلا في السرعة وإذا به يقسم علينا بأن يكون العشاء عنده بناء على طلب الأخت العزيزة أم عبد اللطيف زوجته وعبر الطريق بهذه السرعة القصوى والله يحمينا ولم نقف إلا للغذاء السريع المكون من جبنه ممزوجة بعسل وزيت فالتهمناه وركبنا ولكننا نتحادث ونغني

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السامري (الغناء) ونستذكر الطرائف حتى الطفل لم يمل بل يذكر هذه الرحلة حتى الآن ووصلنا تبوك الساعة التاسعة مساء. والعاملة المنزلية لم تعهد هذه الرحلة الطويلة فمرضت وظلت أياما مريضة.

الإنجليزية:

كانت معرفة اللغة الانجليزية من أمنياتي منذ كنت في المرحلة الابتدائية وأذكر أن قريبي العميد سعيد إبراهيم جاء وهو يحمل الثانوية ليس له مثيل من معارفنا، ويجيء عندنا في البيت وكان له تعالي الشباب فهو محفوف بالتبجيل والتقدير، وقد حصلت على الابتدائية في عام ١٣٨٣هـ، وكان أول تواجده في تبوك فقلت له: اكتب لي الحروف الانجليزية، وأعطيته ورقة فكتب لي كلاما مشبكا من إحدى زوايا الورقة إلى زاويتها المقابلة فجاء السطر منحنيا، لست أدري ما معناه ولكن أدركت أنها السخرية فمزقت الورقة، وأراد الله أن يفتح المعهد العلمي أبوابه لهذه السنة ويدفع مكافأة ونحن أحوج ما نكون إليها، فالبيت ليس له دخل فالتحقت به ولكني حاولت الالتحاق بالمتوسطة ليلا لأكمل هذا الجانب غير أني لم أستطع الجمع بين الدراستين النهارية والليلية. وواصلت الدراسة فلما تخرجت التحقت بدراسة خاصة وكنت جاداً فبلغ مستواي فوق المرحلة الثانوية، ثم أخذتني الدراسة لمرحلة الماجستير، ونسيت ما درست، ولكن الأمر في آمالي فأخذت سنة التفرغ في الجامعة بعد أخذ الأستاذية وفات علي أنه يجوز لي أخذها من أجل دراسة اللغة في الخارج وأخذت أدرس اللغة في منزلي من خلال الكتب المتواجدة في السوق وحفظت مئات الكلمات والجمل ولكن بلا ممارسة، ثم تبرع لي العميد سليمان بن سعيد بالتدريس فيحضر عندي واقرأ عليه كتب المرحلة المتوسطة والثانوية ثم انقطعت عن الدراسة حتى الآن، وما زلت أفهم الكلمة بعد ذهاب

المحاور عني وكذلك أستذكر الكلمة بعد فوات الأوان والحاجة إليها فهو أمل لم يتحقق لي.

الأب والحنان:

توفيت الوالدة رحمها الله ولم أتجاوز الثانية عشر من العمر، وكانت تحفني برعايتها وأنا أصغر أولادها حتى أني أتذكر حادثة الفطام المتأخرة فلم تحدث إلا في السنة الرابعة.

وكنت يتيم الأم، وليس لي أخوات، والعمة بعيدة مع زوجها، وخالتي لم أتعرف عليها إلا بعد الجامعة. وقد أكثرت من زياراتها عندما استوطنت تبوك ومما لفت انتباهي ظهور النفس الرضية عندها وكثرة التسبيح والتحميد، ولما مرضت أخذت تكرر عندما تسأل عن صحتها تقول الحمد لله في أحسن حال وتكررها حتى توفاها الله مع أنها أمية لم تتعلم والواقع أن الأب رحمه الله تولى مهمة الأب والأم معا، فأنا تحت رعايته الدائمة. أصحبه للصلاة في أوقاتها ولم نعهد الخروج من البيت مع الزملاء والأصدقاء إلا في الأخير من المرحلة الثانوية، وكان حازما، وكان عطوفا تلك تربية لم استطع أن أمثلها مع أني أحمل الدكتوراه، ومارست التربية فهو يستقطبنا جميعا حتى زوجاتنا ثم أولادنا كان له مكانته عندهم فقد أحبوه وذرفوا عليه الدموع الحارة مازالت ذاكرتهم تستدعيه، كنت أفتقد الأم صغيرا، وأتمنى أن لي أخوات آنس بهن حتى بعد الزواج ولكن الوالد هو نبع الحنان، والذي يتفقدني ويسأل عني سؤال الأمومة، يثق بي ويوجهني، ويحيطني بعطفه ويمنحني أحاديثه الودية والسرية كان يعاملني معاملة الصديق كان يستشيرني في سائر الأمور. وكنت أثنيه عما يقع فيه من تجاوز ضد الآخر. لست أنسى يوما دخلت عليه وهو يعد العدة للآذان ظهراً وكان نظره قل كثيرا، فعانقته وقلت مع مسعد بن عيد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فاحتضني وقال أقوالا أسعدتني للطفها لم أعهدها من قبل، كان رحمه الله يخشى من الكلفة المادية فيرفض حتى الملابس ويعنفني، وكنت أريد له الظهور متأنقا لكنه أبى، حتى الولائم حين يعملها في منزلي يأتي بكلفتها، وما ورثته من الإرث كان بركة علي فهو أسهم في بناء بيتي الحالي كتب الله له الأجر، وكان رحمه الله رجلا عابدا من بداية شبابه، حريصا علينا وعلى أخلاقنا يأخذنا في الجمعة قبل الآذان وهو لم يترك صلاة التراويح ولا التهجد من يوم عرفته. وشك في صيام سبع سنين في أيام شبابه فصام سبعة أشهر في عام واحد من غير رمضان أعرض عن مواطن الجاه فهو لم يصادق وجهاء القبيلة ورفض أن يقدم الهدايا من أجل واسطة للوظائف.

ويذكر له أهالي تبوك تبرعه بمبلغ من المال للجزائر فهو دفع جهده ولكن مساعد بن أحمد السديري أمير تبوك أعلنها ثمانين ريالا وهو مبلغ كبير جدا في ذلك الزمن مازال زملائي يذكروني بها خبرا عن خبر من والديهم. صحبته في مرضه وقد أردت الذهاب به للأردن، ولكن تدخل الدكتور فيصل عوده أقيهب فأدخله التخصصي بالرياض وكان يتعالج في تبوك لمدة أشهر عن مرض السل حتى جاء إلى التخصصي ونزعوا عنه علامة المرض المعدي، وسألت وقالوا ليس فيه مرض السل وإنما هو السرطان، وهذه قضية سائر المرضى من الأطراف لم يكشف عن حقيقة مرضهم حتى يتمكن وينتشر.

وكان شأنه الصلاة والذكر ويطمئني بأنه في راحة نفسية ويقول والله أني في خير ويذكر لي أحلاما تفاؤلية كثيرة، وتركته ذات مرة يصلي وذهبت إلى البيت وأنا مرهق فلما داعبني النوم حلمت وإذا به يودعني وركبت السيارة فلما وصلت وجدته في حالته الأولى التي تركته عليها حتى أنهم صرفوا له الغذاء فلم يتناوله مع أني مكثت أكثر من ساعتين.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

أعطانا المستشفى التخصصي المهدئات للمرض السرطاني المنتشر وأخذ يفقد الوعي، ورجع إلى تبوك وأخذت حالته تتدهور فجئت إليه من الرياض بعد دوام الأربعاء وإذا به صامت لا يتحدث أبدا وأيضا أنا لم أعرف التعامل مع تلك الحالة فأقف عنده ساهيا وتارة أجلس أرقب حالته ومكثت حتى مساء يوم الخميس فأخذت أعطيه نقطا من الماء فيصعب عليه ابتلاعها، ومكثت عنده حتى الساعة الواحدة ليلا وأنا لم يخطر في بالي أنها اللحظات الأخيرة، والأطباء لم يعرفوني على حالته، فجاء صالح ابن الأخ محمد ومكث عنده ولما دلفت عند باب المنزل لصلاة الفجر وإذا بالباب يُقرع، فإذا به صالح وأخبرني بوفاته فجر يوم الجمعة في ٢٣/١٠/١٤١٩هـ، فذرفت الدموع التي لم أعهدها من قبل وأحسست باليتم من لحظتها، وكان عزاؤنا أنه مات يوم الجمعة وصلينا عليه وشيعه عدد كبير من الأقارب والمعارف تقبل الله دعاؤهم له واسأل الله له الرحمة، ومما قلت فيه:

خمسون عاما وأنا أرضع منك الحنان

خمسون عاما وأنا استظل بظلال رعايتك الأبوية

خمسون عاما وأنا استشعر إشراق دعائك الرباني

خمسون عاما وعيناك ترقب خطوي عبر مسافات الأسفار

ثمانون عاما وأنت الكريم الباذل بسخاء

أغناك الله عن الولد وسائر البشر

****

بفقدك يا أبي نضبت جداول الحب والحنان

بفقد يا أبي تفجرت ينابيع الحزن والألم

بفقدك يا أبي هجمت ظلمات الأسى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

****

لقد جثوت التراب على أجل وأكبر المصائب

كانت الدموع في حرز عبر السنوات لكنها عليك يا أبي تفجرت

بحرارة اللوعة والحرقة

****

لست أدري كيف أنسى ولا اخالني أنسى مجالسك الأنيسة الحكيمة

ولن أنسى معابرك التي كانت شريان الحياة تمتد إلى بيتي وقلبي

****

أين إطلالتك البهية عبر الدروب

أين تحديق الأسرة في منتدياتهم

فقدنا مجمع القلوب وارتياح النفوس

****

ألا يحق لموجات الأسى أن تتوالى على صدري

وترين على قلبي، وتستولي على فكري، وتسوّد الدنيا

في عيني، ويجثم الحزن في أعماق مشاعري

****

أحسست بأحاسيس كل من وارى أبا أو أما

فقدنا كبير القلب الذي تذوب في قلبه صغائر المنقصات وكبائرها

كنت يا والدي تملأ عليّ حياتي في يقظتها وسباتها

****

وأصبحت تلج إليّ في أحلام يقظتي، ويدلف إليّ طيفك في الكراء وفي سباتي

أصحو فإذ بذكراك ماثلة، أنادم الأصحاب فأتعلل
بالبسمة والوحشة تملأ كياني
تمضي الأيام فتزداد الذكرى اشتعالا
ولولا التأسي لكنت في أحضان المآسي
****

والدي الذي استودعته الله لن يغيب عن مخيلتي معاناتك
في سبيل أولادك تلك المعاناة التي تتمثل في هجرتك حين تركت
الديار والأقوات لتأخذ بأبنائك إلى رياض العلم في مجتمع
يثبط العزائم، ذلك المجتمع لم يدرك سرّ الرحلة إلا متأخرا
****

حتى أصبحوا يضربون بك الأمثال التي لا زالوا يكررونها على مسامعنا
بعد أن كانوا يسخرون
وقد عانيت مكابدة وكدحا ما عانيت
وقد أقر الله عينيك بثمار نتاجك، فأصبحت الحامد الشاكر لرب العالمين
والدي الذي استودعتك الله إنني في حياتك ومماتك أتأمل
مليا عظم التربية التي نتلقاها منك، فقد جمعت الحب المتدفق
****

والخشية اللذين لا ينفكا عنا صغارا وكبارا
فلا غرابة أن فقدت برحيلك الوالد البار، والصديق الوفي
ونبع الحنان، فأصبحت يتيما حقيقة لا مراء فيها
****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكن عزائي في كونك عابدا ولا أزكيك على الله، وبشرنا الله بقبولك
حين توفاك فجر يوم الجمعة ولم يصحبك إلا طفلا وضع بجانبك على نعشك
فكأني التمست أنك ستكون مثله بغفران الله لك
فيا الله يا قيوم كن به رحيما كريما وأبدله دار خير من داره
وأغفر له ذنوبه، وكفر عنه سيئاته وأدخله مع الأبرار يا رحيم يا غفور

وكان رحمه الله قد جاءني في الرياض لعملية في عينيه وكان موعده في الغد وفي المساء قبل أخذه للمستشفى تعرض الطفل الابن (نايف) لحادثة شرق ببزر فستق فأخذته للمستشفى وإذا بالهواء لا يصل إلى إحدى رئتيه، فقابلت دكتورة من أسرة (القبلي) من تبوك تعمل في مستشفى الشميسي فاستدعت الدكتور ((الناطور)) وهو من أشهر الأطباء فلما رأى الأشعة أطلق شتائمه عليّ وعلى أمثالي من الذين لا يعتنون بأولادهم ويجعلونهم عرضة للأشياء الصلبة فصبرت وقلت له: إنني أستاذ في الجامعة وما حدث لولدي ليس بإهمال، وإنما هو أكل فضحك فشرق فهل لأحد من قدرة غير الله لمنع ذلك؟ فكشف لي عن خطر العملية فودعت الابن وداعاً أخيراً حين نقلوه على النقالة لتحضير العملية، وذهبت للوالد لأطمئنه ولكي يدخل عمليته وقد أردت حجب الحقيقة عنه لكن إحساس الأبوة عنده، ولم يرد أن يتألم أمامي وأنا كذلك غير أنه لم ينم تلك الليلة حتى علم بنجاح العملية فبعدها رضي بدخول المستشفى وأتم عملية العينين.

وكنت حريصاً على تربية أولادي ومتابعتهم في الدراسة وأمنياتي مواصلة دراساتهم العليا ونيل الدكتوراه، وكلهم تخرج في الثانوية بتقدير ممتاز وذهب (عادل) إلى هندسة الحاسب الآلي وذهب (أحمد) إلى كلية الملك عبدالعزيز العسكرية، أمّا البنت

الكبرى أحلام فهي أكثر قراءة للثقافة وكان أسلوبها الإنشائي رائعاً ولكنها لم تواصل تنمية مواهبها بعد الزواج، وتخرجت في الثانوية بتقدير (٩٥٪) وكنت أرى أن الدراسة لا تمنع من الزواج فتقدم لها (سعيد سليمان الروضاني) وأبوه وأسرتهما هما الأقرب أيضاً في الرياض من حيث التآلف فوافقت على زواجها منه وواصلت الدراسة الجامعية وهي الآن تربي أربعة أولاد أكبرهم (سليمان) ثم (سلطان) ثم (حنين) ثم (جنى) ولم تتوظف حتى الآن.

وأمّا الابنة (إيمان) فقد وفقها الله ببعثة خادم الحرمين ونالت هي وزوجها (منصور سليمان الروضاني) الماجستير من بريطانيا وقد أنجبت ابنها (طلال).

أمّا الابن (نايف) وهو آخر العنقود فدخل الجامعة عام ١٤٣٣هـ وهو المدلل من أمه وهو أكثر ملازمة لي.

أمّا الابنة (سارة) فقد نالت الامتياز بالجامعة وتزوجت أيضاً (أحمد بن سليمان الروضاني) فنحن عائلة متواصلة ويعلقون علينا بأن بيننا مقاولات أو عقود والواقع إنها إرادة الله ثم الأخلاق والتربية وحسن التعامل وإتقان العمل المنزلي والتوجيه بحسن تعامل البنت مع أسرة زوجها والثقة من خلال التجاور.

والآن لم يبق إلا (نايف) والابنة (أروى) التي تدرس في الجامعة وهي متميزة أيضاً، وقد رزقني الله بأحفاد فأبناء (عادل) هم (مشاري)، والابنة (لين)؛ وأبناء (أحمد) هم (نوره) والابن (سطام) بارك الله لهم ولي في ذريتي وصبغهم بصبغة الإيمان والعلم والقراءة الدائمة.

وفي عام ١٤٢٦هـ وأهل تبوك يستعدون لاستقبال الملك عبدالله بن عبدالعزيز فقد أيقظني لصلاة العصر غمرة من وحل رُشّ عليّ فقمت فزعاً وأخذت أتوضأ فإذا الهاتف يرن وأنا نازل من درج الشقة ففتحت الهاتف وإذا بالابن (أحمد) يقول وهو يئن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويبكي ووقع عليّ حادث فشعرت أنه في حالة خطرة وقال أخذنا أحد الأفراد إلى المستشفى وإذا بأمه تسمع صوتي وأحست بالخطر فاتصلت به فقال لها أدعي لي وأخذت تبكي، فدلفت إلى المستشفى وإذا به في سيارة صغيرة يصرخ ويتألم ويئستُ من سلامته وسلامة ظهره، فتابعته في الطوارئ وجاء دكتور من بعض الدول فقال إن حالته خطرة جدا والأمل ضعيف يقول ذلك على مسمع مني ومن ابني أحمد المصاب وهو الملازم في القوات المسلحة، وكان الإداريون يعرفونني ويقدرونني ومنهم اللواء/ غالب أبو حريب مدير المستشفى العسكري والدكتور/ هويمل عودة العطوي، والدكتور/ فايز فُلمبان وقد أشرف الأخير على العمليات في أقدامه وركبته والحوض، واستمر في المستشفى ثلاثة أشهر فحمدت الله أن سلم قواه العقلية والجسمية وقد وقاه الله من الإعاقة وقد رأيت تعاونا من المستشفى وإدارته من أولئك الذين ذكرتهم وغيرهم حتى الممرضين بل والعاملين فجزاهم الله خيراً، وكان قد تزوج قبلها بثلاثة أشهر بزوجته (هبة بنت سالم أبو طلحي) وقد تآلفت مع سائر الأسرة وكذلك زوجة الابن عادل (نوال بنت سعيد العطوي) وعلى مرّ السنين لم يكن هناك تضجر أو ورم أنف منهن على الأسرة وعلى أم عادل وبناتها، إن التعامل بنية طيبة يؤلف بين القلوب.

وما إحساسي برشّ الوحل الأسود والدماء عليّ الذي أيقظني من النوم وقت وقوع الحادث على الابن (أحمد) إلا من قبيل التلباثية وهي إحساس الآباء والأمهات بما يقع على الأولاد وقد قرأت أنهم عملوا تجربة في روسيا حول تعذيب أولاد التماسيح، ووضعوا أشعة كهربائية على الأمهات فكانت الإشارات الكهربائية تشتد وهي معلقة على الأمهات حين تعذيب صغارهن مع بعد المسافة.

وقد حاولت أن أكون صندوقا خيريا لعشيرتي عشيرة الرماضين وقد كونت له أعضاء ووضعنا له أهدافاً وضوابط وطريقة للموارد وآلية للتوزيع ،وقد حاولت أن يكون

من كل فخذ عضوا في مجلس الصندوق وكان واتفقنا أن على كل فرد خمسين ريال نشترك فيها والواقع أن الأعضاء أنفضوا ماعدا الأستاذ فهيد مسلم ،وسالم شلهوب وعارض عليها بعض من يتهمون أنني أريد أن أصل إلى شيخ أو معروف وهذه ليست هدفا وإنما هو المرض القبلي المعاصر ،وواصل الصندوق عمله وكان الأخ فهيد أمينا له وهو دقيق في الحسابات وقد أدى دورة لمدة ثلاث سنوات وكان دعمه من الاتصال ببعض الأخوة والأخوات عند الحاجة وهم سريعو الاستجابات ويرحبون وهم الداعمون له وكنا نعمد إلى التموين بعيدا عن النقد في المواسم والأغذية والأدوات المدرسية وقد استفاد منه عدد كبير داخل العشيرة.

ولما رأيت استحواذ الأقارب على الجامعيين والضباط والمهندسين وخشيت أن لايكون لهم ثقافة التواصل والحوار والتثاقف بينهم وبين الأخرين دعوت إلى جلسة مرة واحدة في الأسبوع واستمرت سنة واحدة أو أقل وماتت في مهدها.

ومن المحاولات الفاشلة إني دعوت إلى أن تجتمع العشيرة على أن يكون حفل الزواج جماعي لكثرته وتكاليفة المرهقه من الولائم التي تذهب هدرا ومن الألتزام بالمعونة ،ومن النزف المالي على الملابس النسائية التي أرهقت المجتمع أو حجبت غير القادرين عن الحضور وأجبرت الناس على الحضور مجاملة مما جعل المجتمع يضيق بها ذرعاً وكانت عشيرة السليمات قد نجحت نجاحا مميزا في إقامة الزواج الجماعي وقد حضرت إحدى مناسباتهم وشكرتهم شكرا كبيرا وأثنيت على اللجنة المشرفة ،وقد استجاب لي عدد قليل من العشيرة وهم أخوالي العسوفية وبادر الكثير إلى التبرع ومنهم رجل الأعمال عبد الله سليمان العسوفي الذي استعد بأجرة القصر ولكن لم يتكرر الأمر لشدة المعارضة.

وظهرت الآن معالم من الوجهاء لرفض الإعانة (القود) وهم يعملون خيرا وكذلك اتجه بعضهم للاقتصار في الحفلة على الأسرة فيكون حفلا أسريا ،ولعل الأمر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتخذ مسارات لا إسراف فيها ولا استنزاف للمال ولا إرهاق لذوي الدخل المحدود وبادر إليها من العشيرة الأخ محمد أبو طربوش وبادرت إليها وكذلك علي شلهوب وانتشرت في القبيلة وذكروا ذلك عند الشيخ محمد أبو دميك وعند سويلم أقيهب وعند ناصر صدفان وقد عمل بها من قبل الحميدات وعمل بها محمد دعسان العطوي.

والأخوة في تبوك من سائر الشرائح يدعونني عند إقامة الاحتفاء والاحتفال بأصحاب الشهادات العليا مثل الماجستير والدكتوراة وقد تأملت أن تكون الحفلة خالية من الكلمات التي تعرف بموضوع الرسالة من صاحب الرسالة حتى يشهد الشباب قيمة المثابرة لطلب العلم وحاولت أن نفرض الحديث في الاحتفال الذي أقامة الأستاذ خالد جبر وإخوانه بمناسبة نيل أخيهم فهد جبر على الدكتوراة فتحدث الدكتور عويض حمود وتحدثت وقمت بالاحتفاء بالدكتور /عطية الضيوفي وتحدث عن رسالته وكذلك استضفت الدكتور يحي جبر ،والدكتور عبد الرحمن السميري والدكتور /محمد فريج الضرج بمناسبة أخذهم الدكتوراة وتحدث كل منهم عن رسالته وكانت مداخلات وحوارات كل ذلك في المنتدى بكلفة متواضعة

وأقام إخوان الدكتور عبدالله العطوي حفلا بمناسبة أخذه الدكتوراة وأثرنا في المجلس الفكرة ذاتها ،فتدافع الإخوان للتأييد وتم التبرع لها في تلك الجلسة من اللواء فلاح كريم بثلاثين ألف وبعده الأستاذ سويلم محمد ،وكلفني الحضور بتكوين الأعضاء وفي نفس الجلسة انتظم في اللجنة الأستاذ خالد جبر والأستاذ ضيف الله المضلعاني والأستاذ محمد عطاالله الرضمة والدكتور يحي جبر ثم حاولت أن يلتحق باللجنة شباب مثقف قادرون على الإنجاز فحادثت الشاعر مسلم فريج العطوي والمهندس محمد راشد وخضر زيد والأستاذ محمد خلف والأستاذ فهيد مسلم وخالد حمود ومجاهد محمد وإبراهيم الفندل وعقدنا الإجتماعات وأجمعوا على أن أكون رئيسا لها وتواصل معنا

الدكتور عويض من لندن ثم اشترك مع اللجنة ، وحملة عنوان:لجنة تكريم المتفوقين لقبيلة بني عطية واستجاب لها أبناء القبيلة مشايخا ووجهاء ومثقفين وأفراداً ولم نطلب مالا لكنهم تبرعوا بلا تنافس وكثر المال وجمعت المشايخ والمثقفين والوجهاء وسائر الشرائح والعشائر ولأول مرة نحصر عدد الدكاترة والمشايخ والقضاة والأطباء والمهندسين والمؤلفين والمبدعين ونصدرهم في كتاب وأقمنا حفلا حضرة أكثر من ألف واستمريت فيها مايقارب من عامين ثم استقلت منها ليقوم بالمهمة الشباب.

وللعبرة فإن عمل الخير يجد صداه عند المجتمع ويستجيب له الأكثرية إذا صلحت النية وهيأ الله له رجالا يعملون بتفاني مع معاناتهم وكان لغالبية اللجنة جهودهم التي أدعوا الله أن يكتب لهم بها الأجر وكان الإعجاب بالحفل كبير جدا بل عام لمجتمع القبيلة والقبائل المجاورة وتداعى إليّ الكثير من الشباب مستعدين لبذل الجهد ولكن هناك نفر لايتجاوز أصابع اليد غير راضين ،فمنهم من لا يعجبه النجاح للآخرين ولا للمجتمع ولا للوطن أصلح الله نياتهم ووقلوبهم ومنهم من يبث اللوم لأشياء ذاتية صغيرة يربأ الإنسان أن يجاريهم بها ولو تأملوا قول المتنبي:

وتعظم في عين الصغير الصغائر   وتصغر في عين العظيم العظائم

المركز الثقافي:

حين عزمت على الاستقرار في تبوك بعد مجلس الشورى أعددت منزلاً وكان هدفي فيه إعداد مجلس للمنتدى ومكتبة تحوي كتبي وأعان الله وحققته خلال أربع سنوات وقد أشار علي الدكتور عبد العزيز السبيل أن أكوّن مركزاً ثقافياً وأرفع طالباً الترخيص له والمركز مكون:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكتبة تضم حصيلة جمع الكتب من أيام الدراسة في المعهد العلمي والجامعة وما جمعته من الدول العربية أثناء أسفاري وما حصدته من المعارض للكتاب وقد جمعت فيها الدواوين الشعرية القديمة المحققة وجل دواوين المشاهير من العرب وأغلب دواوين الوطن وسائر كتب النقد وأمهات الكتب في التفسير والحديث والفقه والقانون والفكر الإسلامي وكتب المشاهير مثل طه حسين والعقاد وشوقي وكتب عن مجلس الشورى وعن اللغة والمعاجم وكتب الفلسفة والمنطق والإدارة وبناء العقل والفكر ، وكتب الروايات وكتب النقد حولها.

وتضم أكثر من خمسين مخطوطاً للرسائل الجامعية للدكتوراه والماجستير وكذلك أمهات الكتب التاريخية وكتب الأدب القديمة وهي ولله الحمد يرتادها كثير من الأساتذة الذين يبحثون من طلاب الدراسات العليا وهي أكبر مكتبة فردية في منطقة تبوك.

٢-المنتدى الثقافي: وقد انتظم على مستوى الدعوة العامة منذ عام ١٤٢٦للهجرة تقام فيه سبتية بعمل منظم فندعو لها محاضراً ويلقي محاضرته لأكثر من نصف ساعة ثم يدور حول الحوار والمداخلات وموضوعاته متنوعة من الشريعة والفكر والأدب والطب والقضايا الاجتماعية ورواده متنوعون من المجتمع فيغلب عليه أعضاء تدريس وطلبة علم وصحفيون ورجال فكر ومبدعين ومهندسين. ومن تاريخ المنتدى ما سجله سجل الزيارة وقد سعدت بلقاء رجال فكر وعلم وإدارة من مختلف الدول العربية.

الشورى

تكونت علاقتي مع مجلس الشورى مع بحثي للدكتوراه عن أحمد إبراهيم الغزاوي الشاعر المكي الذي صحب مراحل الشورى الأولى في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٤٥هـ، فهو كاتب وسكرتير له، ثم عضو، ثم نائبا حتى مات عام ١٤٠١هـ، وقد قرأت عن تلك الحياة للغزاوي ولمجلس الشورى ولتكوين المملكة السعودية في الصحف بل ومراحل تكوين الصحف،وعرفت كثيرا من الشخصيات التي التحقت به ومنهم صالح شطا، وعبدالله خياط، وأحمد الشورى، وغيرهم الكثير.

وكان إعجابي به كبيرا فعدد الأعضاء تارة لا يتجاوز العشرة وتارة يزداد العدد، وهؤلاء صنعوا أنظمة الدولة كلها، وهذه الأنظمة ذات دقة وإتقان والدليل على ذلك أن المجلس الحديث حين نظر إليها مرة أخرى لم يعدل فيها إلا القليل وأعجب بها الأعضاء المعاصرون أيما أعجاب وكان العيب في التراخي والتهاون بتنفيذها.

انطفأت شعلة مجلس الشورى ردحا من الزمن مع بقاء عضويته للقدامى، فلم يزد عددهم ولم تتغير أسماؤهم، فلما أعلن الملك فهد بن عبد العزيز تحديثه في عام ١٤١٢هـ، طفحت الذاكرة له وتابعت أعماله وكتبت عنه في الصحف. لا ريب أن نفسي تهفو إليه ولكن الواقع في نظري بعيد، حتى جاءني اتصال من الجامعة يطلب مني صورة لحفيظة النفوس، وقد أعدت الأسباب إلى إحياء طلب أرضي مع أعضاء هيئة التدريس التي تعثرت، وكان هناك اتصال آخر من إمارة منطقة تبوك، وكلها لم يخطر في بالي الإعداد للمجلس. وعدنا من الإجازة الصيفية لعام ١٤٢١هـ، وكلفتني الجامعة برئاسة مجلس قسم الأدب، وانشغلت بالعمل فيه، وكنت محبا له لأنه عمل أكاديمي. جعلني على صلة بعمادة الكلية وبالجامعة. وبالأعضاء في قسم الأدب بل بمجلس الكلية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد إجازة الحج لعام ١٤٢١هـ، وكانت الساعة الحادية عشر ليلا وقد دلفت إلى غرفة النوم وداعبني وإذا بالهاتف يعلو صوته وإذا بالمتحدث يقول أنا فلان العقيل هل أنت مسعد بن عيد العطوي، وهل رقم البطاقة كذا فقلت نعم، وهل هو أنت رئيس قسم الأدب في كلية اللغة العربية بالرياض فقلت: نعم، فقال: سمو الأمير عبد العزيز فهد يريد مكالمتك، فقلت: أهلا وسهلا، فحادثني سموه وسلم وقال: إن الملك يرغب ترشيحك لمجلس الشورى، فهل توافق: فقلت على الرحب وأنا لكم من الشاكرين وليس في الحجرة عندي أحد، فلم أخبر به أحدا أبدا ومارست العمل لما يقارب الشهر أو الشهرين. وذات يوم نزلت لصلاة العصر كعادتي وإذا بأم عادل تقول: تعال أستمع للأعضاء الجدد لمجلس الشورى هل تعرف منهم أحد. فاستمعت وخفق القلب وكانت الأسماء قد سبق أكثرها، وأعلنوا اسمي ولم يحدث أي صوت أو لم يلفت انتباههم، فقلت لهم: لماذا لم تباركوا فطاروا فرحا وكأنهم لم يصدقوا بالاسم.

انهالت المهاتفات في تلك الليلة حتى أن الابن أحمد أخذ الهاتف الجوال يستقبل الاتصالات من أهالي تبوك والأصدقاء، والجامعة، وكانت ليلة مشهودة لم أعهد الهواتف مثل تلك الليلة والأيام التالية، وقد نزلت تهاني في الصحف من أبناء العمومة المدامية، من عبد الرحمن محمد الجويان مدير مكتب الجزيرة، وسليمان عيد المدمي، وسليم بن معتاد، وكذلك من عودة سالم رئيس مكتب جريدة الرياض، وابن الخال فهيد بن مسلم وغيرهم، والواقع أنني لم أكن محبا للتهاني في الصحف. ورفضت حفلات التكريم ماعدا أسرتي عملوا وليمة كبيرة.

كان التحاقي في مجلس الشورى محور تحول في حياتي، فقد تغيرت النظرة في الكلية فأكثر الإخوان الذين يدركون تهميشي وإقصائي وجدوها فرصة فقالوا كم من

وقف في وجهه وإقصائه فأرادوا له الخذلان ورفعه الله، ومنهم من قال أرادوا حرمانه، فأعطاه الله. وتجلى لهم اجتهادي في البحث وترقياتي المباشرة.

وكان معارفي في تبوك من سائر الشرائح الاجتماعية وقد تجلى لي سرورهم وغبطتهم باختياري في مجلس الشورى. حتى القبيلة كانت أكثر ابتهاجا بمن مثلهم في مجلس الشورى لأول مرة وحاولوا إقامة حفلات ولكني امتنعت، وقد أخذت استعد للمجلس فأول عمل عملته أكملت كتاب (الفكر في شعر الخليج العربي) فهو الذي شارف علي الانتهاء، ولما أنجزته أحسست بألم حول القلب وأخذ يشتد فذهبت لطوارئ مستشفى الملك خالد الجامعي، فكشف علي الدكتور وقال: ليست المعالم معالم أزمة قلبية بعد التخطيط وإنما تبين أنها ضغط من القولون وهذه عادة هذا القلب الحساس دائما يوهمني بأزمات وإذا بها أعراض جانبية حتى أيامي هذه، فأجهدت نفسي بمسيرة عشرين كيلا في اليوم ثم أكلت ثم واصلت السير ولما أحسست بمعالم انخفاض السكر تهاونت فكان أن سارعت ضربات القلب وكشفت وعملت قسطرة فتبين سلامة الشرايين ولله الحمد.

لم أغفل الفكر والأدب والتواصل مع الجامعات فإلى جانب التعاون عكفت على ثقافة المجلس المتنوعة، فحرصت على دراسة كل تقرير والقراءة حول موضوعه واتخذت ذلك منهجا. مما جعلني أنظر إلى مجلس الشورى نظرة أكاديمية كأني في جامعة.

من أوائل التحول الذي طرأ أن الابن عادل تخرج في كلية الحاسب الآلي من جامعة الملك سعود وظل أشهر لم يعثر على وظيفة. وكان متأثرا بالثراء من حولنا لينافس زملائه فلما بدأت العمل في المجلس قال: إن هذا البيت المستأجر لا يليق بمن هو في مجلس الشورى ويعلم الله أني قانع به مغتبط ومرتاح للجيران ومحب لهم. ولكني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أردت أن يعرف الواقع وينشغل فقلت له أنا أملك أربعمائة ألف ريال هي التي دفعها المجلس لي وأحاول أن أحصل على مائتين فقط فإن وجدت فيلة تناسبك فقل، فأخذ يبحث فوجد فيلا عليها قرض والواقع أنها قريبة المنال وكنت أظن الأمر أبعد من ذلك، غير أن الحي لم يعجبني وكان يدعوني لرؤية كل فيلة حتى ذات يوم أخذني لفيلة في حي الروضة فيها أسرتها فطلبت صاحبتها ٩٥٠ الف ريال فرأيت أن الأمر ليس بالصعب حيث اتصلت بالصديق عبد العزيز أبو شعيل وقال أحضرها بشرط إعادتها بعد خمسة أشهر، وتم شراؤها في مكان متميز وعهدت إلى الصديق خضر حماد بالإشراف على تجهيزها فهي تحتاج إلى أشياء كثيرة وكانت عوضا لي عن الأرض التي حجبتها عني الأمانة العامة حتى يومنا هذا وأنا أعترف أنها منحة من الله العزيز الحكيم، وكذلك أعطتني درسا أن مشاركة الأبناء مفيدة وتمنحهم الثقة وتُعرّفهم بالواقع. وعملت على إصلاحها ورحلت إليها في عجلة من أمري وذات يوم ضاع العقال فذهبت بلا عقال للمجلس، فقال لي الدكتور الشيخ/ محمد عرفة وهو جاري قال: أين العقال أتركته أي تطوعا، قلت له لا لكنه ضاع. فاستغرب ونظر نظرة فيها ريبة فقلت له أني رحلت البارحة إلى الفيلة الجديدة فقال: والله أني لا ألومك مادام الأمر هكذا، التقيت مع الرئيس الشيخ محمد الجبير وأنا لم أعلم أنه الرئيس أو نائب الرئيس، وكان سلاما عابرا ثم التقيت باللواء يوسف السلوم وجلست معه ساعة حول المجلس والتوجيه للعمل. ثم التقيت بالدكتور/ مسلم الشامان الذي أعرفه وإن لم التق به وثبتت عرى الصداقة فكلانا من تبوك ويسمع كل منا بالآخر وكانت الصداقة الطيبة معه حتى مات وأذكر أنه أشعرني بمرضه وكان التقرير عن الحضور يقولون بعذر فداخلت مداخلة فيها قوة كيف لا يجد عناية ولا يدخل المستشفى التخصصي فاهتز المجلس ووصلوا إلى داره زرافات ووحدانا ولم يلبث أن مات رحمه الله وتوثقت عرى الصداقة مع الجار المجاور

اللواء الدكتور/ صالح الزهراني، فإنني على تواصل معه وأشكر له أن أخذني إلى مجلس الوزراء وقدمت أرضا على رئيس الديوان وقد حصلت عليها في تبوك.

وتواصلت مع الزملاء في المجلس والأكثر وسطية فمن بعضهم ما كان متعاليا فهذا اجتنبت لقاءه، ومنهم من كان منطويا فلم أستطع جذبه والأغلب الأعم لي تعارف معهم حتى الآن، ومن المواقف الطريفة، أنني داخلت مداخلة حول الزكاة وجمعها وتوزيعها. وقلت أن بيت الزكاة في الكويت قد نجح حتى أن الصحف في مصر أشادت به وبعض المؤسسات سارت على منهجه، وإذا بالشيخ محمد الجبير يستيقظ كأنه نائما في بداية المداخلة ولم يسمع إلا بيت المال في الكويت فأخذ يعارض المداخلة ويقول نحن نأخذ ولا نعطي نحن لنا كياننا، والواقع أني أعرف أن رده يحمل مغالطة إن لم تكن جائرة، فلم أرد عليه ولكن أنصفني المجلس فمنهم من كتب لي وريقات يقول إن مداخلتك صائبة فلا تأبى بهجومه وكثير منهم قابلني وقال والله إنك محق ولا عيب في الاستفادة من الآخيرين، ومنهم من قال أنه اطلع عليه وتمنى أن تقوم مؤسسة للزكاة، وكانت النتيجة أن كونت لجنة لدراسة تكوين هيئة للزكاة وكنت من الداعين والمؤيدين لها وصدر قرار المجلس حتى وافق عليها مجلس الوزراء ولكنها لم تفعل.

ومن المداخلات التي أعتز بها في المجلس أنني قمت بتوصية لإيجاد ورش عمل في كل مدرسة ولم تسقط إلا بسبب صوتين أثنين وأحتج لي معالي الدكتور/ مساعد العنقري، فقال: إن المدارس لا تحتمل ذلك لعدم وجود أماكن ولذلك صوت بالرفض.

التحقت باللجنة الشرعية مع كل من الدكتور/ عبد العزيز الربيعة وهو محاور منطقي يفند مداخلاته بمنهجية ومنهم معالي الشيخ حمود الفاير رئيس ديوان المظالم ورئيس اللجنة معالي الدكتور/ صالح سعود العلي، ومنهم الشيخ الدكتور/ عبد الله العجلان، ومنهم الدكتور/ محمد عرفة. وكنت أدرك أن الأمر يحتاج إلى قراءة، فبدأت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بقراءة كل موضوع ولكني اصطدمت بالتجاهل فقاتل الله التعالي حتى من العلماء إذا تلبست الدين أو القوة وكانت لي آراء لم يأخذوا بها فكانت هي حجج المعترضين على مشاريع الأنظمة في المجلس ومنهما مشروع التقسيط فقد كنت أميل مع رأي الجمهور الذي لا يمانع من التملك به وكنت أدعو إلى النظرة الاجتماعية حيث يكون سبيلا لغلبة المديونية على أفراد المجتمع وهذه نقطة أثارها المجلس وأعادوه إلى اللجنة وخرجت من اللجنة قبل دراسته للمرة الثانية، وأصررت على الخروج منها ولم أضعها في مختاراتي بل رفضت دعوة الدكتور صالح للعودة للجنة، وكذلك دعوة المنظمين للجان، وكتب لي الدكتور صالح العلي ورقة جميلة يثني على مداخلاتي إن وجدتها ضممتها هنا.

انتقلت إلى اللجنة الإعلامية مع الأقرب اختصاصا مع الدكتور عائض الردادي، وحمد القاضي، وبدر كريم، ومحمد آل زلفة، والدكتور/ علي الخضيري من الإعلاميين فارتحت في هذه اللجنة وناقشنا بموضوعية. ومن أهم ما تناولته اللجنة استدعاء وزير الإعلام، حول قضية رعاية الشباب التي استدعينا فيها وكيل الرئاسة عبد الله العذل فمما تناولناه البذل السخي على صيانة الملاعب التي تجاوزت عشرة ملايين ريال لكل منها في السنة بينما قل الصرف على إعداد اللاعبين وعلى الصرف في النشاط الثقافي وكان من نتيجتها مطالبة المجلس بفصل الثقافة عن رعاية الشباب فلم نلبث أن تكونت وزارة الثقافة والإعلام. وكنت ملحا على تخفيض الصيانة مع غيري من الزملاء وللعجب أن جاء التقرير التالي وقد تضاعف بند الصيانة للملاعب وفي ذلك تحد بالغ للمجلس.

الواقع أن المجلس جامعة شاملة للثقافة فالعضو المتابع للتقارير ولجلسات اللجان ويطلع على كل المعارف الواردة فإنه بذلك يكون ثقافة عالية، من المداخلات أنني رأيت أن تكون ثقافة الشباب ثقافة عربية وقد صدرت موسوعة القيم العربية وهي بعيدة

عن التكتلات المذهبية فأردت أن تتبناها رعاية الشباب في الداخل والخارج فقال لي عبد الله قاضي أمين مكة المكرمة سابقا، قال: إنها الكلمة الوحيدة التي استفدناها لهذا اليوم.

كنت ضد تكوين اللجان الانتقائي في المجالس لموضوعات خاصة وكانوا ينتقون بعض وكلاء الوزارات ونوابهم الذين عليهم مآخذ وأثروا، فداخلت مداخلة أغضبت بعضهم وكنت متعمدا بعضهم فقلت لماذا هذه الانتقاءات التي تكون اللجان من أولئك الوكلاء الذين أصابهم الثراء من جراء الوظائف على الأقل يكون هناك تطعيم. إن فاقد الشيء لا يعطيه للآخرين.

من ميزات المجلس أنك تقول بشفافية ولست أرى أن المداخلة غير مؤثرة ولكنه يلقيها وتبرأ ذمته على قدر قدرته ولا أنسى أول لقاء جانبي مع الشيخ محمد بن جبير رئيس المجلس في ذلك الوقت، وكان اللقاء في قصر معالي الدكتور/ صالح سعود العلي فقد أشار ابن جبير إلى أنه من الخطأ تصنيف الأعضاء بحسب مداخلتهم حتى ولو أخطأ خطأ شرعيا، فهو إما مذهبه أو لم يدرك الحكم الشرعي، وهذا وعي من المجلس ورئيسه يحمدون عليه في زمن التصنيف.

إنني تواصلت مع أكثر الزملاء لا سيما في دعوات التكريم التي يقومون بها فقد أقمت دعوتين في منزلي إحداهما بحضور رئيس المجلس صالح الحميد وقد جمعت أكثر أهل المجلس. إن مداخلاتي الكثيرة الصائبة والخاطئة هي التي عرفت عليَّ الزملاء وجعلتني في الذاكرة وكذلك من يداخل منهم فهم الأقرب للذاكرة ومنها:

مداخلة على تقرير لجنة الشؤون الإسلامية وحقوق الإنسان

(جباية الزكاة على العقارات من قبل ولي الأمر)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

((ملكية الأراضي)) الشاسعة هل يقرها الإسلام من ناحية وهل يكون فيها صلاح ومصلحة عامة، وهل فيها اعتداء على حق الأفراد والجماعة أقول: الإسلام أقرّ مبدأ الملكية الفردية لمصادر الإنتاج في حدود ألا تكون الملكية ضارة بالمجتمع مبددة لآماله في تحقيق التكافل الاجتماعي.

ونحن في حاجة إلى فتوى شرعية في كيفية توزيع الأراضي تتناسب مع العصر، وفي حال الأراضي التي تحاصر المدن ويملكها فرد أو تمتد على السواحل وتقف عثرة في وجه التنمية والمشاريع الفردية وتثقل المشاريع العامة بنزع ملكيتها. أمور كثيرة يجب إعطاء ولي الأمر الرأي الصائب فيها الذي يقوم على الشورى في مثل هذه القضايا المعاصرة.

كان الإقطاع زراعي وله شروط في التشريع الفقهي، ولم يذكر توزيع الأراضي البور من أجل السكن إلا بقدر المسكن، أما توزيعها على شكل إقطاع ليقوم صاحبها بتوزيعها علي شكل أراضي سكنية فهي قضية معاصرة تحتاج إلى فقه معاصر.

قال الحنابلة إن المحتجر إذا طلب إمهاله مدة ليقوم بالإحياء ولم يبد عذرا مقبولا لتأخيره في إحياء الأرض التي حجرها، فإنه لا يعطي مهلة، ويرفض طلبه وإن لم ينذره السلطان ومضى عليها ثلاث سنوات فلغيره أن يعمرها. وقصة بلال مع عمر فقد أعترض عمر على إقطاع بلال لأنه لم يعمرها فقال: إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحيزها عن الناس، وإنما أقطعك لتعمر، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي) وأظن هذا ينطبق على توسع مدننا المعاصرة والاقطاعات التي حاصرتها.

قال صاحب الخراج (إن التحجير لا يجعل الأراضي ملكا لمن حجرها حتى يحيها)

قول الرسول ﷺ (من أحيا أرضا ميتة فهي له وليس لمتحجر حق أكثر من ثلاث سنوات)

للحاكم نزع الملكية الخاصة إذا أضرت بمصالح الشعب أو تعديلها.

عمر بن الخطاب رفض توزيع الأراضي المفتوحة على الفاتحين الذين بذلوا جهدا وجهادا، فقال: فكيف بمن يأتي من المسلمين، فيجدون الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت في حوزة الوارثين.

وفي رد آخر إذا قسمت أرض الشام والعراق والحجاز فماذا يكون للذرية والأرامل وترك الأرض تستثمر عن طريق الخراج لتدر أموالاً على الدولة للجهاد وغيره.

قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ (من كان معه فضل مال زاد، فليعد به على من لا زاد له، ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ثم أخذ يعدد من أصناف الأموال حتى ظننا أنه ليس لنا أموالنا إلا ما يكفينا).

إذن فهذه الإقطاعات التي تحاصر المدن وتمتد في صحارى طويلة وعلى سواحل كثيرة ليست بالحق الشرعي، لأن أهلها أغنياء وهناك فقراء، ولأنهم لم يستثمروها في خلال سنوات ثلاث.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلن رأيه ولكنه لم يباشر العمل به حتى جمع كبار الصحابة ورأى موافقتهم على ذلك.

إن استشارات عمر بن الخطاب في كيفيه استخدام الأراضي الخصبة في البلاد المفتوحة أوحى إلى العلماء (بأن للجماعة بواسطة أهل الشورى أن تنظم طريقة الانتفاع بالمال).

لكل فرد حق الانتفاع بما في يده من مال الله في الحدود المقننة لتوزيع الثروات، وعليه أن يؤدي ما للغير من حقوق في المال الذي أودعه الله إياه إما بالزكاة أو رسوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إيجار أو غيرها، ومن هنا فإن من الأصوب فرض الزكاة على العقارات التي لم تستثمر في خلال ثلاث سنوات أو رسوم لقاء انتقالها من شخص إلى شخص.

أطلق العلماء على الحدود للبلد اسم (الحريم) وهو المحتطب والمرعى، وأما اليوم فالأمر يختلف فالأكيد أن للبلد المعاصر محارم تماثل تلك المحارم فهل بحث فيها الفقهاء.

والحريم أو المحارم/ هي لأهل البلد وهي لعمومهم فلا يختص بها واحد دون آخر أو بعض دون بعض.

شروط حجر الأرض:

الشرط الأول/ ألّا يزيد المتحجر عليه من الأرض عن قدر كفايته، فإن خالف كان لغيرة أن يحيي ما زاد عن كفايته، وقيل لا يصح تحجيره أصلا.

الثاني/ القدرة على تهيئة الإمهال فلو تحجر ما يعجز عن إحيائه كان لغيره إحياء الزائد ومدة الإمهال/ مدة قصيرة عند العلماء ثلاث أيام أو عشرة.

والولاة وكلاء على المال وليسوا بملاك له ولذا قرر الإسلام أن ليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم، والرسول ﷺ شرع هذا الأمر بقولة: (إني والله لا أعطى أحدا ولا أمنع أحدا وإنما أنا قاسم حيث أمرت)

ومن هنا يجب توخي العدل في العقار وهو من المال وأن يكون له نظاما ولا يعلق بيد أفراد يمنحون هذا ويمنعون هذا لمجرد أهوائهم. فهم رتعوا ورتع من يليهم كما قيل لعمر لو رتعت لرتعوا.

وخلاصة كل ذلك إننا أحوج ما نحتاج إلى نظام عقاري يحمي المدن ويسهل امتلاك الأرض السكنية للفقير، وتوفير الأراضي حول المدن للأجيال المقبلة.

الجديد والطريف NEW & EXCLUSIVE

((ويجدر أن نشير إلى آراء بعض الفقهاء المعاصرين أن هذه الأراضي أصبحت من الأموال الظاهرة وليست الباطنة لوجود نظام العقار العيني للعقار)).

كنت أجهل التعامل مع الأسواق المالية ونقدها، فحرصت على استيعابها وقد اشتريت كتبا من معرض الكتاب في جامعة الملك سعود فقد كانت الجامعات هي التي تقوم بمعرض الكتاب، فسنة تقوم به جامعة الملك سعود وسنة أخرى تقوم به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ودرست الأسواق المالية لأن المجلس مكلف بوضع نظام الأسواق المالية. وداخلت مرات متعددة حول نظامه فقال الدكتور عبد العزيز الثنيان عرفت أنك رجل أعمال: فقلت له والله إني لم أعرفها إلا من خلال معرض الكتاب ومن مقترحاتي أنها تسمى الأسواق المالية بدل من السوق المالي.

ومن ثراء الثقافة الجلسات الجانية في المجلس بعد صلاة الظهر في البوفيه فهي ملتقى ثقافي متنوع، وكذلك دعوات المجلس، ففيها لقاءات وحوارات متنوعة إنني لم أفتقد الجو الجامعي حين كنت في المجلس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع آل السديري:

سكنت في الخالدية وأنا طفل صغير وأسمع أن الذي خططها ووزعها هو الأمير خالد بن أحمد السديري الذي تولى إمارة تبوك ما بين عامي ١٣٦٩/١٣٧٤هـ ولكني واكبت إمارة مساعد بن أحمد السديري ثم تولى الإمارة بالنيابة سليمان تركي السديري ولكنه مكث طويلا فأضحى في نظر أهل المنطقة أميرا. وهو رجل أمن رجل حاول أن يستقطب بعض المشايخ والأعيان وهو متابع دقيق لكن لم يكن له صوت في المشاريع وكان متواصلا معي حين تسلمت إدارة معهد تبوك العلمي، فكان يحضر حفلا سنويا ويرعاه وأهم موقف معه حدث حين زار مدير الجامعة الدكتور عبد الله التركي تبوك لافتتاح مبنى المعهد وقد قدر لي ذلك وفتح لي صدره ولكني شاب لم أعرف من أين تؤكل الكتف، وظل أميرا لها حتى جاء الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز عام ١٤٠٠هـ فغادر إلى الرياض، وكان له أثره في منطقة تبوك الكثير منه إيجابي، وعليه المآخذ حول التنمية والمشاريع وتهميش أبناء المنطقة وكنت عقدت العزم على إصدار كتاب عن تبوك، وصديقي وقريبي العميد سعيد بن إبراهيم العطوي رجل كريم متواصل مع ذوي الجاه يحب الشفاعة كثيرا ويراها فلسفة خير وقد طلب مني زيارة معالي الأستاذ/ تركي بن خالد السديري وهو آنذاك وزير دولة وقد جلست معه في أمسيته السبتية ثم إن العميد سعيد دعاه لتكريمه في منزله فقال العميد سعيد أن الدكتور/ مسعد ألف كتابا عن تبوك وكتب عن والدك السديري فتناول الحديث بعض الجلساء وقالوا أن النجديين يفدون عليه ويوظفهم ويكرمهم ويوزع عليهم الأراضي، فقلت له على مسمع الجميع أني لم أكتب عن والدك لذلك، وإنما كتبت عنه لأنه وزع الأراضي على أهل تبوك وتعاطف معهم، فقال الأستاذ تركي آمل أن تصلني نسخة من الكتاب إذا تم طبعه فلم نلبث إلا أياما وقد وصل كتاب تبوك قديما وحديثا عام ١٤١٢هـ فأخذته لأهدي لمعالي الوزير

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

تركي فمباشرة قرأ ما كتبت عن والده والأمير عبد المجيد والأمير ممدوح، فقال أين الكتابة عن عمي مساعد فارتبكت لأني لم أرد أن اشرح موقفي المنحاز، فقال صحيح أن عمي له خلاف وقد كانت العلاقة أكثر مع آل السديري حين تعرفت على الدكتور/ زياد السديري في مجلس الشورى ثم في الرحلات السنوية للمشاة تحت استضافته وقد تحدثت عن الموضوع في مجال آخر.

خلجات اليوم الأخير في مجلس الشورى:

مجلس الشورى ملتقى الوجهاء والنبلاءِ

مجلس الشورى روضة المفكرين العظماءِ

مجلس الشورى مزرعة الصداقة والأصدقاءِ

تمر أيام المجلس ببهجتها مرور الصفاءِ

****

وتثبت ثمرات الأفكار محفورة بالأذهانِ

ورجال المجد لا يقدح في قدرهم تغير الأحوالِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يسيء إليهم الانتقال من حال إلى حالِ

وهم أعلام وهم النجوم في كل مجالِ

أيها البدور سيروا في سلام دائم وأمانِ

أهدى لكم مني سلاما مضوعا بجناني

****

في هذا اليوم كل يلوب وهو حيرانِ

لفرقة عظيم الشأن يدق القلب وهو ذهلانِ

يرقب الأنباء بماذا تفصح الأزمانِ

والآمال مخبوؤة تسجنها الأبدانِ

لم يستطع أن يكشف عن سرها اللسانِ

****

والنفس راغبة بالتجديد الثاني

حــتى لا تكــون عرضــة للهجــوم والأحــزانِ

والســـابقون يزهـــون بالعقـــل والإتقـــان

منهم يكشفون ما غاب إدراكه على الإنسانِ

فحــق لهــم أن يســتزيدوا المكــث في الميــدانِ

لكــن مــا صــفا الــدهر للغــابر مــن الأعيــانِ

فـــلا ريـــب أن تنهـــال تلـــك الأمـــانِي

والصـــواب أن الأمـــاني خدعـــة الشـــيطانِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرحلات

الرحالات الخارجية مصدر من مصادر الثقافة، فأنت تلتقي بدولة جديدة فعليك أن تقرأ عنها معلومات كثيفة ثم تدرس العلاقات بين المملكة وبينها، ثم تدرك العلاقات البرلمانية ثم أنت مع زملاء كل أيام الرحلة، ومن عادة تلك اللقاءات أنك تجلس فترة مع مجموعة على طاولة الأكل وبمنتصف الأكل تنتقل مع مجموعة أخرى والحديث الجانبي إلى جانب الحديث الرسمي، كل ذاك زيادة في الثقافة، وتلك المشاهدات طول الرحلة وقد تحقق ذلك في الرحلة الرسمية التي نظمها مجلس الشورى لأعضائه لبعض الدول الأوربية، وقد كنت ضمن المدعوين، حيث انتقلنا إلى مطار هيثرو في بريطانيا وكان يخدمنا بعض الشباب الممارسين في العمل ونزلنا بفندق بجانب حديقة (الهايد بارك) المشهورة، وانتقلنا إلى البرلمان وحضرنا جلسة يحضرها رئيس وزراء بريطانيا والأسئلة تنهال عليه كالصواعق وهو يجيب، والمجلس محتفظ بالأسلوب القديم يتدلى للمتحدث لاقط الصوت والقاعة قبة خضراء مفتوحة لسماع الحضور/ ثم انتقلنا إلى مجلس اللوردات وتحدثنا مع أمينه وتناولنا الغذاء مع أعضاء مجلس الشيوخ، وتجولنا أمام قصر (برمنجهام)، ورأينا الاستقبال اليومي وهو متشابه مع الدنمارك، ويبدو أن الأمر الآن يهدف إلى إعطاء العواصم لونا تراثيا سياحيا وأخذنا نجوب العاصمة في (القطار الأرضي/under ground) وهو سهل ومواعيده ملتزمة وسريعة، وفي كل ليلة نجوب شوارع لندن التي تنتهي إلى حديقة (الهايد بارك) ومما لفت انتباهي ذلك الإنتظام حين الصعود إلى القطار، ونظافته وزرنا المتاحف وأشهرها متحف (الشمع)، وتوجد خرائط في كل محطة، وكذلك كل قطار، وأنت ترى الناس حين الانتظار كل منهم يفتح كتابا وأكثرها من كتب الجيب الصغيرة أو يتصفح جريدة وكل في شغله الذاتي، وكذلك هم يقرؤون أثناء مسير القطار.

أما الأسواق والأماكن المنظمة التي زرعتها الروايات عن لندن، فإنني لما زرتها وجدت أنها متقاربة مع أسواق الرياض بل أسواق الرياض أكثر حداثة وارخص أسعارا، وربما ذلك نابع عن تطور المملكة الحديث. أما شارع العرب فهو شارع يمثل الحياة العربية الممتزجة غير أنه يمثل التجمع العربي العراقي والخليجي والمغربي والمصري فلا غربة فيه حتى بالأكل والحديث والملبس.

ومما لفت انتباهي أثناء إطلالي على الطرق والحديقة صباحا هو انطلاقة الناس إلى أعمالهم بنشاط وحيوية حتى أنني أعجب حين أرى اندفاع الشيوخ والشباب والفتيات بعجلة وسرعة لا يلوون على شيء فهم مهطعون لداعي العمل. هذا شأننا قبل الطفرة ولكن بعد الطفرة دب الخمول والتهاون في الأمة وذلك لفقدان تربية العمل، وممارسته منذ الطفولة.

أما المتحف فقضينا فيه يوما كاملا يحكى صور العالم، ويحكي التاريخ ومما استوقفني وأرعبني وأذهلني ما رأيت من وسائل التعذيب البشري أنها تحكي أمم الهمجية وجبروت الإنسان متلبسا بالشيطان وتلبس الملك بالطغيان.

واستقبلنا سمو الأمير تركي الفيصل سفير السعودية في بريطانيا، وعمل لنا حفلة حضرها كثير من السفراء العرب والجاليات ومن أعضاء البرلمان ومن الجاليات الإسلامية والعربية. وكان لقاء حافلا بالثقافة وكان يخدمني المترجم المتواجد دائما إلى جانب أن أكثرهم يتحدث العربية، والتقيت بالمذيعة الشهيرة (هدى الرشيد) التي كان صوتها يصدح في إذاعة لندن قبل الفضائيات والتقيت بأحد موظفي سمو الأمير وإذا به عودة المسعودي. وكان حريصا على لقائي كما أني حرصت على لقائه والحديث معه.

لم أجد لندن كما رسمت مخيلتها السنون القديمة التي جعلتها عاصمة الثلوج وعاصمة الضباب بل إن المطر قليل مع وصولنا لها في أيام الربيع، وكان مما لفت الانتباه

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث حول مكانة المرأة في السعودية، فهم يرون أن المرأة مضطهدة لا حول لها ولا قوة ولا وظيفة، وقد تحدثت عنها، فقلت: أنها محفوفة بالرعاية منذ الطفولة فالأب مسؤول عنها وعن تعليمها من الابتدائي حتى الجامعة فهو يصرف عليها حتى ولو لم تتزوج، والزوج يكفل لها النفقة والعلاج، والزوج يصرف عليها أكثر من ثمانين في المائة من راتبه، وهي سيدة بيتها، وعندنا مدارس البنات كل المدرسات فيها من النساء بمرتب يماثل راتب المعلم وكذلك طبيبات، وما أكثر الدكتورات وأعضاء هيئة التدريس، فكان الأمر موضع اغتراب وتناولوا الأحاديث الجانبية تلك المسألة وتمنى بعضهم زيارة السعودية، وأذكر في الدنمارك إن إحدى البرلمانيات طلبتني شخصيا أن أتحدث عما ذكرته في محادثات جانبية، إنني في تلك الرحلة في صحبة أحد الزملاء وكان نائبا في وزارة المالية، وكان متعاليا ظهرت منه حركات عجيبة سيما لعدم مجاراتي له بالانجليزية ولبعض السلوكيات وكان منهم الدكتور/ صالح المالك وكان وكيلا لوزارة البلدية ولي معرفة معه سابقة فقد التقيت به وهو أمين لجامعة الإمام فترة قصيرة، والتقيت به في مؤتمر الطفل السعودي في وزارة التخطيط، وهو يملك ثقافة، ويعتز بذاته ولكنه أخف تعاليا من زميله غير أني جعلتهما في زمرة واحدة ومعنا الدكتور/ عبد الله بخاري وهو أفضل مني تعاملا فهو يغض الطرف عن الحركات النزغة وأدرك تألمي وطلب مني الصبر، كنت أنا الوحيد الذي أصحب شباب الرحلة والواقع أنني رأيت منهم احتراما وتقديرا وتعريفا بكل ما رأيت في لندن، فتلك الأيام عرفتني على كثير من أحوال الغرب ومدينة لندن لم نترك معلما بارزا إلا قمنا بزيارته، وكنت أجول أول الليل في الشوارع المطلة على حديقة (الهايد بارك).

مكثت أسبوعا ثم انتقلنا إلى الدنمارك ونزلنا في فندق ضخم في (كوبنهاجن) ولما وصلت أردت الصلاة في حجرتي جمعا وقصرا لصلاتي المغرب والعشاء، فلم أستطع

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

أن استبين عن القبلة فاجتهدت ووفقني الله لها. من خلال التحري وأخذنا نجول في المدينة وإذا بها خلجان من مياه المحيط إلى جانب الخليج الصغير طريق ليس بالفسيح وإنما يحتوي على طريق السيارة، وللمشاة، وللدرجات، وذات النمط للشرطة الدنماركية حول قصر الملكة. ورأيت أن معالم المباني يقترب كثيرا من معالم القصور القديمة التركية للخلفاء العثمانيين. وقمنا بجولة داخل المدينة والأسواق ثم دلفنا إلى مقابلة وزير الخارجية وكانت أحداث ١١سبتمبر طاغية وأعلن لنا أن رؤيتهم هي رؤية أمريكا، ولكننا أدركنا من خلال حديثه أن المصلحة الضرورية هي التي تجمعهم، وأدركنا من خلال اللقاءات في بريطانيا وفي الدنمارك غيرتهم من التحالف بين المملكة وأمريكا. ونحن نقول لهم أنتم أيضا لم تختلف آراؤكم عن توجهات أمريكا. وصادف في ذلك اليوم التفجيرات التي حدثت في قطارات اسبانيا، وغضب الغرب كله على المسلمين وطلب منا الوقوف حدادا مع جمع يشمل كل موظفي الوزارة ومن يمر بالطرق فوقفنا معهم مجاملة، ولا شك أن الحدث آلمنا أكثر، لأننا لا نريد قتل الأبرياء المستأمنين ولأننا ندرك عواقبه على الإسلام والمسلمين. التعالي ظهر في تلك الفترة فكانت دعوة السفير طلعت الغزاوي للوفد كاملا في بيته ولكن أخفوا عني، فغضبت غضبا شديدا واحتججت على السفير وقلت لنرفع الأمر إلى وزير الخارجية، فاعتذر فقال والله أن الدعوة عامة وسألت عنك فقال أحدهم أنه لا يحب السهر، وقال أحدهم يعتذر فقال أنتم يا جامعة الإمام تحتجون كثيراً. وكانت دعوة لجنة الخارجية في البرلمان لعشاء حافل بالمرح والمزاح وكان الشراب بحسب الإرادة ورأيت منهم تقديرا لمداخلاتي حتى أن رئيسة اللجنة امرأة جميلة فارهة الطول، قالت أتمنى أن يتزين الوفد السعودي بامرأة، وسأعارض التحاق المملكة بالبرلمان العالمي إذا لم تكن فيه امرأة تقول ذلك مازحة وقلت لها أنتِ قوية في محادثتك، قالت والله إني لولا أن أخشى على أنوثتي لكنت أقوى، من محادثتنا معهم أدركنا أننا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعطينا صورة جيدة عن المملكة عامة، وأدركنا أنهم يريدون زيارة المملكة والتواصل، والواقع أن المملكة مظلومة بالدعاية عنها، ومظلومة إعلاميا فالإعلام الخارجي لا وجود له، إن المملكة أحوج ما تكون إلى طرائق إعلامية تكتشف القيم بأسلوب ليس دعائي ودعوة، وإنما أخبار وتعامل وحديث عن الواقع، ذلك كفيل بتوصيل الرسالة.

كانت أسواقهم صورة لحياتهم مع التزامهم بالثراء وصورة من المعالم الحياتية القديمة والحديثة، وفي أسواقهم أماكن لا تأتيها العربات. أضحت ممشى يومي لهم جنبا إلى جنب مع التمتع بالسوق وربما شراء الحاجيات، وترى أن هناك مواقف للسيارات وترى بجانبها أماكن لموقف الدراجات، وترى المرأة تقود دراجتها وفيها سلة في الأمام لمقعد الطفل وفي الخلف سلة أخرى لحمل حقيبتها وضرورياتها وما تريد من السوق. وقد رأيت بعض أعضاء البرلمان، وهم يوقفون دراجاتهم، ولما دار الحديث حولها ذكروا لنا أن بعضهم يمتلك سيارة ولكن خشية الزحمة وتوفير المحروقات يدعوهم لاستعمال الدراجات فرغم الحضارة والترف تجد البساطة والبعد عن الإسراف.

انتقلنا في رحلة من الدنمارك إلى السويد بجانب الشواطئ على طرق أنيقة وفسيحة، وهم يحرصون على المعالم الجمالية الثابتة. وكان الطريق الذي اتخذناه يؤدي إلى خليج بحري بين الدولتين فحملوا سيارتنا وسيارات غيرنا ولو شاء الراكب أن يمكث في سيارته فله الحق فما لبثنا إلا ونحن في السويد وتجولنا هناك لكنها جولة سريعة.

ومما علق بالذاكرة أني رأيت التلفاز مقصورا على برامج محدودة بعيدة عن عرض الجنس وابتذاله، وقد علق في الذاكرة برنامج يحكي واقعا لمعيشة الشباب ويصور سكنا مكونا من غرفة لكل فرد، تستأجره الفتاة لتعيش فيه، ويحكون حياة الفتيات وهن يعدن إلى غرفهن بعد العمل، في حالة انفراد وكيف تقذف بحقيبتها وتطلع على رسائلها، وتقف حيرانة، وتخرج مضطربة تجلس كئيبة بلا أسرة ولا أنيس فحمدت الله

وتذكرت الحياة الأسرية في بلادي وكيف أن الأم والأب يهتم ببناته بعد البلوغ فيعمل على توصيلها وتعد الأم الإفطار لبناتها وتودعهن بالدعاء وتتابع مسيرتهن إذا كن مع أخواتهن أو مع السائق وتستقبلهن والغذاء معد لهن والرعاية الأبوية تحفهن إنها الحياة الأسرية التي تتلاحم مع إنسانية الإنسان، ويتمناها العقل والضرورة البشرية، وتحض عليها الأديان، والمجتمعات البدائية التي لم تغيرها هيمنة الحياة المادية والشهوانية والذاتية فهي تقترب من الطبيعة البشرية الضرورية ولو أن التمحيص طرأ على الاتجاهين الحديث والبدائي ووجدت الوسطية لعاش الإنسان وسطية تعادل بين الضروريات والكماليات.

ومما لفت انتباهي مقابلة مع أفريقية كانت تقوم بالتنظيف، وتطور عملها وزاد مرتبها فقلت كيف وصلت هذه إلى هذه الدرجة مع أنه لم يمض سنتان على قدومها إلى الدنمارك وكان السؤال الذي طرحه المذيع عليها كيف وصلت إلى هذا المستوى فقالت: لم أقدم على عمل إلا وأخذ فيه دورة تدريبية لا تتجاوز أسبوعين أو أسبوع وليتنا نستخدم هذا التدريب العاجل بل ليت هناك مؤسسات تجارية تقوم به، وقد لفت انتباهي الاحتياطات الأمنية في لندن فتجد الكتل الصخرية محيطة بالمباني لا سيما فيما يتعلق بأمريكا، والشوارع كذلك تغفلها الكتل، إن الأمن كان على كف عفريت بعد أحداث (١١ سبتمبر).

فريق الأعضاء أخذ كل منهم يستعد للسفر لدولة فيها منتجع فاحدهم عاد إلى بريطانيا والآخر ذهب إلى سويسرا ومسعد مع فريق العمل يريد الذهاب إلى الرياض مجبرا لا خيار له. إن أكثرهم لم يعش الواقعية الاجتماعية بل هو نسى واقعه وواقع طفولته، وهو بمنأى عن معالجة الفساد في وطنه بل بعضهم ممارس للفساد ذكر لي الشباب المنظمون أننا سنضطر للإقامة ليلة في باريس وهي طريق الرحلة من (كوبنهاجن) إلى باريس إلى جدة إلى الرياض فسعدت بهذا الاقتراح لأنه يضيف لي

شبكة الألوكة
www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زيارة فرنسا وصلنا إلى باريس وانتقلنا ظهرا إلى الفندق في شارع (الشانزلزيه) وبعد أن أخذنا استراحة في الفندق خرجنا فسرنا على الأقدام في شارع (الشانزلزيه) حتى البوابة ثم اتجهنا إلى برج إيفل، ورأينا ضخامة الساحة وتنوعها وتنوع المقاهي، وأنواع البشر باختلاف اتجاهاتهم التي يغلب عليها التبذل في صناعة الهوى واجتلابه، وصعدنا إلى قمة البرج وأخذنا صورا وأطللنا على باريس شرقها وغربها وجنوبها وشمالها ثم عدنا إلى الفندق وأخذنا قسطا من الراحة والعشاء ثم أخذنا نجوب شارع (الشانزلزيه)، ونطيل النظر في المقاهي وجلساتها وعبق قهوتها، وتارة ننزل مع درجاتها التي تؤدي إلى القطار الأرضي، وتارة نجول في متاجرها الأنيقة الضخمة ويشيرون إلى أثرياء الدول من الحاكمين فيها ولا حرج في ذكر الأسماء من أسيا حتى من الدول الفقيرة فيشيرون إلى أمير أفريقي ودولته أفقر دول العالم. وفي باريس لا حرج على فاقد اللغة الفرنسية. فالعربي حيثما وليت وجهك فإنه أمامك مغربي أو جزائري والفنادق فيها مغربيات أو جزائريات يتحولن ما بين الفرنسية والعربية حسب الحاجة. ولفت انتباهنا فندق (نيك) الذي يحمل لوحة كبرى يراها المشاهد في الطريق السريع فهو متندر للعرب كل يتساءل عن هذه التسمية. والمطار كله من خرسانة مقسما إلى طرقات ضيقة ولست أدري هل ذلك لدواعي أمنية أم هو الإصلاح الجديد.

وصلنا إلى الرياض وقد تواصلت الأخبار إلى رئيس المجلس، وأعلن على الملأ أن العضو يجب أن يفصح عما يحدث له أو يراه مخالفا من الأعضاء الآخرين، وأشار إلى تفاوت الصرف في الفندق بين الأعضاء ذاتهم، ولكن أبت نفسي أن أبوح بأحداث ذاتية وأن أدخل السخرية وما تعرضت له في المجلس أو أرفعه إلى رئيس المجلس، فالأهم القضايا الكبرى لكن النظرة الإقليمية أو الفروق الطبقية أو التحيز بين البادية والحاضرة

يجب أن يحطمها المثقف في نفسه وأن يمتنع عن العمل بها حتى ولو استفزه شياطين الإنس والجن.

فأعرضت عنهم إعراضا رغم محاولاتهم الإشارات الإيجابية تعليقا على مداخلاتي، وكان صالح المالك الأكثر محاولة فقد أرسل الرسائل الصغيرة في المجلس بمناسبة أو غير مناسبة ولكني لم أرد عليه وأذكر أن ردي في إحدى المراسلات كان حاداً حينما رشحني لمحاضرة في تبوك عوضا عن عبد المحسن العكاس الذي ترشح وزيرا ورفض الذهاب، وقلت له كنت الأولى من قبل للترشح ولكن فاجأني بأن أرسل لي دعوة لوليمة عنده، فلم أحفل بها ولم أفكر حتى في زيارته أو الاعتذار. وقبل موعدها حضرنا في مناسبة عند الدكتور/ سليمان المزروع، فأقبل صالح المالك عليّ وسلم وقال: يا دكتور مسعد لن أعذرك بل أسعد بحضورك الحفل وكان مبتسما يداخله الاعتذار في مضامين حديثه، فمن باب التسامح الإسلامي والإنساني أن لا أرد من مدّ يديه أو اعتذر فقبلت دعوته ولم نلبث حتى انفض عقد المجلس بانتهاء الفترة الأولى. وعلمت بمرضه واتصلت به بأمريكا فلم يرد في حينه ولكنه أتصل بي شاكرا ومقدرا وقال والله إن معدنك طيب، وخلقك أطيب، ومات صالح المالك بعدها بأيام وهكذا الدنيا لا تساوي جناح بعوضة لمن يدرك، فالإنسان كما يقول أبو حامد الغزالي: أقل من القليل وأذل من الذليل، قالها في معرض حديثه عن التعالي وأوضح لماذا يكون ذلك. فليت كل متكبر يدرك ذاته وغنى الناس عنه بل إن المتعاليين أقل عطاء من غيرهم. أقول كم من متكبر ومتعال تغير وعاد إلى التذلل والخنوع بعد أن خشي تعاليه وتكبره أو داهمه الضعف أو حتى المرض فالإنسان خلق ضعيفا. فما أسعد الإنسان الذي يدرك هذه الخاصية لنفسه دائما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كنت في بداية سني المجلس قد أهديت كتابي (البنات في شعر الآباء) وقد لقي صدى جيدا فقال الدكتور/ صالح الزهراني أهديته لابنتي بمناسبة زواجها وطلب مني بعض الأعضاء عددا من النسخ، فاستجبت لهم وقال آخر أريد أن اشتري عشرة نسخ منه لقريباتي فقلت: أسعد بتقديمها لك وقد كتبت في المجلة بعض الأبحاث، واشتركت في لجنة خاصة تدرس العلاقة بين المجلس ومجالس المناطق، وكانت اللجنة مخلصة لكن رئيسها لم يكن مريدا لها النجاح فأجهضها.

وكانت مداخلاتي التي أعتز بها ومنها: حول سكة الحديد فقد أعلنوا تحويلها إلى الشمال الشرقي لمنطقة الجلاميد التي تحوي على المعادن فقلت: كيف تتركون السكة المؤسس لها من المدينة إلى تبوك ومن تبوك إلى الأردن ثم سوريا ثم تركيا وهي طريق الحاج ويمكن أن ترتبط بمصر بعد إنشاء الجسر على خليج الشيخ (حميد) فهل غلب المال على الاتجاه الاستراتيجي الديني؟. فحادثني الدكتور/ صالح المالك وقال عنصرية، فقلت له إذا لم يتحدث عضو مجلس الشورى عما يعرف عن الواقع حتى في منطقته فلماذا يوجد في المجلس ثم قلت له تعال نعدّ الأشياء العنصرية التي طرحت في المجلس لنرى الأكثر حظا. فضحك وأنصرف.

كان جاري المهندس محمود طيبة وكنت أقدر له حرصه الإسلامي ونزاهته وكان طرحه أكثر حماسة من كونه واقعي، وكنت وإياه تداخلنا حول هيئة الزكاة، فكان معارضا وكنت مؤيدا وكانت المداخلتان وراء بعضهما، فلفت الانتباه التعارض بين متجاورين في المجلس. وكنا نرفض مبدأ تحديد النسل وكان هو من المعارضين له، فلما وصلت إلى تبوك ذكر لي نائب الإمارة الأمير جلوي أنه سمع برأي المتشدد طيبة فقلت له: إن هذا الرجل أبعد ما يكون عن الفئوية، وأنه من النزاهة بمكان وذكرت مواقفه في الكهرباء وتأسيس مدرسة الأيتام في مكة، فكأنه لم يعرفه إلا من هذه المحادثة، فقاتل

الله نقلة الأخبار كم غيروا من حقائق عن البشر وفي تلك المقابلة مع الأمير جلوي بن عبد العزيز ذكرت له افتتاح فرع للجامعة في جازان وحائل وتمنيت عرض الأمر على المسؤولين وتجاوب معي وكان الحديث يدور حولها وإذا بأحد مشايخ القبيلة يحضر ويجلس واستمع للحوار حول الجامعة لكنه لم يعجبه فقطع الحديث وأخذ يبين مطالبه حول سباق الإبل فابتسم الأمير وحادثه معترضا على كثير مما ذكر وأشار إلى منحرفات، فانظر إلى المفارقات.

وقابلت سمو الأمير فهد وقال ما معناه ما هذا الصراع في المجلس ومعارضتهم وأشار إلى تحديد النسل، فقلت يا سمو الأمير ليس هناك صراع، وإنما اختلاف آراء فهناك من يرى تحديد النسل وهناك من يرى أن البلاد عندها سبعة ملايين من العمالة الخارجية فكيف يحدد النسل، ولكن الجميع لا يمانع من تنظيم النسل، وهذا يتأتى من الأفراد أنفسهم. وأشرت إلى أنني أجلس مع علماء من الشريعة ومنهم وكلاء جامعات ومنهم في مجلس كبار العلماء وكل منهم أمتنع عن الزواج خشية التربية وصعوبتها وكل منهم يحاول تنظيم النسل، فكان الأمير مؤيدا لهذه الفكرة بل تحدث عن ذاته بما يقترب من ذلك.

أقترب موعد نهاية الدورة وقد داعبتني الأحلام التي تنبئ بعدم التجديد والواقع: أنني مبتهج بوجودي في المجلس للمكانة وللفائدة معا وأتمنى التجديد ولكن ليس كل ما تتمنى تدركه إنها الأيام دول. وروضت نفسي على المغادرة، وأخذت كل ما يتعلق بي من المكتب. وصدرت الترشيحات الجديدة فإذا أنا من المغادرين وأكثرهم من المتحدثين كثيري الحديث ومن الصامتين كل الصمت، وتناولتني الألسن فالمجتمع لم يعهد التداول ونهاية الفترات وقال جار لي: (شاتوك) باللهجة النجدية، فقلت: نعم وكثير من الأخوة جاملني بمكالمات إرضائية، وبعضهم أنصفني وقال مداخلاتك تجاوزت الحد. وقال آخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنتم أيها الأدباء لم يكن من حظكم البقاء لأكثر من دورة ومنهم الدكتور/ عبد الله العسيلان، ومنهم الدكتور/ منصور الحازمي ومنهم د. عائض الردادي وغيرنا الكثير ومما أنصفني الدكتور/ عبد الرحمن البراك وزير الخدمة المدنية، فقال: لقد قلبت أسباب خروجك فلم أستطع أن أجد لها مبررا كان مما أضربي أني أخذت التقاعد مبكرا فكان مرتبه لا يكفي، وكان عزائي بالعودة إلى الجامعة وكان من زملائي مدير الجامعة والوكلاء فيها. وكان التعاقد موجودا متعارفا عليه فالجامعة أحوج ما تكون إلى أعضاء هيئة التدريس وكان عددهم تجاوز الثلاثين وكان الأمل كبيرا فبادرت إلى تقديم الطلب لمدير الجامعة، وإذا بوكيل الجامعة المسئول عن أعضاء هيئة التدريس ولم أعرفه من قبل يقول: نحن نتعاقد مع الذين لم يبلغوا الستين، قلت له أن النظام لم يحدد السن وهذه المادة أمامك قال هذا عُرف في الجامعة اتفقنا عليه، قلت: ولماذا تتعاقد الجامعة مع الدكتور/ فلان وهو أقل عمرا مني فاستقال ثم عاد فأخذ يلتوي في الأمر وقال أحيلها إلى المستشار فجئت المستشار، وهو يعد للدكتوراه فأورد الحجج السابقة وقلت له أنت مستشار من كلية الشريعة ثم تحمل أمانة الاستشارة فقال والله هذا توجيه من وكيل الجامعة فقلت: بسبب توجيه وكيل الجامعة يموت ضميرك وتتجاوز دينك: ومع ذلك كتب التوصية بعدم التعاقد معي وطلبوا اتخاذ الإجراءات من جديد للعودة لعضو هيئة التدريس وفي ذلك مخاطرة أولا أنهم سيعملون بطرق ملتوية لعدم العودة وثانيا ستأخذ وقتا مطولا وثالثا سيقل مرتبي بخصم معدل أربعة آلاف ريال، ومن هنا فإن الراتب لن يغطي مصاريفي.

وقد قابلت وزير التربية والتعليم الدكتور/ عبدالله العبيد وطلبت التعاقد بحسب المادة (٩٧) من نظام التعليم العالي فاستجاب لي وقلت له: أأعد للرحيل لتبوك فقال: نعم، فجزاه الله خيراً وتعاقدت مع كلية المعلمين بتبوك: إن الدكتور عبدالله العبيد أوسع

أفقا وعدلا وأمانة ومرعاة لمصلحة الوطن وأبناء الوطن من أولئك الذين لم يُقدروا عملي طوال عمري في الجامعة، ولم يعملوا بالمساواة مع زملائي المتعاقدين، ولم يبالوا بإنسانية الإنسان ولا بتلاحم الوطن وإرضاء أفراده. بل هؤلاء هم مصدر الغضب لكثير من المفكرين، فليت كل واحد يحمل أمانة الوطن ويزرع الحب له، ويحتوي كل من يقدر على احتوائه.

الرحلات الداخلية:

مجلس الشورى هو حلقة تعارف وتآلف بين المفكرين والمثقفين فجل الذين يلتحقون به لهم أهميتهم الثقافية والفكرية والعلمية والمالية والاجتماعية والإدارية حتى أولئك الذين لم ينالوا حظا من الثقافة فإنهم يحملون خبرة وحكمة كبيرتين لكن قلة الثقافة وعدم الممارسة الحوارية جعلهم يفتقدون الفاعلية، وهذه داء عم كثيراً من ذوي الخبرة والتجارب من المدنيين والعسكريين، والمختصين في جوانب عديدة. بينما تجد أمثالهم ممن عايشوا الثقافة واللقاءات كانوا نجوما لامعة في المجلس وفي الإعلام وفي المنتديات.

وفي ذات يوم همس لي اللواء المثقف الشاعر عبد القادر كمال بدعوة لرحلة على ظهور الجمال مكونة من أعضاء المجلس يستضيفها الدكتور/ زياد عبد الرحمن السديري نائب أمير الجوف سابقا، وهو محاور قدير ومثقف من الطراز الأول. ويحمل خلقا ودماثة أخلاق وصبرا على آراء مجموعة من مرتادي الرحلة. ورحبت بالفكرة فهي من هواياتي وهي لها علاقة بالبراري والصحراء، والربيع والشتاء وبناء بيت الشعر، وإشعال النار، والقهوة العربية، وحديث السمر الذي ينتقل من الذكريات والمشاهدات للحياة الحديثة ورسائله وتارة صوره وفي المنتدى الليلي لعب ومرح وكنت منهم، وتارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعلو الحديث معالم الفكر فيتناول القضايا الشرعية وأحكامها، ويخوض في الفكر والتاريخ والتفسير، وطرح موضوعات المقالات وغيرها.

إنني على توجس من أمري فليس لي معهم سابق خبرة وكنت الأضعف في المجموعة، فحاولت اللحاق بهم، وركبت المطايا معهم في أول رحلة لكني أوثر دائما المشي فأنا من المشاة، وأقدرنا على المشي الدكتور/ زياد السديري، وعبد الرحمن الشبيلي، ويزيد العوهلي، والشيخ حمود البدر وأنا أسير معهم دائما، والرحلة لها برنامجها اليوم فهي تبدأ من الصباح الباكر يشعل النار رجال كلهم نشاط وحيوية ويضعون عليها الحطب الجزل، والمياه تغلي استعدادا لتجهيز القهوة والشاي، والوضوء لصلاة الفجر ونصلي جماعة قلّ من يتأخر عنها مع إمامنا الدائم اللواء عبد القادر كمال، وهو المنسق للرحلة، ثم نجلس جلسة صباحية وأمامنا أنواع التمور، ويقف بالقهوة جمع من الشباب ثم يكون هناك الحليب، مع الخوض في الأحاديث والتعليقات اللطيفة ثم ننطلق للمسير المحدد فيه المضحى ونكون جماعات جماعة بنية مواصلة السير وجماعة أخرى بنية الركوب وقت التعب وقبل الإعياء. وهذه الجماعة الصغيرة لا تتجاوز الثلاثة أفراد في كل مجموعة يتناولون الحديث في كل ميدان، ونحن نقوم على التنويع فليس هناك التزام بمجموعة واحدة وغالبا يكون القاسم المشترك القدرات على السير.

نمضي ساعتين ونصف أو ثلاث ساعات ونجد أن الفرش مد مدّا وتارة الخيام إذا كنا في حاجة لها من أجل الظلال: أو خشية الهواء الشديد ويكون الغذاء مكونا من اللحوم المشوية والبيض، والخضار، بل هو متنوع من الفواكه والخضار والورقية، إنها نعمة من الله وتكون القهوة والشاي، إلى جانب وهج النار، إن الذين يقومون بها متمرسون على الإعداد ثم تكون العودة إلى الخيام وظلال العصر بين التلال، وأغلب ما تكون في كثبان حمراء جميلة المنظر، متنوعة العلو وتعلوها أشجار من الغضا، والأرطى حتى يأتي

المغرب ونصلي جمعا وقصرا ثم نعود لمجاذبة الأحاديث ولا نلبث كثيرا حتى ندعى إلى العشاء مما لذ وطاب ويتوسطه (المفطح) دائما ثم نعود إلى الجلسات والسمرات فمنا من يلعب (البالوت) ومنا من يستمع للطرائف والنكات من الأستاذ محمد الشريف الذي تميز بها فهو مؤلف في الإدارة والأدب، ومداخل متميز في مجلس الشورى، كان وكيلا لوزارة المالية، ثم هو الآن رئيس (هيئة مكافحة الفساد) برتبة وزير. وتارة يعلو صوت السياسة، ويثير الشغب فيه الدكتور/ محمد بن حمد القنيط الرجل المرح الفكاهي الاقتصادي سليط اللسان قوي البيان.

ومن المتحدثين فيها الدكتور/ بندر العماج الذي عاش متنقلا بين الشرقية ومكة المكرمة والرياض في وظائف متعددة، وهو متحدث مكاوي من الدرجة الأولى ولاعب بالوت (متحمس). ويتسلل بعضنا مبكرا إلى النوم في خيام نتوزع فيها غير أني أوثر النوم خارجها ومن ينام خارجها الدكتور/ زياد، واللواء/ عبد القادر، ونقترب أنا والدكتور/ فلاح السبيعي. وكنا في ليلة هادئة ولكن فيها موجات متتابعة من السحب حتى إذا انقضى السمر واتخذ كل منا وضع الامتداد في ثنايا الفرش الوثيرة، فإذا بزخات مطر، فلجأنا من الخارج إلى الداخل وإذا بالمطر يتساقط غزيرا حتى إذا ذهبت ريح عاصف فاقتلعت الخيام ورفعت بيت الشعر عاليا وتساقطت الأعمدة بالقرب من رؤوس الرجال، بل طارت الأعمدة إلى أعلى، وقام الرجال الأقوياء من الإخوان الذين معنا وقبضوا على أطراف البيت وحاولوا تثبيت الأعمدة بأيديهم القوية وارتجف المجتمع وابتلت الأغطية وسلم الله، وتجاوزتنا العاصفة وقام الرجال بإيقاد النار وإشعالها وتجمدنا تحت فرشنا. وتحملنا بللها ودفئت أجسامنا، وكانت ليلة مشهودة قلت فيها:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(خواطر شعورية لا شعرية)

في رحلة الهجانة لعام ١٤٢٣هـ

الغـــاط مهـــد النـــور والأقحـــوان

وأزهـــار الخزامـــى تمـــلا الـــرياض

وتعلـــو الـــتلال وتكســـو الســـفوح

وتمتـــد الأشـــجار فـــوق الكثبـــان ســـامقاتْ

والإبـــل تعانقهـــا واقفـــاتْ

والأصـــيل يزهـــو بخيوطـــه الصـــفراواتْ

***

تـــلال خضـــر تعلوهـــا تـــلال خضـــرُ

تبـــتهج الـــنفس فيهـــا وتزهـــرُ

وعـــــذب الحـــــديث نـــــدىٌ ينهمـــــرُ

مـــــن صـــــحبة كلهـــــم بالخـــــير مُشـــــتَهرُ

***

وزياد الســـــديري يحـــــدو لهـــــم بكـــــل بشـــــرِ

قصـــــص الأمجـــــاد طيبـــــة الـــــذكرِ

لا يزهـــــو بكرمـــــه في كـــــل مضـــــمارِ

إنمـــــا يتـــــدفق الخـــــير مـــــن حيـــــث لا يـــــدري

ورجـال الشـورى تقـدح عقـولهم ببـوارق الفـن والفكـر

***

في إيـــــوان ربيعـــــي والغـــــيم فيهـــــا منتشـــــرُ

والركائـــــب مزركشـــــة الأرحـــــال تنتظـــــرُ

والموائـــــد متعـــــددة بالأنـــــواع تزدهـــــرُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكنت آمل ذكر الأسماء بالخير تنتشرُ

لكن مقدرة الشاعر ضعيفة لا تنفجرُ

***

في ليلة شاتية تصدقُ

ينبي بها الغرب والشرقُ

يتتالى فيها الغيم طبق من فوقه طبقُ

والسحب السود تتوالى علينا تنطبقُ

وانشقت كالجداول فيها الماء يندفقُ

واتحفنا البرق يختفي ثم يأتلقُ

وزمجر الرعد منه القلوب تنخفقُ

وجال البرق متطاولاً تعشى من لمعة الساطع الحدقُ

وأخـــــذت الـــــريح العاتيـــــة تصـــــطفق

***

فأوشـــــك القـــوم أن يأخـــــذهم الريـــــبُ

حـــين جـــاءت العاصـــفة الهوجـــاء تضـــطربُ

فانتزعـــت الأشـــلاء وطـــارت النمـــارق الرحـــبُ

وولج العاصـــف النمـــرود في الســـرادق ينتهـــبُ

وطفـــح الـــبلاء حـــين شـــرعت النـــار تلتهـــبُ

وأستقر التيـار المجنـون تعلـو منـه الجوانـب والطنـبُ

وشـرعت الأعمـدة تعلـو الأسـتار تعانقهـا السـحبُ

فشـــــمر زياد والصـــــحب تُنتـــــدبُ

فطـــوراً تعلـــو الخيـــام وطـــورا تنجـــذبُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يركـــــزون الأعمـــــدة علهـــــا تنتصـــــبُ

لكـــن مـــا يحملـــه الرجـــال ثاو لا ينتصـــبُ

***

فســلم الله في تلــك الليلــة أهــل الشــورى والأدبِ

وأضــحت ذكــرى رائعــة بالقصــص العــذبِ

أولئـــــك أقـــــراني لا يفتخـــــرون بالرتـــــبِ

مـــع اليقـــين أن كلهـــم مـــن النخـــبِ

وزهـــت رياض الغـــاط بالصـــيب السَـــكْبِ

بـــلاد تجمـــع بـــين النَـــوْرِ والعشـــبِ

بـــلاد فيهـــا العلـــم والحلـــم لا ســـرعة الغضـــبِ

فأبنـــا إلى الـــرياض نحـــدو بالحـــبِ

ونحمـــــل حقائـــــب التمـــــر علـــــى النجـــــبِ

ونبـــــتهج بالبشـــــر في كـــــل مكـــــان وفي الحقـــــبِ

***

إن الرحلة تمثل مناطق المملكة فعميدها والقائم بها الدكتور/ زياد السديري. وشيخها حمود الفائز، ومنهم الدكتور/ سعيد الهاجري، والدكتور/ علي الخضيري، والدكتور/ بندر العيبان، وزير حقوق الإنسان، ومنهم الدكتور/ عبد الرحمن البراك وزير الخدمة المدنية. ومن رجال الرحلة والمنظمين لها ويكون انطلاقنا الدائم من قصره بل مستشارها. هو الدكتور/ عبد الرحمن الشبيلي. وتارة يأتي معنا حمود البدر، أمين عام مجلس الشورى، وتارة يأتي زهير السباعي وانتظم فيها الدكتور/ سهيل قاضي مدير جامعة أم القرى. وانتظم أيضا فيها محمد السعيدان، والشيخ عبد العزيز الربيعة ومن كبار الشخصيات في هذه الرحلة بل المتحدث وصاحب الطرائف الدكتور عبد العزيز النعيم، في إحدى السنوات كانت الرحلة حول الارطاوية في السهول الخضراء الممتدة، تحفها التلال من الكثبان وكنا في تل مشرف على السهول المنبسطة، فانطلقنا صباحا وفي العودة كنت في مجموعة، سعيد الهاجري الذي أخذ يتألم من رجله، ومنهم بندر العيبان وهو من أسرة مشهورة ومعنا آخر نسيته فلما أخذنا مسافة اشتد الألم على الدكتور/سعيد الهاجري واقترب المساء وكنا قد أضعنا الطريق الموصل واشتد الخلاف حول الجهة، فذهب الدكتور الهاجري إلى خيمة لرعاة الإبل فحمله شاب إلينا، فلما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رآنا ارتاب منا كيف هؤلاء يضيعون مع أنه يستطيع البطش بنا جميعا ولكنه اعتذر وقال لن أستطيع توصيلكم، فلما بان منه الرفض، قلت: هل تعرف هؤلاء، قال: لا، وهل قمت يا سعيد بالتعريف قال:لا، قلت: إنك أمام طعم كبير وحادثة تحدث بها، قال: كيف، قلت: إن هؤلاء أعضاء في مجلس الشورى ضاعوا عن مخيمهم فاستبشر الشاب فرضي بتوصيلنا مع التقدير.

وجلست مع بندر العيبان القرفصاء في حوض الونيت عند أربطة الأغنام فأخرج العيبان جواله ليصورني، فقلت له: لا مشكلة فأنا ابن البادية سأصورك وأخرجت الجوال، فقال: لا لا، فرجاني أن لا أصوره وفي تلك الليلة كاد يضيع الدكتور الشبيلي والشيخ حمود الفايز فلم يأتيا إلا بعد غروب الشمس.

وفي إحدى الليالي والخيام في منخفض شديد بين الكثبان وصلنا بواسطة القارمن حتى رأس التل وضعنا ومكثنا ساعة نسير يمنة ويسرة ولا نهتدي، وقد حدثت قبلي كثير من الطرائف والضياع، وقد كان السير محصورا على الإبل. ومن أشدها على بعض زملائنا إننا قمنا بزيارة لقب الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري في رأس شعيب (الغاط) ثم انطلقنا بالسير وبدلا من أن نصعد لنسير فوق القمة الممتدة التي لا عوج فيها ولا أمتا. أخذ جانبا يحف بالقمة ويطل على الوادي وتعرقلت المسيرة فننزل تارة لشعيب في الجبل ونصعد تارة أخرى ولا سيارات معنا أو تستطيع الوصول لنا، وعندنا مجموعة منهم لا قدرة لهم بل لم يعهدوا هذا المسير، وكنت أسير مع الدكتور زياد وأنا وإياه لم نشعر بالتعب والإرهاق. فتأخرت عنه والتقيت ببعضهم وإذا الأمر متأزم جدا عند بعضهم حتى خشي من الهلاك وأوصى بأن لا يترك في هذه الجبال بعد موته فلحقت بالسديري وقلت له حاول أن تحضر سيارة فالأمر متأزم. ولم نلبث وقتا طويلا

حتى جاءت سيارة ولم يصلوا إلى المضحى (الخيمة) للغذاء حتى إنطفاء وهج الغضب وتحول الأمر إلى مداعبات وتصوير للمشهد.

إنها رحلة ولدت الصداقة وكنت حريصا عليها أسافر من تبوك لأجلها فقيمة اللقاءات لا تقدر أبدا بأي ثمن ولا حتى وقت في المرة الأخيرة سافرت لها وضميري يؤنبني زوجتي أم عادل مريضة مرضا شديدا لكنه ليس بالخطير، ولكنها مضطربة ربما زاد من مرضها حالتها النفسية إثر وفاة أمها. رحمها الله وأنا أيضا أحسست بإجهاد بعد مسافات طويلة ولم ألتزم بالتقية من انخفاض السكر وواصلت الكشوف الطبية.

إنها سنوات انتظمت فيها عام ١٤٢٤هـ، حتى كتابة هذه السطور في عام ١٤٣٣هـ، ونحن مجموعة قليلة الذين التزموا بالمشي ومنهم زياد السديري، وعبد الرحمن الشبيلي والشيخ حمود البدر الذي لم يستطع السير هذه السنة عافاه الله.

إننا تعرفنا على مدينة الغاط بشعابها الجميلة، وقد رأينا الشلالات تتدفق في يوم ماطر، وكذلك رأينا مزارع النخيل في أوديتها في سهولها فهي تنافس الآن القصيم، بل الاحساء لعل الله يكتب لها الاستمرار والبقاء ويمدها بخزان الماء وتعرفنا على محمية زياد وفيها الغزلان والأرانب، ورأينا مطاردة الكلاب لها وكذلك الصقور التي تصطادها.

وقد تعرفنا على القرية السياحية التي ستدخل السياحة من باب واسع بفضل الله ثم جهد أهلها فلها جمعية خاصة تقوم بالإشراف عليها. ومن معالم الغاط مركز الأمير عبد الرحمن الثقافي، وهو على نمط البناء القديم بالحجر الأحمر وفيه مكتبة وقاعات للمحاضرات والندوات وفيه مسجد وحدائق. وقد حضرنا فيه ندوة عن السياحة، ومحاضرة للشيخ صالح الحميد رئيس مجلس الشورى سابقاً ورئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً، وندوة عن موسوعة الغاط المكونة من ستة مجلدات وندوة عن الفساد، وعن حقوق الإنسان، وكنت مداخلا دائما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرحلات في مدن المملكة:

كان اجتماع مدراء المعاهد العلمية برئاسة الشيخ عبد العزيز المسند قد أقترح أن يرأس مدير المعهد اللجان في أحد المعاهد حتى يستطيع أن يطَّلعَ ويطور مفاهيمه، وقد استجاب الشيخ عبد العزيز المسند مدير المعاهد العلمية وقد حرصت على زيارة المدن التي لم أزرها من قبل، فقد رأست لجنة في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة، وفي الرياض وفي نجران، وفي بيشة وحائل وفي القويعية والإحساء وكانت موردا ثقافيا وممارسة ذات تجربة. وقد تولدت عنها صداقات ومعارف إلى جانب تعرفي على كل مدينة، ومن أولها اللقاءات في ((بيشة)) فقد أكرمنا مديره الشيخ خالد في مزارعه ثم التقيت بمجلس مدير تعليم البنين في بيته وهو من أسرة آل الشيخ أسهر عنده الليالي، وكان عنده رجلا كبيراً متحدثاً وكنت أتداخل معه ومن طرائفه أنهم سافروا إلى مكة وانقطعت بهم السبل فلم يجدوا إلا حفنة من أرز فطبخوها بعد المغرب، ولما أنزلوها عن النار وإذا فوق الرز (شبث) وهو سام مطبوخ، فأعرضوا كلهم عنه خشية السم. ولكنه هو أكل منه، ثم تداعوا إلى القصعة فأكلوها فلم يحدث لهم شيئاً.

وقد عمل المدرسون دعوة لي في واد ((بيشة)) على مجرى العيون المتدفقة وكان منهم الزميل/ شبيلي القرني وقال فيها شعرا ولم ألتق به إلا في مجلس الشورى بعد ثلاثين سنة، وأذكر منهم إبراهيم الدوخي وإبراهيم الكليفيخ ومحمد إبراهيم العبيد والتويجري، والعمار في معهد إمام الدعوة، وقد كان لي موقف، فقد كان مدير المعهد، الشلهوب وكان رجلا فاضلا وقد كان يصاحبني في اللجنة إبراهيم الكليفيخ، وقد عثرنا على طالب يغش، فأراد الزميل أن يجعله يوقع على المحضر فاستفز الطالب وجاء إلي يريد أخذ الورقة من يدي وليس هناك من يردعه فنزلت إلى الإدارة لأطلب رجال الأمن، فتدخل الوكيل فرفضت فجاء الشلهوب وأصررت فقال لي أنت خواف قلت لست

أخاف على نفسي وإنما أخاف على الأوراق مادام أن المعهد لا يحمي اللجنة وبعد أن أسلم الأوراق فأنا بدون رجال أمن فأدركوا إصراري وقالوا ماذا تريد قلت أمرين: أولا إخراج هذا الطالب من المعهد الآن ولا أرى وجهه ثانيا أنتم مسئولون عني وعن أوراقي حتى أسلمها. فاستجابوا لذلك وقد استعدوا في الأيام الباقية. وما يحدث من خلل ظاهر في الامتحانات إنما هو نتيجة فقدان الحزم أما النادر لا حكم له، وفي الإحساء طردت مدرسا يملى على طالب طردته من القاعة. وفي رئاسة لجنة الامتحان في المعهد العلمي بالمدينة المنورة أشعرني الشيخ حميد الحازمي مدير المعهد أن طالبا ذا حالة نفسية، فلما وصلت المدينة واستقر بي المقام فإذا هو يطرق الباب، ويطلب المساعدة بإدخال الكتب وكلام كثير، ولولا إشعاري به لطلبت رجال الأمن. ولكن لاطفته ووعدته خيرا لم أصرح له بشيء، ولما كان يوم الامتحان أزعجني بكثرة متطلباته وصبرت وهكذا حتى جاء يوم فادخل كتبه ورفض الانصياع للمراقبين، فجئته وقلت له لن أوزع الأسئلة والطلاب يرون معك الكتاب فإذا أخرجته أتيت لك به فسلمني إياه ولم يطلبه. وجاءت مادة التعبير وقرأت كتابته، فأقول إني لا أستطيع كتابة مثل ذلك مع أني على مشارف الدكتوراه، ولن يستطيع المصححون كلهم أن يأتوا بمثل هذا التعبير الرائع. إنها العبقرية ولعل الله شفاه فقد نسيت حتى اسمه ومثله طالب في معهد تبوك فيصل القحطاني، يدعي أنه شاعر وأنه عبقري ويقول لازم أن تعامله الدولة معاملة العبقري الأفغاني الذي جاء يدرس في جامعة الملك فهد، وأعلن عنه على الملأ، وكان كثير الغياب والاعتصام في بيته احتجاجا حتى يمكث شهرا وكنت أرسل له مكافأته من المعهد لكنه غاب حتى عن الامتحان. وطالب آخر يغمى عليه وله أخ معه في المعهد، وأبوهما شيخ كبير لا حول له ولا قوة فكنت التمس له أعذار فهو كثير الغياب والتأخير ولكن أخاه كان ضمن مجموعة حطموا زجاج سيارة أحد الأساتذة، فأصدرت قرارا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بحرمانهم خمسة أيام مع الحسم. فالطالب اشتكى لخاله الذي طلب مني إبطال القرار، فبينت له أن الأمر عقاب طلابي لا يضر الطالب فتمادى وتكبر وتعالى: فلم أستجب له لإدخال الطالب بلا عقاب، وذهب إلى الإمارة، واشتكى للأمير عبد المجيد وأجبتهم بالواقع، وظل خال الطالب ثلاثة أشهر وهو يتابع حتى كان أحد الأيام جاءني شرطي في المعهد، وإذا بخطاب يطلب من الطالب التوقيع بعدم متابعة الموضوع لبطلانه، وأتيت بالطالب فقلت له لن أضرك ولن أقف في طريقك، ولكن اجتهد ومع كل ذلك كان يرفع الشكوى تلو الشكوى.

استمريت في الإدارة وتحول الأمر من إرادة للنجاح إلى رغبة تربوية لصالح الطلاب. مع أن الإدارة جمعت بين الإدارة والمدارة بينما كانت في البداية إدارية مصحوبة باندفاع الشباب مع قلة التجربة، ومن الأيام التي علقت في الذاكرة كنت مكلفا بكلمة جماعة تحفيظ القرآن أمام الأمير عبد المجيد، وانشغلت عصرا وبعد المغرب عن المركز في النادي وألقيت كلمتي في المسجد الأثري (مسجد التوبة) ولما انتهى الحفل وإذا بأحد الإخوان يخبرني بوفاة صديق منذ الطفولة والجامعة والعمل أنه الشيخ عواد بن عيد المدمي تخرج في كلية الشريعة ثم درس القانون في معهد الإدارة، وكانت صدمة لي ولو سمعت الخبر قبل الخطبة لم أستطع إتمامها، وكنت أتمنى أن أُعزى فيه رحمه الله فقد كان ذا خلق عاليا مع صدق المودة والتزم بالشرع.

كنت أسافر إلى مصر شهر كل سنة لارتباطي بالدراسة، ولم أتزوج، وكنت التقي بالأقارب والأصدقاء الذين يذهبون إلى مصر بنية الزواج أو مع زوجاتهم، وكانت البداية للارتباط الأسري بين السعودية ومصر في تلك السنين، ويكثر أبناء القبيلة في مصر. فكانوا يدعوني للزواج ولكن ميلي إلى تبوك كيما لا يكون هناك شتات في الحياة فأنا مشغول بطلب العلم.

وكنت أعمل جاهدا في إعداد الرسالة، وكانت أسفاري تأخذ مني مالا وجهدا. وأتمنى أن تلحقني الجامعة بإحدى اللجان وهم ينتقون بعض مدراء المعهد وعرضت الأمر ولكن لا مجيب، وحاولت الالتحاق بالبعثات ولم يستجب لي حتى التعيين محاضرا بعد الماجستير ورُفِض طلبه، ولما احتجت لوقت أكثر لطباعة الرسالة، كتبت كل تلك المبررات للشيخ عبد العزيز المسند رحمه الله طلب إلحاقي بتلك اللجان، قال لي أنا أنقلك للرياض لمدة شهرين وأعطيك رخصة لإعداد رسالتك، فشكرته وقدرت موقفه ولكن مدير شؤون الموظفين أوجد حالا غير ذلك فأصدروا قرارا بإلحاقي بدورة بنك المعلومات المقامة للسعوديين في مؤسسة الأهرام وذهبت للدورة ولذا فإن التحيز يختفي عند العلماء والمثقفين وهذا ما رأيته في الجامعة إن المعاناة تأتي من عدد محدود لا علم ولا ثقافة عندهم ولا سعة أفق، والدورة تلك شهدت موت عبد الحليم حافظ والزحام في ميدان التحرير طريقنا إلى منازلنا فوقفنا في الزحام. وشهدنا مراسم الجنازة إجباريا ورأينا ما رأينا من البكاء عليه والأقوال حول انتحار بعض الفتيات.

ومن المواقف في هذه الدورة رحلتنا إلى خط بارليف والزيارة له عن طريق القوات المسلحة فاستقبلنا اللواء أبو غزاله الذي أصبح وزيرا ومات في حادث طائرة ومعه العميد أحمد بن مندور ابن الكاتب المشهور وابن الشاعرة ملك عبد العزيز، وأحضروا لنا سيارات عسكرية يقودها بعض الجند، ولكن أكثرهم غير مدربين ولولا رحمة الله لانحرفت العربة إلى جرف هار لكن وقع الأمر على من هم خلفنا فانقلبت سيارتهم رغم أن لا سرعة فقالوا لنا الإصابات خفيفة وأخذوهم للمستشفى وواصلنا رحلتنا رغم أن الحزن والقلق على زملائنا كان مهيمنا، ورأينا كيف المباني الضخمة تحت الأرض وفيها المدافع القوية، ورأينا مساكن الجند، وكذلك الطرقات فيما يشبه الجداول المحفورة فلا يرى الإنسان فيها. كان ذلك بعد حرب أكتوبر (رمضان ١٣٩٧هـ)،

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت الدراسة في فندق المرديان من أضخم الفنادق وقد أقاموا لنا حفل استقبال في المؤسسة ولكن على الطريقة الفرنسية يقدمون الطبق ثم يأخذونه ويأتون بآخر والأطباق الأولى من المقبلات والسلطات، فتأخر الطبق الثالث فنهض أكثرنا ظنا أن الأمر قد انتهي وحاولوا إعادتهم إلى المائدة لكنهم رفضوا. وفي آخر الدورة أقاموا حفل توزيع في الهيلتون على النيل، وقد عرفنا العادات والتقاليد وكانت حفل راقصا اهتزت فيها الأرداف وأشرقت الوجوه، ولمعت فيها الأفخاذ، وارتجت الصالات بالموسيقى والتصفيق وبعضا ملأ الكأس وانغمس في الإبساس والالتباس وجاءت قارئة الفنجان تدور فأقبل عليها الكثير، وكنت لم أتزوج وحالتي النفسية يعتريها الإحباط والقلق، فالنفس تدفعني والله يمنعني فأصررت على عدم القراءة فلله الحمد.

الرحلات البرية:

الرحلات البرية كأنها غريزة إنسانية، فكنت أظن أن حبها لمن كان له علاقة بالصحراء، وإذا الأمر مختلف جداً، فإن أبناء الحاضرة، وكثير من أهل أوروبا يرغبون ويميلون إلى الصحراء والجبال والأودية، وقد رأيت أفواجا منهم تذهب إلى البراري رجالا ونساءاً، وقد تكاثرت الرحلات عندما تكاثرت الشركات في تبوك منذ عام ١٣٨٥هـ، وكذلك حين زرت الرياض رأيت أمواجا من البشر في البراري وفي سائر مدن المملكة، والواقع أنني عاشق للرحلات البرية وهي وسيلة للراحة بعد المعاناة العملية والبحثية، وهي تجمع الأصدقاء وتزيد من روابط التواصل والحب وتنمي العلاقات، وقد بدأت برحلتنا الصيفية لواحة قنا وفي تلك أذهب للصيد على الإبل مع جمع من الشباب، وأحاول صيد الطيور البرية، الحجل والعرفي والأرانب، ونحن نجلس في (نسرة) وهي المكان المختفي المطل على موارد الحيوانات والصيد نجلس فيها ليلا لأجل اصطياد

الجديد والطريف NEW & EXCLUSIVE

الذئاب والضباع التي تأتي للواحة من أجل الماء وأكل التين وأتذكر أن خالي صاد ضبعاً، وجعره أي قطع دبره وهذه عادة منذ الجاهلية وطبخنا منها وأكلنا، ووضعنا رأسها فهرب منه الكلب، وكذلك لا قدرة للحمار على الحراك إذا رآها، وبعد أيام عثرت على صغارها وصدت إحداهن.

وقد انقطعت عنها أثناء الدراسة في الرياض لعدم وجود سيارات، وعدت إليها بعد الالتحاق بالوظيفة وتداعى الزملاء لها ومنهم الأخ محمد عيد أبو طربوش، والأخ ضيف الله عيد المضلعاني، ومنهم سالم عرعر العطوي، والأستاذ خالد جبر، وعبدالعزيز أبو شعيل، وأحمد اقيهب وعبيدالله المضلعاني ومحمد رشيد الخمسي. ويتكاثر العدد أحيانا كثيرة، وأول رحلة بعد الزواج جمعت لها الأخوة الذين قاموا بإعداد حفلة الزواج وأرهقهم ذلك في زمن لا وجود للمطابخ وقصور الأفراح جمعتهم بعد أسبوع وخرجنا في وادي البقار، وفي ذلك الزمن كان غابة من الغضا، وحدث مزاح كثير كنت هدفا له، فشقوا ثيابي، وتغيرت ألوان الثوب والغترة حتى السروال، فلما جئت للبيت قابلتني زوجتي وأنا بهذا الشكل فارتاعت من هذه المناظر فهي من بيت جاد لا تعرف المزاح وأنكرت هذا إنكاراً كبيراً، ولكنها تروضت عليه وأضحت تعد مستلزمات الرحلة إعداداً جيدا. لم اقتصر على هذه الفئة الأثيرة من الزملاء ولكني أصاحب من يدعوني فخرجت مع قريبي وزميلي علي سالم شلهوب عشرات الرحلات مع مجموعات وتارة لوحدنا واستمر الأمر طويلا.

والواقع إن الرحلات تقوم على الدفع المنصف لكل منا وقد كان الالتزام بالثوابت الشرعية من سماتها. فالصلاة جامعة حتى للأطفال، والمزاح، والطرائف، ولعب البالوت والسير على الأقدام ليلا ونهارا حول المستقر. كل ذلك من مكونات الرحلة، أمّا الذبح والطبخ فله أربابه المتمرسون فيه وكان في مقدمتهم سالم عرعر شفاه الله، أمّا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنا وصحبي فنقوم بمهمة الحطب، وغسل الأواني، وإعداد الشاي والقهوة، وهناك فئة لا عمل لها ولا ميل لها للعمل.

ونحن داخل الأسرة نمارس الرحلات فنخرج بأسرنا إلى الظلال الوارفة والأشجار الغزيرة والكهوف الظليلة والشعاب الخضراء، وتارة إلى السواحل وفيها تآلف وتواد وممارسة بل ومعرفة وتجارب للأطفال والنساء، ومازال أثرها باقياً في علاقة النساء مع بعضهن إلى يومنا هذا، ومن الرحلات المهمة للأسرة رحلة ربيعية قمت بها مع الأخ محمد وأسرته والأخ سالم أبو أذينه، ابتداءا من تبوك ومرورا (بضباء) والوجه ثم على (أبوقزاز) وبدأ، و(أبوراكة) وفيه بتنا ليلة ولا أنس من الحوادث تلك المرأة المرعوبة التي جاءتنا تصيح وتنادي ولدها (عيد) الذي افتقدته عند المساء، فهي تقطع الشعاب جريا وتنادي، وتقبل إلينا وتسألنا، ولا يستقر لها قرار ولم تهدأ حتى سمعت النداء: وجدناه وجدناه!

إنها رحلة حافلة بالتجارب فهي في أيام باردة ونحتاج إلى نار كبيرة، ثم عدنا إلى تبوك عن طريق المعظم. وكل الطرق كانت ترابية وعرة وقد استعرت سيارة صديقي محمد رشيد الخمسي رحمه الله وجزاه الله خيراً. كان القائد في الرحلة الأخ محمد وكان صارماً ويحتوي الخلافات وهو الوحيد القادر على الذبح والطبخ وانفلت منا (الجدي) ولم نلحق به إلا بعد معاناة وتعب.

وتكاد تكون الرحلات أسبوعية مع الزملاء عزابا ولكنها تكثر زمن الربيع وتطول مدتها، وتبعد مسافتها أذكر أننا خرجنا إلى جهة (ريط) بدعوة من الشيخ/ عويض مطير فلما استقربنا المقام تذكر محمد رشيد أنه حلم أن حية لدغته، فاضطرب ورجح أنها النهاية ولكن سلم الله، وكان الصراع على الأكل أكثر معالم الرحلات، ومن الرحلات التي خلدت في الذاكرة رحلة (البتراء في الأردن) وكان معنا صديقنا/ أحمد

سليم السويلمين رحمه الله وكان مصدراً من مصادر المرح والفكاهة. ومعنا شيخ الرحلة الشيخ/ عواد عيد المدامية دمث الأخلاق، ومعنا لطيف المعشر صاحب النكات علي سالم شلهوب والأستاذ/ ضيف الله المضلعاني، وعبدالعزيز أبو شعيل، والأخ محمد، وأحمد أقيهب، وسالم عرعر، وذهبنا إلى البتراء وركبنا الخيول وجلسنا في المدرجات، وتعرفنا على مكان المحاكم في الغار وصعدنا إلى مكان الدير إنه من العجائب فهي منحوتة في صخر صلد.

عدنا من طريق العقبة ولما جئنا (القويرة) فإذا الرياض خضراء والجبال حمراء متناثرة والظلال ممتدة فأوقفنا مسيرتنا، وانتدب الجمع علي سالم وأنا لنحاول إحضار اللبن والزبد من أجل الذبيحة التي معنا، وذهبت وإياه وكانت لنا قريبة متزوجة في تلك المنطقة فنسأل عن أسرتها اللحاوي وهو عطوي، فوقفنا عند نزل من بيوت الشعر وسلمنا فإذا بامرأة تستقبلنا، وسألناها فإذا هي تعرفهم واستجابت لنا فسكبت اللبن وزودتنا بالزبد على قدر حالها جزاها الله خيراً والواقع إنها جذبتنا بجمالها وحسن منطقها، ويبدو أن إعجابها بنا يماثل ذلك. وانتقلنا وأخبرتنا أن والد زوجها مسافر هذه الليلة وأنها وحيدة في هذه الصحراء فلا خوف ولا وحشة عندها.

وانتقلنا إلى نزل أكبر ويبدو أن المتطفلين أمثالنا يتكاثرون عليهم فلم يمنحونا إلا القليل ولكن الأمر فيه بركة وعدنا إلى رفاقنا فلما رأوا سرعة السيارة يئسوا وكانت السرعة خوفا من الثبات في الكثبان وعلي سالم متمسك بالقدر بكل جهده، فلما نزلنا كانت الفرحة كبرى فنحن في الشمال نميل إلى المنسف والزبد عليه، ونحن شباب ثم قررنا من الغد أن نشتري خروفا من هذا الربيع وزرنا نزلا كبيرا وتقدمنا إلى الشق بعد أن صنفنا أنفسنا، فكان منا الأمير ومنا المتحدث ومنا الشيخ والبقية تبعاً، ولما بدأ الحديث وإذا بالجمع أكثر دهاءاً منا وأشد مكراً وأخذنا الخروف الصغير واللبن والزبد بأضعاف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيمة ونزلنا إلى (العقبة) وتجاوزنا (حقل) واستقر بنا المقام في الأرض الجميلة الزيتة في هضابها وظلال الوارفه وكثبانها الحمراء. وأكلنا الخروف بسائر شحومه حتى الجلد اقترح بعضهم طبخه.

رحلة الجو:

كان الوقت ربيعاً وكان إخوة ضيف الله المضلعاني وخالد جبر قضوا الربيع في اذينتين وهما جبلين كأنهما الأذنين في فياض خضراء تكسوها التلال المزدهرة بالنبات، وهي تبعد أكثر من مائة وخمسين كيلا بطريق صحراوي، فقررنا المبيت قريبا من النزل ويذهب ابن أحدهما ليأتي لنا باللبن والزبد ونعمل (المجللة) الأكلة الشعبية، وكان مجيئنا في الليل والحطب قليل وعمل الإخوة خبزا وانتظرنا طويلا، ولكن لم يعد لنا فهو قد وجد زواجاً وألعاباً فانتظم فيها وتركنا. بات أكثرنا ولم يبق إلا أنا وسالم عرعر فقررنا ذبح التيس، وقام بالذبح وأخذت أجمع الحطب فأشعلت النار وقال سالم أخشى أن يصحى محمد رشيد، فقلت الرجل يكسل أن يفتح عينيه وهو كذلك لولا أنه سمع الكلمة وتحدى فشاركنا شوي الكبد وبقية الأحشاء ونمنا بعدها وفي الصباح أحضر بنية المضلعاني لنا تيساً ولبناً وزبداً. وذهبنا إلى قاع المجينينه الذي ورد في شعر جميل معمر صاحب بثينة، وهو قاع مملوءً بالأعشاب الفواحة وهو ممتد إلى جبال عالية منفردة جميلة ومنطقة الجو كلها جميلة. وعملنا أطيب الأكل وأكثرنا منها ومازال التيس حيا، لأننا أكلنا التيس المذبوح خفية ليلا.

وفي المساء عملنا الستار لشدة البرد وأشعلنا النار القوية وتعشينا من باقي الغذاء، وأخذ بعضنا مكانه للنوم وأتينا بالتيس داخل الرواق الساتر وربطناه خلف سالم عرعر وأخذنا نلعب بالوت وإذا بالتيس يتحرك حول أحد الرفقاء الظرفاء فثنى يده وإذا

بقضيب التيس في يده فأشعرنا بذلك وأخذنا نضحك وقرر أن يدان هذا بالقتل الفوري وحلف أن يذبحه فورا وأخذت باللوم، لما جمعوا الأحشاء ووضعوها في الكرش بعد تنظيفها ووضعوها في النار بطريقة جيدة، ولما أخرجوها وإذا بها من أجمل المأكولات فأقبلت معهم التهم وظن خالد جبر أني لن أشاركهم فيها غضباً وزعلا. ومكثنا يومين ثم عدنا وكنت أحادثهم بطرائف القدماء وحدثتهم بالرجل الذي زار صديقه الضرير وتحادث معه في طريقة الجماع، وهي أن تعلو المرأة وتتجه للخلف ويرفع رجله فلما عملها لزوجته سألته أين كنت اليوم فقال عند صديقي الضرير فقالت: رد الله له بصره، فقال أحد الأخوة والله نسيت رفع الرجل فضحكنا لمعرفتنا أنه عمل التجربة.

ولما جئنا مركز الطلعة ونحن في أيام عيد الأضحى سأل العسكري عن البطاقات فلما نعثر له على شيء، فتردد طويلا فقلت له نحن الآن هذا الجمع ولا عجلة عندنا ولكن الخشية على هذا الخروف المعلق عندكم فضحك وسمح لنا خشية على خروفه.

ومن عاداتي في هذه الرحلات أن أجوب ما حولي سائرا على أقدامي باحثا عن الآثار والنقوش، وتارة أقوم بتصويرها ولكنها صور بدائية وقد تعرضت كثيراً لبعض المخاطر ومنها أنني أتخطى حية أو عقرباً بل لا أنسى أن وقفت في رأس جبل وقت المساء وأنا على بعد عن صحبي فإذا حية عند أقدامي وجحرها بجانبها فوليت هاربا ومنها ظهور بعض الوحوش بجانبي لست أدري عنها لمفاجأتها وقرب غيابها عني هل هي ذئاب أم ثعالب وفي مساء ذات يوم كنت أسير في تلاع ومعي إبراهيم أبو جنب وإذا بالصدمة القوية فأذهلتنا ثم أعقبتها أخرى ففزعنا وأخذنا نحوقل، وإذا بها هواء يصطدم جبلاً كما أولته مع أن زميلي لم يؤيدني، ولما انتقلت للقصيم والرياض خفت الرحلات وتفرق الجمع وحاولت أن نعيد تلك الرحلات في الصيف ولكنها قليلة جدا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مع صحبي الأوائل، ومنها أنني كنت أتألم من الجوانب والوخزات، وكوّنا رحلة حول روافه وسرت أكثر من ساعتين مع زميلي ضيف الله المضلعاني ثم عدنا لمقر الرحلة، ولم يعد المرض بعدها. وكنت مع الأستاذ ضيف الله نعمل رحلات حول عين الأخضر وجبل شيبان ذلك الجبل الشامخ وفيه واحة معلقة فيها التين وفيها الحمضيات وحولها الطيور وتمنى الدكتور عويض حمود العطوي أن يشتري هذه الواحة، وفي إحدى الرحلات كاد ضيف الله أن يسقط بسيارته في أحد شعابها وذات يوم أردت أن أشرف على الجهة الغربية التي تطل على هضاب حمراء، وهي المأوى للصيد البري بأنواعه وكان الهواء قويا في أعلاه حتى خشيت أن يجذبني إلى الهاوية وفي طريق العودة أخذت تحوم حولي الحدأة وتكاثر عددها وهي تقترب فوقي وتسير بمحاذاتي في الجو حتى اقتربن مني ومعي سوجر، فأطلقت عليها الرصاص وعلا طيرانهن حتى أقبلت على زملائي فتفرقن. وفي تلك الرحلات صحبنا حمود المضلعاني وذهب هو للاحتطاب أعددت الجمرية فلما رآها تفاجأ من جودتها وقال حتى في صناعة الخبز دكتور، وقد كررها غيره عني لما رأوا عملي لها ورغم انفضاض صحبنا القديم فلم أترك الرحلات وعوضني الله بمجموعات جديدة. فالواقع أني متواصل مع الرحلات بل تأتي دعوات لي للبر لمعرفتهم حبي له ومنها رحلة للزيته مع سويلم رويعي وإخوانه واطلعنا على أماكن جميلة ذات ظلال وارفة، وكثبان وجمال جبال ومياه معلقة وشعاب ضيقة فيها كثير من شجر الرتم الجميل.

وفي أحد الأيام قابلت عطاالله سالم العسوفي وهو رجل محب للصيد فدعاني لرحلة صيد فذهبت معه ولم نخرج بعيداً عن تبوك وبتنا، فقام صباحاً وعملا جمرية صغيرة وقهوة وبعد صلاة الفجر انطلق في شعاب وجبال وأتى الساعة الحادية عشر بصيد وكان فرحا وطبخنا منها ووزعها علينا وقال دائما تخرج معي متفائلا فقلت له

والله لن أخرج معك خشية عليه فهو تجاوز الخمسين ويجري في الجبال وخشيت أن ينسى نفسه وهو يطرد الصيد فيموت عطشا أو تصيبه أزمة.

وفي تلك المرحلة عاد صديقي سويلم محمد أقيهب إلى تبوك وكان محبا لصيد الطيور خاصة، فكنت أصحبه كثيراً وكان دائم الاصطياد لهن ونعمل عليهن أكلات شهية، واتفقنا على أن لا نحمل لحما أبدا وأن نكتفي بالخبز الجمري إلا إذا صدنا طيوراً وذات مرة جئنا إلى ظلال جميلة وأشعلنا النار القوية ولما تحولت إلى جمر أخرج اللحم، فلمته كثيراً وهو يعتذر ويقول إن الذبيحة كانت جاهزة لكني اتخذت من الظلال مضطجعا وتركته حتى نضج الشواء فأقبلت عليه وفرح وقال خشيت أنك زعلت، فقلت له أكون أحمق أن تركت الأكل ولكن الزعل يأتي بعد الشبع فضحكنا والرحلات معه كثيرة ولكنه لا يمل من الجلوس على المياه انتظاراً للطيور وأنا أمل كثيراً حتى أخذت معي القرآن الكريم أقرأ فيه وتارة أنام.

ومن الرحلات الجميلة رحلة مع الصديق الاستاذ مسلم فريج إلى جبل اللوز وعمل لنا الغذاء في أعلى الجبل وكان الجو بارداً ولم نحتج إلى ظلال مع أننا في الصيف وفي المساء نزلنا إلى وادي (حميط) وعملنا جمرية فقط مع شاي خالي من السكر، فكانت موضوع قصيدة للأستاذ مسلم. وذهب محمد فرج وبعض أصحابه يستبقون الصيد ولم يعودوا إلا برائحة الشوي فصيده كان ضئيلا أكلوه في الطريق ودوّن ذلك مسلم في قصيدة مازالت من محفوظاته.

وأخي الأكبر محمد اعتنى بالإبل، فإذا جاء الربيع فإنه يرتب لنا رحلة وآتى لها من الرياض وأمكث عندهم ثلاثة أيام فمنها رحلة حول البيضاء والأخضر ومنها رحلة البديعة ومن أشهرها رحلة في الشرق وسعدنا فيها وفي اليوم التالي قمنا بجولات متعددة في العسافية وما حولها وجئنا بيتا من الشعر ونزلنا من سيارتنا وإذا بسيارة أخرى تقف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن النساء ونزلت منها قائدة السيارة متبرقعة ومعها زميلتها ذلك قبل عشر سنوات، ولما عدنا في المساء وأخذنا نعد العشاء فإذا بهواء قوي وأكلنا عشاء لا يخلو من الأتربة، ونمنا فلم نمكث طويلا حتى سمعنا رغاء الإبل وحنينها كلها، فلما رفعنا الأغطية فإذا الدنيا مظلمة والأتربة تتساقط وزاد اضطراب الإبل وكل من يرفع الغطاء عن وجهه يظن أن العمى أصابه فدب الخوف والخشية عند الجميع ولا سيما إن اضطراب الإبل أوحى لنا بإحساس الحيوانات بالزلازل ولكن الله سلم، فلما أصبحنا فإذا بالسيارات والأواني والقدور مملوءة بالأتربة إنها ليلة مشهودة فيها عبرة وعظة.

وقد التحقت بمجموعة من الشباب الأقرباء الذين أودهم ويودوني منهم العميد إبراهيم المحينة وإخوانه، والأستاذ/ صالح محمد، والمقدم/ مصلح محمد أبوطربوش، والأستاذ/ عبدالله محمد العسوفي، وأخذونا رحلة شتوية ممتعة في وادي غابة من الشجر وتكثر فيه الكثبان وحوله الكهوف وهو منطلق لمحبي الصيد ويسمى ((الشجنة)) وهو قريب من مزارع الديسة ذات المناظر الجميلة. وتعددت الرحلات وفي إحداها جئنا في شعيب ضيق فأخذت أسمع صوت طائر غريب، وكلما ابتعدت عن المجموعة لقضاء الحاجة يزيد قربه وصوته لي وسألت هل يسمعون أصواتا فأجابوا بلا النافية، ولما نمت في السيارة وأنا دائم النوم فيها في أيام الصيف وهي معدة لذلك فقد اقترب الصوت من السيارة وأخذت بالأدعية ونمت حتى الصباح، وهي رحلات أكون فيها ضيفاً لأنهم لا يتركوني أعمل، ويدور فيها حوار ثقافي وهي مجموعة مغلقة يحذروني أن أصطحب أحداً ويبدوا أنهم ملوا مني أو أنا توهمت ذلك، ولكن الحب والمودة قائمة والتواصل دائم والانغلاق الثللي سمة بارزة في المنطقة حتى أولئك الذين حصلوا على الدراسات العليا تجدهم في مجموعات محدودة ولو أنهم تواصلوا مع المثقفين والمنتديات والمحاضرات العامة لكان في ذلك سعة أفق، وقد حذر العلماء الأوائل من العزلة حتى للعلماء فإن المعين

ينضب، والذكر الحسن يتضاءل، واللسان يثقل، وتلاقح الأفكار ينعدم، والجاه لا وجود له.

ومن الرحلات رحلة مع الصديق إبراهيم أبوجنيب ذهبنا كي أحاضر في تيماء وبعدها انطلقنا صباحاً إلى جهة المعظم ورأينا رجلا يقطع الشجر الكبير وهو من أهل الديرة فلمناه ولكنه قال أنا أحق بها من غيري وكنا نبحث عن رعاة إبل نعرفهم فلم نجدهم ووقفنا عند إبل ونزل صاحبي وقابل صاحب الإبل في سيارته فدعاه إلى اللبن في الخيمة القريبة، فذهبنا إليها وكنت أظنه لا يعرفني، فقال أنت مسعد أبو عادل أبوطربوش فإذا هو من الجيران الأقدمين. وواصلنا المسير جهة الجو والشق وأبو راكة ثم استقر بنا المقام في الوادي الكبير قريباً من سدّ ((الفرعة)) وقريبا من قريه ((بليطيح)) والوادي متعدد مجاري المياه وهو غابة من الشجر، وأعددنا عشاءنا مبكراً، وصلينا جمعاً وقصراً ومن عادتنا السير بعد العشاء، وأعلنت الخشية من الضياع عن السيارة ولكن صاحبي طمأنني وأخذتنا الأحاديث وأبعدنا عن السيارة فلما عدنا لها لم نستطع أن نستدل عليها، وافترقنا في مجاري المياه وقلت لا تبعد عن النداء ولكن لم نلبث حتى افتقدنا بعضنا وأخذت أفكر في الحل، وأنا معي السكر وخشيت أن يمضي علي الليل وينزل السكر، فقررت أن أذهب إلى طريق السيارات وهو يقارب ثلاثة كيلا. وذهبت لكن أنوار السيارات يظهر تارة ويختفي لوجود الجبال بيني وبينها وأخذت أصعد فوق جبل وأنزل ورأيت ضوءاً وذهبت إليها وإذا هي بعيدة جداً، فلما مضى أربع ساعات اقتربت من الطريق التي كنت أسير بمحاذاتها وأنا لم أتبين ذلك وقابلت سيارة فلم تقف، فالأمر فيه ريبة وشك والطريق غير مسفلت ثم جاءت سيارة مثقلة بحملها تسير سيراً وئيدا ورفض الوقوف، ولكني رفعت الصوت لعله يسمع معلومات، فقلت له إني ضائع ونزل السكر معي فأريد سكرا فلما تبين من الهيئة له حالي قال خذ السكر من جانب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السيارة فلم أعرف وأخذت أعطيه المعلومات عني، فأمن الرجل لي ونزل وأعطاني السكر ثم قبل بتوصيلي لمركز ((الظلفة)) وهناك جئت المركز وهم نيام فأيقظتهم وإذا بالسيارات الحكومية عاطلة تماماً فقلت للحاضر أنا فلان وجئت الساعة الواحدة والنصف ليلا وأنت المسؤول عن زميلي أخشى عليه فحادث رئيس المركز بالهاتف وعرفت رئيس المركز بحالي وأمر صاحبه بتوصيلي بالسيارة وأخذت غطاء وتمراً كل ذلك بلا عرض منهم، ووصفت له المكان وذهبنا إليه مباشرة وإذا بزميلي ومعه غيره يبحثون عني في وسط الأشجار توقعوا نزول السكر والموت وكان ذلك الساعة الثالثة ليلا. إنها ليلة مشهودة.

وقد التحقت برحلات في (مقنا) و(البدع) يشعلها الصديق خليل إبراهيم العطوي وعبدالعزيز أبو شعيل، وأحمد أقيهب وغيرهم وغالبا ما تكون حول البحر وفي طيبة اسم، وفي التلاع، وتارة تكون على شكل مخيمات إن هذه الرحلات عرفتني بصحب طيبين وبأماكن متعددة، ومن خلالها تعرفت على مدين الأثرية، وقد قمت برحلة مع عدد من المثقفين واستقبلنا هؤلاء الإخوة والأستاذ سويلم حمدان المسعودي وأكرموا ضيافة الوفود ومنهم الدكتور/ عبدالعزيز السبيل وكيل وزارة الثقافة والإعلام، وطلب الدكتور/ السبيل أن يدخل في الرحلة الجانب البري، فأعد الشاعر/ مسلم فريج والشاعر/ محمد فرج عشاءا بجانب الهضاب الجميلة وفي واد ذي أشجار جميلة ورمال حمراء أجمل، فلما أردنا المبيت قلت للدكتور السبيل ينام في السيارة فرفض ومدّ فراشه في عرض الوادي فقلت له حسبتك حضري شديد الخوف لأنه ابن نعمة ولأنه عاش في مكة المكرمة، وإذا بي أخاف أكثر منه وصحوت وإذا ببعير واقف بيني وبينه فلم أحرك ساكنا خشيت أن يطأه وهو نائم.

ومن الرحلات الجميلة رحلة إلى الديسة مع الدكتور/ عائض الرداد، والدكتور/ محمد أبو ساق، واللواء/ صالح الزهراني، وقد أعدّ لنا الدكتور/ عواد الحويطي الغذاء

بجانب الشلال وفي ظلال الأشجار، وتخلل الحديث طرائف متعددة ثم انتقلنا عن طريق (ضربة) ووصلنا إلى استراحة الأخ محمد أبوطربوش، وقد أقسم الأستاذ/ سويلم محمد على تقديم الخراف ومكثنا بعض الوقت ليلاً ثم عدنا إلى الفندق.

كنت في الرياض جادا في البحث والعمل حريصاً على ملتقيات الثقافة وأجد متنفساً لي في الرحلات البرية وهي متنوعة فقد قمت برحلة مع الدكتور/ عبد العزيز الفيصل وهو محب للرحلات البرية وانطلقنا من الرياض إلى مدينة تمير) ثم التقينا بواد طويل تكثر فيه الغدران حتى وصلنا إلى التنهات وهناك استرحنا في ظلال الطلح الوارفة ثم عدنا عن طريق رماح وهو موسوعة بمعرفة الأماكن في نجد بل حتى التاريخ القديم للقبائل العربية فرحلته جمعت بين معرفة المكان وقصص التاريخ وملاطفة الحديث.

ومن الرحلات إلى التنهات رحلتي مع شباب لم أتعرف عليهم كثيراً من قبل وهم الدكتور/ صالح خضر، والدكتور/ عبدالله أقيهب، والعقيد/ محمد مطير العقيلي رحمه الله وكنت على استعداد لتولي الطبخ لتوقعي عدم الخبرة عندهم، ولكن أذهلني محمد مطير بقدرته الفائقة وتأنقه فتولى الأمر بأفضل من طريقتي وكذلك الشباب معه تولوا الإعداد وأصبحت ضيفاً عليهم وكانت من أجمل الرحلات فقد توثقت عرى الصداقة حتى يومنا هذا.

ومن الرحلات للتنهات رحلتي وصديقي ضيف الله المضلعاني وهي في أوقات البرد وعملنا لنا ستائر على شجر العوسج مع إطلالتنا على الوادي ببطاحه الممتدة الحديثة عهد بالسيل، وميزتها أننا نصنع الأكل ونعده إعدادا جيداً.

ومن أطول الرحلات رحلة الشمال الشرقي فقد انطلقت أنا والعميد سليمان الروضين، فمررنا بالارطاوية، وأم الجماجم ومررنا بالحفر وواصلنا إلى رفحا ثم عدنا وبتنا في واد (ليه) ثم طفنا بالأودية حول الحفر واستقر بنا المقام ما بين القبصومة والنعيرية،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ارتحلنا ومررنا الجبيل والدمام والخبر والإحساء ولست أدري هل بتنا في الطريق أم عدنا للرياض فهي رحلة سير على السيارة وقد تبين لي أنني اختلف مع صديقي سليمان الرواضين في أهداف الرحلة فهو يريدها استكشافا منه يعرف الأماكن ولا يمل من ركوب السيارة وأنا أريدها متعة بالمكان والسير على الأقدام، ولذلك قلت الرحلات معه إلا بالأسر فهي كثيرة.

ومن الرحلات العالقة بالذهن أنني خرجت أنا والأخ الصديق خضر حماد في وقت الربيع لأودية يكثر فيها القيصوم والشيح والجعدة في طريق رماح، وأخذنا نصنع لنا خبزا وأحسسنا بإقبال السحب السوداء فأخرجنا قرص الملة، ووضعناه في قماش وركبنا سيارتنا واتينا إلى جسر ونزلنا فيه وإذا بالسحب تداهمنا وتكاثرت السيارات حولنا وإذا بالمطر يشتد وأخذ الوادي يسيل وكنا نظنه سهلا وسيارتنا جيب جديدة ولكن ما هي إلا دقائق حتى أمتلأ الوادي واخذ يجري بغزارة ثم اختفى الوادي مع الأرض الفسيحة فكلها ماء يجري، فأخذنا سيارتنا ولكننا لم نستطع وصول الأسفلت، فثبتت سيارتنا على مقربة منه وركبنا سيارة إلى الرياض ووصلنا بعد الغروب وأشعرت العميد سليمان لنخرج لها من الغد فقال: إنها طعم ولن تبق إلى الغد فلنخرج لها الآن ونبيت عندها، فلما وصلناها وإذا بهم يحفون بها بل ويكتشفون هل نحن أهلها أم نحن ننافسهم عليها وسلم الله سيارتي التي أخذتها تقسيطا في تلك السنة. ومنها على السيارة ذاته رحلة مع الدكتور صالح خضر والأخ خضر حماد ذهبنا إلى روضة السبلة، ثم عدنا إلى تلال الغاط وكنت أقود السيارة بطريقة بدائية، فأخذها الدكتور صالح وكأنه مرسل وصعد به كثيبا بقدرة فائقة، ولكن الكثيب محدودب الظهر حادا فسقطت بنا السيارة على مقدمتها وكادت أن تنقلب ولكن الله سلم فحطمت الزجاج برأسي وتألم الأخ خضر حماد ومن ظهره وبتنا في مكان جميل، ولكن الألم اشتد على زميلنا الذي عانى

منه كثير، وكأن الزميل صالح أنبه ضميره على الحادث الذي جاء فجأة وقدرا فأهدى لي جهاز قارمن بعدها مازلت أحتفظ به.

الرحلات الخارجية:

كانت أول رحلة لي إلى الخارج عام ١٣٨٩هـ، وقد ركبت في سيارة تحمل عدداً من الركاب في مكان التحميل للأثاث أو كنا نعلوه متجهين إلى حقل حيث أخي محمد هناك فإذا بالبحر والأمواج تعلو فهالني قطع الموج الأبيض فلم أتمالك نفسي عن السؤال لجاري فأخبرني مستغرباً وحللت عند الأخ محمد في كرامة كبيرة، ثم قرر هو وصحبه أحمد سليم، وخضر محمد، وسعود محمد العرجان، أن نقوم بزيارة للملازم سليمان سعيد مرابط في العقبة ضمن الجيش السعودي، ودلفنا صباحا من (حقل) إلى (العقبة) في سيارة (فوردهاف) أي في حوضها وأخذونا للإفطار في فندق العقبة الضخم وجلسنا مطلين على البحر ومسبحه فإذا النساء يسبحن مع الرجال وإذا بهن يخرجن أمامنا بالكلتات الصغيرة وإذا بهن يقفن ويستلقين على التلال أمامنا ويدعين أزواجهن، فذهلت لهذا المنظر الرهيب فلم أعهد أن أرى أطراف النساء عندنا ولا معالم الجمال فكيف بهذه الصدمة في العشرين من عمري بقيت هذه محفورة في الذاكرة وهي لم تحرك جنسا ولكنها حركت فكرا ووجدانا في الذاكرة. ثم انتقلنا عصراً لتلاع في جبال شاهقة لنلتقي بالملازم سليمان بن سعيد الرواضين ولأول مرة أعرفه ويعرفني، فإذا هو مثقف يحادثني عن الصحافة ومنذ تلك اللحظة تآلفنا وتصادقنا ونحن الآن نعقد لابنتي الثالثة على ابنه الثالث وكل بناتي الاثنتين عند أولاده، وتعشينا مع عدد من الجنود والضباط ثم عدنا لحقل والتقيت في هذه الرحلة بأمير (حقل) إبراهيم وهو رجل أمي لكنه ذكي قوي الحافظة ذو خبرة وتجارب بل وثقافة وهو متقدم السن، وكذلك صحبت أمير مركز الدرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عساف الرويعيات وهو رجل لطيف مرح كريم صحبته في رحلات برية وسمرات. وكان زميلي سعود الأعرج شاباً ظريفاً جميلا، لي معه لطائف وصداقة مازالت متواصلة بل كل أسرة الطرابشة والعرجان في تآلف وتزاور، ثم ذهبت مع أخي محمد وأحمد سليم لعمان ورأيت الأكلات الشهية، وكثافة الأسواق الشعبية، ومدرج الرومان، ورأيت الشقراوات والنساء يقدن العربات، وصلينا في جامع الحسين ورأيت مشايخ شبابا تعلو سماتهم الفاقة والأسى، فقلت لرجل كنت أجاذبه الحديث من هؤلاء، قال إنهم مساكين يحفظون القرآن الكريم، وهم ينتظرون من يأخذهم للقراءة في البيوت التي حدثت فيها وفاة، فاقشعر جلدي وقلت: هذا جزاء من يحفظ القرآن بل هم الذين رضوا بهذا، فالحمد لله نجد أن القراء عندنا لهم مكانة لا ينافسهم فيها أحد في المجتمع وعندنا الوجهاء فلهم صدر المجلس بمجرد انتمائهم للقضاء أو للخطابة والوعظ أو لهيئة الأمر بالمعروف.

اقتصرت على الرحلات الداخلية الإجبارية من تبوك مرورا بالمدينة والقرى ومدينة بريدة، وعنيزة، ثم الرياض وقد زرت مكة للعمرة مروراً بجدة ثم زرت الطائف فالرياض، وكانت أول رحلة خارجية بعد الأردن إلى مصر عام ١٣٩٤هـ وفيها واصلت الدراسة واطلعت على المكتبات وزرت مساجدها الحسين، والأزهر ومكتباتها ومتاحفها وكنت شاباً أتأفف عن الأكلات الشعبية في بلدي، فلما ذهبت مع زميلي عطاالله بن هرماس للبحث عن شقة وقد أخذنا السماسرة ذات الشمال ولم نستقر إلا بعد الإعياء والجوع، فأخرج لنا صاحب الشقة من الثلاجة بقايا فول وأخذ من بقايا خبز بجانب الثلاجة فأكل وأكلنا.

فعزمت للعودة على الأكلات الشعبية ومنها الجريش والمجللة. تكررت الرحلات لمصر وقد أشرت لبعضها وقمت بزيارة بحيرة قارون وفيها شرقت بلعابي ففقدت الوعي

ولكن الله سلم. وزرنا الفيوم ورأينا قناطر الماء القديمة. وأخشى تكرار الحديث عن تلك الرحلات بمصر.

ومن الرحلات العلمية اشتراكي في مؤتمر عن الاستشراق في جامعة المنيا وهناك التقينا بعدد كبير من مثقفي الدول العربية بصحبة الدكتور ظافر الشهري، والدكتور/ يحيي العطوي، ولكنني استعجلت عن مناقشة موضوعي مع أنه أثار كثير من التساؤلات.

ثم أخذت رحلات أخرى لمعرض الكتاب ومع مجموعات متعددة وكان زميلي له صديق في الزقازيق، فدعانا لمنزله وله ابنة دكتورة، وقد أخرجت لي مجلة فصول من مكتبة والدها، فكان ذلك تحولاً لدراستي النقدية كلها فقد حرصت على قراءة أعداد المجلة والتزمت بشرائها حتى الآن، وكنا جلوساً فانقطع تيار الكهرباء ومكثنا ننتظر وإذا بها تقول لزميلي كف يدك لا تلمس، فاضطرب واضطربنا وأخذت تضحك وقال أبوها والله هذا من مقالبها دائماً تعملها في الزوار. وهي كذلك ظريفة لطيفة وأهلها كذلك فهم أسرة متعلمة درس الأب والأم في فرنسا. وأولادها كلهم مبدعون في دراستهم.

ومن الرحلات العلمية أن سافرت مع الدكتور عبدالله عودة العطوي لحضور معرض الكتاب، وأخذنا سكناً قريباً منه، وأخذنا جولات وجولات في معرض الكتاب، وحضرنا ندواته، ومع ذلك أخذنا رحلات في عرض البحر.

وكنت اختبر للماجستير فإذا بأحد الموظفين من المعهد العلمي يتصل بي ويقول إذا كنت في فسحة من أمرك سأزورك فرحبت به فأتى لي في الفندق وقال سأخذك عندي في الشقة ليوم كامل، فذهبت معه ووجدت زميلا له، وأخذ يحادثني زميله في جدال وهو يمارس الشرب ثم أصر الرجل على أن يوصلني الفندق ليلا، فإذا بالسائق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يحكي قصة خرافية بأنه هناك رجل ميت لم يستطيعوا حمله من المسجد والناس تفد إليه في حي الزاوية وأراد منا الذهاب إليه ولكننا قلنا غداً نزوره وأخذنا حذرنا منه.

وزرت طنطا في مولد السيد البدوي، ورأيت الاحتفال الكبير بهذا المولد ومعي الدكتور عبدالله الدوسري ودليلنا وصاحبنا ضابط استخبارات وهو لطيف لم يخف علينا وظيفته ونحن ليس لدينا ما نخفيه ومن خلالها تعرفنا على عادات الصوفية وأناشيدهم وممارسة الرقص الصوفي.

ومن الرحلات ذهابي مع فرج الأميلس إلى تونس والمغرب فقد مكثنا في الشاطئ في فندق تاج محل، وتجولنا في العاصمة تونس وزرنا جامع الزيتونة وتحاورت مع حلقة علمية ظننت أن الأمر فيه حرية وإذا بي أتجاوز الحدود فيصمت الشيخ ويأمر طلابه بعدم الرد فأدركت أننا في السعودية أحسن حالا، ولفت انتباهي مجلة زراعية باللهجة العامية لكنها مضبوطة بالشكل، ولفت انتباهي ضعف الصحافة فالعناوين الكبرى تدور حول مدرسة أو أشياء لا أهمية لها وقلت أين صحافتنا وموضوعها مع أنها في ذلك الزمن لم تنطلق كحالها اليوم.

وقمنا بزيارة إلى الأماكن السياحية والقلاع فيها في جنوبها ورأينا المزارع الممتدة، ووقفت عند مزارع العنب فهم لا يتركون الشجرة تكبر وتعلو وإنما هي قريبة من الأرض وتونس بلد فقير الموارد ومع ذلك فإن الشوارع منظمة، وقد رأيت التخطيط الدائم للشوارع فكل شارع له ميلان للأمطار، وكل شارع فيه مكان للخدمات العامة من الكهرباء والماء والاتصالات والصرف الصحي، بجانب الأسفلت ومكشوف وتارة مغطى.

ثم انتقلنا إلى دولة المغرب العربي،وهناك جئنا إلى فندق ضخم الحجم ولكنه كان خاليا،فقلنا: نريد حجرات، فقالوا: فيه ولكن ليس فيه خدمات للسهر الليلي

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

ولكن فندق (الكندره) فيه كل شيء وهو بجانبنا، فاقترح الشباب أن أسكن أنا في هذا الفندق وأنا الوحيد النزيل فيه وقبلت بالاقتراح وهما ذهبا إلى الفندق الآخر، واستغربت في الحجر وجاءت إحدى موظفات الاستقبال للاطمئنان وعرضت علي أن تمكث عندي لكي لا أخاف، فشكرتها وصرفتها، ودب الخوف ولكن لا حيلة في هذه الليلة، ولم أمكث طويلا حتى جاء صحبي وقالوا لم نطمئن لوجودك لوحدك، ومن الأفضل أن تسكن عندنا في الفندق فرحبت بالفكرة، ونمت هذه الليلة مطمئنا، وفي الليلة الثانية ذهبت إلى المسرح معهم فوجدته فوق التصور الصخب والشرب وبنات الليل، والمحاولات للجذب وكأني أصبحت هدفا ومع ذلك فلم يكن هناك أي ميل فليس فيه صراع نفسي أبدا ولا خشية أن أنزلق بإذن الله لا في شراب ولا نساء بل الأمر يدعو إلى التقزز والنفور، فلم أمكث طويلا حتى مللت وذهبت إلى حجرتي. وذهبنا إلى الشاطئ على المحيط الأطلسي وتلك الجلسات الجميلة، ثم انتقلنا بالسيارة إلى مدينة الرباط، ثم سرنا على الساحل ورأينا الكهف الذي تسلخ الرحى منه ورأينا نماذج للرحى تماما مثل التي عندنا في تبوك.

ثم واصلنا المسير حتى وصلنا فندق (طنجة) ونحن قد حجزنا فيه بالهاتف وكل ذلك وسيارتنا معنا والرحلة مع فرج سليمان الأميلس أما زميلنا من آل الضبيب الذي وجدناه في تونس فقد فارقنا في الدار البيضاء. فلما وصلنا هذا الفندق وهو أجمل فندق في (طنجة) في تلك الأيام وانتظرنا بالبهو فإذا أجمل البنات تمر من أمامنا، فخشيت على نفسي ولكني ظننتها من السائحين وعزفت عن السهر الليالي فأخذت أنام بعد صلاة العشاء وأقوم مبكراً وقررت السفر بالسيارة وحدي لمدينة (تطوان) واتخذت الخط البحري وهو مهجور ولكني مطمئن الحال فدخلت المدينة وجلست على الشاطئ الأقصى للبحر الأبيض وعرضوا علي الذهاب لقليقلة التي تحت حكم الأسبان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورفضت، وقرأت الصحف هناك وصحف المغرب أكثر تناولا للحياة العامة والثقافية، واشتريت كل ديوان شعر معاصر تقع عليه عيني لشعراء المغرب، ثم أتخذ الطريق الداخلي للعودة إلى (طنجة)، وهو طريق حركي واسع الجوانب، فرأيت تيناً فأخذت منه والتهمته في الطريق، ولما ملت للخط الذي يذهب إلى (طنجة) وإذا بالقلاع في التلاع فأعجبني المنظر وملت مع طريق أحداها فإذا برجل وامرأته يشيران بالذهاب معي فوقفت وأخذتهما لعلي استفيد والأمر كذلك ولكن المتحدث المرأة أما الرجل فالتزم الصمت وهما شباب والمرأة حامل في شهورها الأخيرة. فلما نزلا عرضا علي الأجرة فرفضت ذلك ولما حرفت السيارة للعودة وإذا بالرجل يطلب مني أن تذهب معي امرأة كأنها من الطوارق فلما أدركت أنها امرأة سمحت لها بالركوب فأخذت أسألها ولكني لم أفهم لهجتها إلا بالصعوبة وقلت ممازحا لها أنا سأخطفك للدار البيضاء، فقالت: إنها ليست بالخائفة وأدركت المزاح، فقلت لها: إنني ضيف عليكم في (طنجة) في منزلكم، فقالت: لسنا على قدر المقام، فقالت: إذا كانت هذا السبب فلا مشكلة فقالت أنه السبب الوحيد، فقلت: وهل الزوج يعارض أو الأبناء، قالت: أبدا، وقلت: هل من خوف في الحي أو ذهابي معك، فقالت: ليس هناك أي ريبة، كل ذلك بلغة صعبة الاستيعاب فأوقفت السيارة في الشارع وأخذتني لشقتها، فوجدت الرجل وسلمت عليه وحضرت فتاة ضخمة الجثة وأخذت تحادثني بلغة فصيحة وقلت لماذا أفهم لهجتك وتصعب لهجة أمك، فقالت نحن درسنا اللغة العربية أمّا الآباء فهم على لهجتهم العامية وقدموا لي أكلتهم الشعبية والشاي ومكثت بعض الوقت ثم غادرت إلى الفندق ولكني تعرفت على طريقة الحياة والأحياء.

عدت إلى الفندق ومن عاداتي الجلوس في البهو وإذا ببنت تجلس معي، وعرفتني بنفسها وأنها من (الهيبز) وشكلها واضح من هيئتها، وقالت: أنت الذي بالدور

الخامس فقلت: نعم، فعرضت علي الصحبة ولكني لا استطيع شرب الماء معها فكيف بصحبتها نسأل الله العافية والسلامة. فذهبت وأنا أتأمل في مصير البشر الذي تحول إلى الحياة الحيوانية وكانت تلك المرحلة موضة (الهيبز) وهم أشبه بالغجر المشاع كل شيء عندهم.

وأخذت أتجول في طنجة تلك المدينة المطلة على المحيط والبحر الأبيض، ثم خرجت إلى الغرفة فإذا بالباب يقرع ففتحت بابا الحجرة، وإذا بالفتاة الجميلة واقفة على الباب وترددت وأمسكت بالباب، فقالت: إن زميلاتي راقدات ولم يفتحن لي الباب، وأنا سأفتح الباب الجانبي ولم أعلم بدوره من قبل فقلت كيف: فلم تمهلني ودخلت وفتحت الباب وإذا به يفتح على زميلاتها ووقفت معي تحادثني وتراودني على الصحبة فرفضت، وقالت: والله أني رأيتك أول مرة وقررت عدم الاقتراب منك وقلت لها. والله أنني لم أخشى من نزل الفندق إلا أنت عندما رأيتك أول مرة أما الآن فأنا متزوج حديثاً ومقتنع بزوجتي ولله الحمد وأنفض اللقاء. وبينما كنت جالسا في البهو فإذا برجل يجلس بجانبي ويسلم علي ويعرف بنفسه بأنه رئيس بنك صنعاء فرحبت به وتحادثنا في الشؤون العامة وقال: إن أهلي معجبين بك فهم يرونك دائماً لوحدك وهم يحثوني على الجلوس معك فقلت: أهلاً وسهلاً. وأعاد الجلسة فقال: لماذا لا تذهب إلى جبل طارق فقلت كيف الوسيلة؟، فقال: هات جواز السفر، فأعطيته جواز سفري وجواز سفر زميلي وفي الغد كانت الرحلة التاريخية بالنسبة لي، فقد ركبت الشراع لأول مرة وأخذت أحدق في عبوره في الماء وموج المياه من جانبيه ولمدة ساعة كاملة، واصطف الجمع للجوازات وإذا بعسكري ينظر في الجواز ويختمه وبجانبه كلبه واقف متذخراً حلقته وعبرنا في سهولة ويسر وسرعة، ثم أخذنا سيارة لنصعد فيها إلى قمة الجبل وقائد السيارة يشير إلى السجون الأثرية ومراكز التفتيش ولست أدري هل يريد به سجون المسلمين أو السجون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمسلمين ومحارق التفتيش التي قام بها الأسبان بعد إخراجهم للمسلمين. وطفنا بالجبل وأطللنا على المحيط والبحر الأبيض والجبل منفردا لم يرتبط بسلسلة من الجبال وتحف به فنادق النزل من جوانبه وهو مستعمرة بريطانيا ولا زالت كما أن (طليطلة) و(قليقلة) مستعمرتين اسبانيتين في الجانب المغربي، ثم عدنا في المساء إلى طنجة وفي اليوم التالي حجزنا إلى (اغادير) في الجنوب فبت في فندق ضيق وطفنا بها ولم أر فيها جديداً يذكر ثم أخذنا سيارة وقادها صاحبي متجهين إلى مراكش في صعود من الجبال ثم في صحراء فيها الآبار ورأينا المواشي عاطنة على المياه بعد الارتواء من الماء، ورأينا الحمر الأهلية على الآبار إنه منظر البداوة التي أعرفها. ثم سرنا وإذا بمقهى أمامنا وإذا باللحم الأبيض اللذيذ الطعم ولست أدري عن تسميته، ونحن نسميه (الرديح) لأنه يُعمل تحت الحجر فيُوضع على الجمر ويُغطي بصفيح من الجمر ثم واصلنا مسيرنا حتى مراكش ذات المباني الحمراء والكثافة السكانية والأسواق الشعبية، والمباني السكنية ذات الأحياء المعزولة.

ثم عدنا للدار البيضاء وكدت أن أقوم بزيارة للأمير عبدالله بن عبدالعزيز خادم الحرمين الآن لكن لم أعرف هل الزيارة من السهولة أم من الصعوبة، فطفنا حول القصر ولم نحاول الولوج إليه ثم سافرنا من الغد مساء قبيل صلاة المغرب، ونزلنا في جدة بعد صلاة الفجر مع أن الطيران مباشر لكن الليل صيفا.

إنها رحلة عرفتني على مدن المغرب الكبرى وتعرفنا على المناظر والمعالم وعلى الصحف وكتابها وكذلك تزودت بعدد كبير من دواوين الشعر وكتبت عنها في صحيفة المدينة المنورة، ومازالت المقالات عندي لم أنشرها في كتاب وإن زميلي قد زار المغرب مرات ولكنه قال لي لم أعرف المغرب إلا معك.

ومن أقدم الرحلات إلى سوريا عام ١٣٩٥هـ فقد أردت إثراء مكتبة المعهد العلمي وأخذت سيارة سالم بن سعيد الرضمة بمبلغ زهيد وكانت القوات السعودية

مرابطة في سوريا فالتقينا بهم، وزرنا المكتبات التجارية واشتريت مصادر ومراجع كثيرة، ولما قفلنا عائدين وقف لنا رجال الجوازات والجمارك وطلبوا رشوة فامتنعت ومكثنا حتى العصر ووجدنا من الأقوال مالم نستحقه ولست أدري هل دفعت لهم أم أصررت على رفضي، فرجعنا وكان سالم هذا تعلم قيادة السيارة بعد أن تجاوز الستين فقيادته في خطر ومررنا بصعود عال ونزول منحدر مع رياح وهطول أمطار في (عجلون وجرش) بالأردن وحمانا الله وعدنا إلى تبوك وكرهت السفر إلى سوريا فلم أذهب لها إلا في عام ١٤١٥هـ، وكنت مع الصديق الدكتور/ سليمان الرحيلي عميد كلية الآداب والتربية في جامعة طيبة واتصلت بصديق لي من المدرسين في المعهد العلمي. وطبع لي رسالة الدكتوراه بقيمة عشرة ريالات للصفحة الواحدة ولكنه قادر على التصحيح مدركاً لأوزان الشعر فهو رجل عالم ولما وصلت هناك أردت السلام عليه فاتصلت به وقال: من أعطاك رقم الهاتف، فذكرت له زميلا لنا، فقال: كلمة فيه تذمر من صاحبنا، وقلت له هل تأتي إلى الفندق فقال: الجامع عندك قريب جداً سأصلي صلاة الجمعة ثم نلتقي قال هذا الكلام ونحن يوم الأربعاء. فلم نلتق حتى الآن ولكننا أخذنا جولات متعددة في دمشق ثم عزمنا الانتقال إلى بيروت مع وجود الحرب الأهلية وفي الطريق اشتد عليّ الألم بجانبي وظننته تسمم ومررنا بطبيبة فقالت: أنها حصوة في الكلى.

ورجعنا إلى المستشفى العام في دمشق وأعطاني علاجا وقد تفتت الحصوة، وفي الغد ذهبنا إلى بيروت وحاولت أن اتصل بصاحب مكتبة التوبة التي طبعت فيها عشرة كتب، وهو يزورنا في البيوت ومنطقه حلو ولكنه لما علم أنني في بيروت قطع المحادثة ولم يرد علي، وجئنا في العطلة الأسبوعية فذهبنا إلى التلفريك وصعدنا فيه ثم ذهبنا إلى منتزه في مصب نهر العاصي إن صدق صاحبنا ثم عدنا في يومنا إلى دمشق ونحن نستخدم سيارات الأجرة ثم عدنا إلى عمان وفيها ارتاحت نفوسنا وأخذنا صاحب سيارة أجره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يشك أننا من اليمن، فقال: أنا من الفلسطينيين الذين خرجوا من الكويت واخذ يتحدث بكل حقد يحمله وقال تعالوا من الجنوب للسعودية ونحن نقابلكم من الشمال. فقلنا كفانا الله شركم وعرف إننا من السعودية فخنس، ونزلنا عنه في أقرب فندق.

وفي عمان قابلنا زميل للدكتور/ سليمان وسهرنا في أحد المطاعم الضخمة ثم غادر إلى تبوك وهناك مكثنا في الجمرك أربع ساعات مع معرفتي بمدير الجمرك عبيدالله العطوي، وبكثير من الموظفين بل حتى مدير المباحث وأخذوا يحادثوننا قلت لهم: ألا ترون أنكم معنا ونحن محجوزون هنا أربع ساعات والله إني استحي من ضيفي، وليته يكتب عن تلك الحادثة، فقالوا أنتم في سيارة أجره، ولابدّ من التحري عنها فإذا أردتم تركها فنحن ننقلكم في سياراتنا، ولم نعلم عن هذا الحل إلا في آخر لحظة فركبنا سيارة الأجرة.

ومن أفضل الرحلات إلى سوريا أنني ذهبت مع إبراهيم المحينة وابن الأخ الأستاذ/ صالح محمد بعوائلنا وذهبنا إلى شمال سوريا في كسب واللاذقية ثم حماة ووجدنا في الريف أن المطبخ فيه صنبوران أحدهما للشرب والثاني للتنظيف، فعجبنا من قدرة التنظيم والتخطيط مع فقرهم، وفقدنا هذا التنظيم في السعودية مع وجود المال وقلة الماء. مازال الأمر حتى الآن بعد ثلاثين سنة.

إن الماء يذهب هدراً حتى بعد معالجته ويجتمع في بحيرات تجمع الذباب، والبعوض وسائر الحشرات وسائر النبتات العشوائية، وقد طلبت في مجلس المنطقة بإيجاد متنزه حوله وغضب عليّ مدير مصلحة المياه فلماذا أثيره أمام الأمير. فقلت له: إن الأمر للوطن ولم تكن أنت المقصود بذلك فالمهمة أكبر تشترك فيها الزراعة وأمانة البلدية وأنتم.

ومن الرحلات الماتعة مع العقيد الدكتور/ هويمل عودة العطوي وهو رغم صغر سنه فإن صحبته من أفضل الذين سافرت معهم لتقارب الأهواء وقد عمدنا إلى حجز الرحلة في (جروب/Group) من عمان إلى تركيا وهناك نزلنا في أضخم الفنادق (انتركنتنتل) ورأيت فيه بوابة الأمن التي لم أرها إلا في المطارات وقريباً منه الأسواق الضخمة والشعبية والمطاعم التركية اللذيذة والبحر قريباً منه، وقمنا بجولات على المساجد العثمانية والقصور ذات الفخامة والعجائب الهندسية إنها ميزات الحضارة الإسلامية، وتجولنا في مدينة اسطنبول المدينة الكبيرة، ثم قمنا برحلات عبر الجسر المعلق لكثير من الجزر الجميلة.

واشتقنا للعودة بشكل لم نعهده إنها رحلة جميلة، مع إننا لم نستطع أن نتعرف على المجتمع إلا قليلا وقالت إحدى المسؤولات عن تنظيم الرحلة أنها تحفظ أجزاء من القرآن الكريم وإن والدها يحفظه وقالت: أن لبسها القصير هذا من أجل العمل ولعل الأمر اختلف الآن فيتاح لها العمل وهي مستترة المفاتن.

وعاودنا الرحلة إلى بيروت في (جروب) وطلعنا بالطائرة من عمان إلى بيروت ورأينا الجمال وحضرنا حفل زواج على الشاطئ جاءت العروس في قارب وهو زواج رسمي حضره رفيق الحريري، وكثير من أعيان الدولة الذين نعرفهم. ولكن نراقبهم عن بعد ولم نجتمع بهم غير أننا مرضنا فأكل لبنان فيه وفرة ولكن ليس فيه نظافة قوية.

ومن الرحلات للأردن أحببت أن أحضر فعاليات الثقافة المصاحبة لمهرجان جرش، فاصطحبت أسرتي واستأجرت شقة قريبة من مركز الحسين الثقافي، وحضرت محاضرة لرئيس الوزراء السابق طاهر المصري حول محاكمة البرلماني، وكان الحوار قوياً كدت أن أدخل في الحوار ثم ذهبنا إلى جرش وتجولنا في الأماكن ولم تستهوينا الاحتفالات الراقصة ثم عدنا إلى الشقة وفي الصباح كنا على موعد مع الأخ خضر

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حماد وأسرته وأسرة العميد سعيد إبراهيم للذهاب للبحر الميت وكانت رحلة للأسرة جميلة فلما عدنا مساء إلى الشقة وجدنا صاحبها واقفا وقد ارتبت منه ومن قبل كنت مرتاباً منه فلما دخلنا الشقة وجدنا أن التلفاز قد أُخذ وهو قريب منا ينتظر إشعاره بذلك لتقوم القضية فقال: أنتم سرقتموه واتهمني وبادر إلى إحضار الشرطة وإذا بالضابط يقول: إن التلفاز أخذ بلا سطو فمعناه أنتم الذين أخذتموه مصدقاً لصاحب الشقة، فقلت لهم: أنني عضو هيئة تدريس في الجامعة وأنت أيها الضابط بهذه البساطة تتهمني، فأصر فقلت له: أنا سأخبر الأصدقاء في البرلمان والزملاء في الجامعة، أمّا أنت يا صاحب الشقة فسأعهد بالأمر لجماعة البدو في القطرانة ليحضروا هنا، فلان الحديث وقالوا سنحيل الأمر للنيابة فقلت: وهو كذلك، فلما حضرت للنيابة قال القاضي: أن الحق لك وقد اعترف صاحب الشقة بأخذه التلفاز ولكن لم نستطع البقاء في تلك الشقة من تلك الليلة وقد حضرت أمسيات متعددة في مهرجان جرش ومنها أمسية للشاعر السعودي حسن القرشي.

في عام ١٤٠٠هـ كنت مكلفاً برئاسة لجنة الاختبارات في معهد الإحساء وكان زميلي في جمرك (سلوى) الأستاذ عطاالله هرماس رئيساً للجمرك والشيخ عواد عيد المدمي. مستشاراً فيه وقررت السفر إليهم في عطلة الأسبوع فلما جئتهم هناك التقيت بالأستاذ عثمان الرشودي أخو حمد الرشودي رئيس الجمارك العامة، وقد تعارفنا في جلسة واحدة وطلب صحبتي معه لزيارة قطر وهي قريبة جداً فشكرته على الرفقة وذهبنا في صحراء ممتدة حتى دخلنا الدوحة، وإذا بالطرق المعدة والمزروعة ممتدة خارج المدينة، وإذا بها صغيرة جداً ومن معالمها الفندق، ومجلس الوزراء وتجولنا فيها ثم عدنا للفندق، ومما لفت انتباهي إطالة الأستاذ عثمان في صلاته ثم في جلوسه بعد الصلاة أما أنا فالعجلة والسرعة دأبي ومازلت اشتكي قلة الخشوع في الصلاة أثناء السفر حتى

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

الدعاء بعد الصلاة اختصره وأتمنى أكون مثيلاً له في ذلك، وقد التقيت بولده الشيخ وليد عثمان الرشود بعد ذلك في الحوار الوطني.

وأنا الآن يذهلني تطور قطر في تلك المرحلة الزمنية، ومثلها تطور دبي وسائر الإمارات الخليجية التي كررت الزيارة لها فقد زرت دبي مع الدكتور سليمان الرحيلي في جولة سياحية ثم زرتها في رحلة علمية لحضور جائزة أمير الشارقة، وقد زرته مع الوفود من الدول العربية في مكتبه وتحادثت معه فأنا رئيس الوفود في تلك اللحظة قدموني لأنني عضو مجلس الشورى ورئيس النادي الأدبي وأستاذا ومؤلفاً.

وقد تابعت مسيرة جسر الملك فهد بين المملكة والبحرين وتمنيت زيارته وزيارة البحرين، ولكني أخشى من القيادة على الجسور بعد حادثة على جسر الأخضر المكون من عشرين عيناً أعده الأتراك لطريق القطار الحجازي، فكانت مع صاحب سيارة حديث عهد بالقيادة ومعي صديقي منيزل بن عيد، فإذا صاحبنا قد اضطرب والطريق ضيق جدا فلم يتمالك منيزل إلا أن أمسك بالمقود وحرفه رغم بعده عنه، وانطفأت السيارة بعد أن شارفت على السقوط، فإن الإطار على حافة الحجر ونزلنا من الجانب الثاني، وبعده كلما ذهبت إلى الخبر أو الدمام لم أستطع الذهاب بسيارتي حتى كان تواصلي مع أحد الأصدقاء بعد مناقشة رسالة على أن يوصلني أخوه إلى البحرين، ولكنه لم يحضر فقررت أن أخوض التجربة وإذا بها أسهل مما كنت أتصور أو أتوهم. وزرت البحرين فإذا بها أقل مستوى في التجارة والأسواق من الدمام والرياض وعدت بعد ليلة واحدة.

ومن الأصدقاء الأستاذ/ سالم عودة العطوي مدير مكتب جريدة الرياض وهو دائم التواصل معي ومع منتدى السبتية وهو الأكثر حضوراً في أنشطة النادي وقد أخذني في رحلات متعددة لمزرعته في ((الديسة)) ذات الطبيعة الجميلة وقد صحبته في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رحلة لجنوب الأردن وقد أكرمنا اصدقاؤه وأكلنا المناسف عندهم، وزرنا مواطن أثرية متعددة وقد زرنا أسرة العسوفية من "الرماضين" الأقارب لي وهم يستوطنون قرية "رحاب" في سفح جبلي جميل وكررت الزيارة لأن قريبتي (نوف عيد أبو طربوش) زوجة ل(حميد فريج العسوفي) وهي من الأقارب وقد توفى والدها وأعمامها ولم يبق لها إلا أسرتنا ورزقها الله بالأولاد من زوجها وقد كررت الزيارات لهم وهم في كل مرة يكرمونني وصحبي والواقع أن منطقة ((الطفيلة)) منطقة جميلة حولها وفي قمة الجبل الممتد طويلاً مزارع كثيرة ومراعٍ وفيرة وقد أكرموني وزميلي عودة ثم غادرنا إلى تبوك عن طريق ساحل البحر الميت ورأينا الحدود والاسرائيلية ذات الحراسة المكثفة بشرياً وتقنياً إن مظاهرها توحي بالعداء والحرب.

ومن الرحلات الجميلة في جنوب الأردن رحلة قائدها موسي سعيد أبو ركبة وقد أخذنا إلى "شيحان" وهو فوق قمة جبال ممتدة وواسعة والمزراع تكثر فيها والربيع ومراعيها يمنح المنطقة جمالاً وفي الربيع الماضي أخذنا (خضر زيد) وجمع معه منهم (خليل إبراهيم)، و(عبدالله هليل) وعدد كبير من الأخوان وتمتعنا لمدة ثلاثة أيام وزرنا عددا من المياه المعدنية بصحبة الشيخ ناصر صبحي السليمي إن هذه الرحلة مجمع للأنس، والثقافة، وجمال المنظر.

النادي الأدبي

كانت أمنياتي قيام النادي الأدبي في تبوك، فقد حضرت مع الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك منذ عام ١٤٠٠حتى عام ١٤٠٥هـ في حفل للنادي الوطني في لقاء مفتوح مع الأمير وطالبت بالنادي الأدبي وطلب مني توضيحا لذلك وقدمته إليه في عام ١٤٠٥هـ، ولما جاء الأمير ممدوح بن عبد العزيز أميرا لمنطقة تبوك عام ١٤٠٦هـ جددت الطلب إليه فأيده ورفع به للرئاسة العامة لرعاية الشباب، وقد ذهبت للرئاسة في الرياض ووعدوني خيرا وأطلعوني على ما كتبه الأمير ممدوح. ولم يلبث الأمير ممدوح أن انتقل من تبوك وجاء الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز. وطلبت منه العمل على إيجاد النادي الأدبي، وكنت وقتها التحقت بالتدريس الجامعي في القصيم، وقد طلب الأمير مقابلتي فجئت إليه. فانتقد بعض الأعضاء الذين اقترحت أسماءهم بأنهم لا ينتمون إلى الأدب، فقلت إنهم أعضاء شرف، وخرجت من المقابلة وأنا أشعر بأنها غير ناجحة. ولكنه عمل إلى تكوين مجموعة جديدة ورفعها إلى الرئاسة العامة لرعاية الشباب. وفي تلك الفترة كنت أميل إلى الانتقال للرياض فإذا لم أتمكن حاولت الانتقال إلى كلية المعلمين في تبوك. ولكني في تلك الفترة أطلعت على أني لم أرشح لعضوية الإدارة في النادي فتريثت عن متابعة النقل لتبوك مع أنهم وعدوني لكن تعثر إصدار القرار لأمر لم أعلمه، وإذا بعميد الكلية في القصيم الدكتور/ عبدالله الطيار يستدعيني ويقول يقرؤك السلام وكيل الجامعة، عبدالله الشبل، ويقول لك إن كنت تريدنا فنحن نريدك فقلت: حبا وترحيبا مع وعد النقل إلى الرياض فلم ألبث أياما حتى جاءتني البشرى. وانتقلت إلى الرياض وتفاعلت مع الحياة الفكرية الجديدة، فالبحث متواصل من أجل المعرفة ومن أجل درجات الترقي والمناهج في الجامعة كثيفة وفيها عمق وقد تعمدت الغوص في المراجع لكل منهج أدرسه فأعطي الطلاب ثلاثة مراجع لكل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قضية، وجمع الطلاب صفحاتها في مادة الأدب، فإذا مجموعها في آخر السنة خمس مئة صفحة، وأخذوا المنهج ذاته من زميل لي يملي على الطلاب وكان المنهج في أربعين صفحة. فأخذها الطلاب إلى عميد الكلية الدكتور معيض العوفي زميل الدراسة في الجامعة، وكان رجلا متفاهما مدركا للفارق بين تدريس أعضاء هيئة التدريس في تلك الفترة فقال إن لكل شيخ طريقته في التدريس وتكررت شكوى الطلاب مني عند الاشتراك مع غيري في منهج واحد واذكر أن الدكتور عبدالله الحامد حاضرا في إحدى المناقشات فقال يجب أن يعطى الدكتور مسعد منهجا مستقلا فاستجاب العمداء فيما بعد لذلك.

وكنت أزور النادي في الإجازات الصيفية وغيرها، ولكني لم أجد ترحيبا، وألقيت فيه محاضرة واحدة خلال خمس عشرة سنة من الاغتراب وهي عن (الاغتراب)، وزرت خلالها الإمارة مسلما ولكن طلب مني مدير المكتب لقاء سمو الأمير مع أصحاب العرائض وذوي الحاجات فامتنعت بإصرار وسافرت وقل التواصل مع النادي والإمارة وشاع عند الذين يعرفونني أني رجل غير مرغوب فيه وكنت في زياراتي أخرج متمثلا بقول الشاعر: ((تجده كالطير مقصوصاً جناحاه))، ولم أعد إلا مع وفد رسمي فكلفني مدير جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بإعداد وإدارة ندوة بمناسبة المئوية في تبوك، وعملت عليها وشجعت مدير الجامعة الدكتور محمد السالم على الحضور وطلبنا من الأمير حضورها فاستجاب، ولم أقابل الأمير إلا مع الوفد، وأدرت الندوة إدارة جيدة وتقديما مميزا أثنى عليه مدير الجامعة والوفد، ولما انتهى الحفل وقف مدير الجامعة مع أعضاء الوفد لتوديع الأمير وخشيت أن أصطف معهم من باب التطفل فأنا ابن البلد. ووقفت بمحاذاتهم ولست معهم ولكن سمو الأمير أنعطف وسلم علي كأني من الوفد ثم سلم عليهم. فشعرت وشعر أهل تبوك بشيء لم يكن على البال لي ولهم

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

هذا الموقف الذي قدرته كل تقدير، وأخذت أتواصل معه ثم جاءت جائزته ودعا المثقفين من أهل المنطقة وكنت منهم فرأيت الاهتمام من سموه. ولما رشحت إلي مجلس الشورى من قبل الإمارة ولم أعلم عنه، ومن قبل الجامعة ولم أعلم عنه إلا بعد صدور القرار بزمن. بعثت ببرقية شكر لسموه، ثم بعد ذلك توالت زياراتي لسموه وأجد محادثات سريعة ولكنها جيده.

وكنت أحرص على نشاط النادي ولكنهم لم يستجيبوا لي حتى أني أرسلت لهم كتبا محكمة عن الوطن والمجتمع والأدب السعودي، فبادروا برفضها مع أنها من مهام النادي إضافة إلى أني من أهل المنطقة، وفي تلك الفترة طبعوا كتبا ضعيفة جدا. فأرسلت لهم كتاب (الشعر والمجتمع) وهو أحد الكتب التي ترقيت بها للأستاذية وحكمه ثلاثة من كبار الأساتذة فرفضوا طباعته، ثم بعد سنتين أرسلت لهم كتاب (الفكر في شعر الخليج العربي) ووضع رئيس لجنة النشر، شروطا قبل عرضه على الفاحصين وهو منهج جديد وقلت لهم إن هذه الشروط ليست منطقية، وأخذ الزميل د.عبدالله عودة العطوي الكتاب وعرضه على نادي الجوف الأدبي وانشغلت عنه أشهر قليلة ثم أصررت على طباعته فكلمت رئيس نادي الجوف الأدبي الأستاذ عيد سهو أطلب منه عدم طباعته فقال لي الأمر ليس بيدك الآن هو في المطبعة ويخرج بعد أيام فقلت له لم نطلب له ترخيصا فقال كل ذلك عملناه لأن الكتاب بكل صراحة مميز. فشكرت له وخرج الكتاب بطباعة مميزة لم يطلب مني أي تغيير يئست من العلاقة الحميمة مع النادي الأدبي في تبوك فقد مددت يد التعاون للتعرف بالمثقفين بل إن أي شيء يمت لي لا يجد قبولا. وقد طبع لي نادي القصيم الأدبي كتاب (الاتجاهات الفنية في القصة القصيرة) وقد عاتبني رئيس نادي القصيم الدكتور/ حسن الهويمل على عدم عرض كتاب (الرمز في الشعر السعودي)، فقلت طبعتم لي كتاب القصة، فقال: لا يمنع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك مادام الكتاب يخدم الشأن الثقافي عن الوطن وأشتري نادي جده الأدبي، خمسين من كتاب (الغزاوي وآثاره الأدبي) بخمسة آلاف ريال هذا مبلغ كبير من الأندية ضعيفة المكافأة فشكرت رئيسه الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، ونلت جائزة أبها حين قدمت كتابي (الفكر والشكل في الشعر السعودي)، بمعنى أن لي علاقة مع النوادي الأدبية وغالبا ما يوجه لي السؤال أين أنت من نادي تبوك الأدبي لم أرد أن أدخل في نقد في الصحافة للنادي خشية أن يكون ذلك خارجا عن الموضوعية.

مشكلتنا أن الفرد إذا كان مديراً أو كان له دور في العطاء أوالمنع فإنه يعتبر أن الأمر ملكه ولو أنه فكر قليلاً لأَدرك إنما هو خادم لتوزيع الأمر وإدارته بأمانة لا يمنع إلا من يستحق المنع ولا يعطي إلا من يستحق العطاء فهي أمانة والمسلم أولى بحمل الأمانة، ((وويل للشجي من الخلي)): والمشكلة تكمن في الأعضاء الذين يمنحون آراءهم لفرد من الأفراد فإذا قال قولا فالسمع والطاعة بلا قراءة ولا معالجة ولا نية للدعم ولا نية للتشجيع وهؤلاء يتحملون مسؤولية الأمانة فأنا وإن كنت رئيساً أميل لمناقشة الموضوع بل الوقوف ضد الأهواء الذاتية وفي ذلك حماية لي. ولو عمل أعضاء اللجان وفق اللائحة وتقديراً للمواقف لاستطعنا طباعة عدداً كبيراً من الكتب القيمة، ولشجعنا الناشئة. وللاستحواذ هذا فقد رفض النادي كتباً كثيرة مع قناعتي بطباعتها ولأني لا أرغب المواجهة والمخالفة فأذعنت للتصويت العام بل حتى تطوير المجلات وتطوير الطباعة لم تستطع اللجنة تطويرها لأنهم يقدرون بعضهم وربما يفوضون أحدهم بلا حوار ونقاش وهذا يغرر بالفرد ويظن رأيه صائباً، وليت العضو إذا رأى في نفسه ميلاً مخالفاً للعقلانية أن يجتنب المشاركة في النقاش حول الموضوع. فهذا الأسلم أمّا أن يتعمد الإجهاض فهنا غياب الضمير وهيمنة النفس الأمارة بالسوء ومنح الثقة في

رؤوساء اللجان مرض اجتماعي يخفي الحقائق ويجعل الرأي مريضاً وقد رأيت كثيراً منه خلال حضوري الاجتماعات فليس الأمر مقتصرا على النادي.

وقد مارست الجدل والمعارضة لكثير من اللجان فنجحت في بعضها واخفقت في كثير منها. وأكثر اللجان والمجالس حوارا وصراحة هي مجالس الأقسام في الكليات وكذلك مجالس الكلية وكذلك لجان مجلس الشورى.

في عام ١٤٢٦هـ أخذت التقاعد وأنهيت دورة مجلس الشورى التي لم أمكث فيها إلا دورة واحدة شأني شأن الأدباء د.منصور الحازمي، د.عبدالله العسيلان وغيرهم. بعد أن تفرغت ملت للعودة إلى تبوك، وأنا أفكر كيف التواصل الثقافي بل ظل هاجسي حتى قبل التقاعد فتبوك تقل فيها المكونات الثقافية. وأخشى ما أخشاه أن ينزل مستواي الثقافي. فعقدت العزم على إقامة المنتدى الثقافي في منزلي وقد أعددت منزلي له وللمكتبة. ولكني قبل أن أقرر النقل التقيت بأمير المنطقة فهد بن سلطان ومن العجب أن يتواجد معي الدكتور بشير الغريض وكلانا أخرجا من المجلس، فكان موقفا يدعو للسخرية منا لكننا دخلنا على الأمير، فقلت له إنني أريد أن أنتقل لتبوك ومطلبي أن أمارس الثقافة إشارة إلى المنتدى الذي أسسته فرحب بي، وبعد الانتقال والاستقرار في تبوك علمت أن الأمير كتب للوزارة يطلب تعيني رئيسا للنادي لأن رئيسه تقدمت به السن وضعف بصره. وقد بذل جهدا كبيرا وبنى النادي لأكثر من عشر سنوات وهو أستاذي (محمد عرفة) وأنا أتمنى له كل خير وأجر فبارك الله في عمله، ومن إبداعه أنه حصل على أرض مميز موقعها وقام ببناء المبنى للنادي الذي خدمناه بعده ، ولكن جاءت مرحلة التغيير مع الوزير إياد مدني ووكيل الوزارة عبد العزيز السبيل ووضعوا هدفا هو تغيير رؤساء الأندية السابقين كلهم لأنهم مكثوا فيها أكثر من عشرين سنة. وأصدروا أمرا باختيار عشرة من الأدباء في كل منطقة وينتخب العشرة رئيسا لهم ونائبا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومسئولا ماليا وإداريا. وكنت ضمن العشرة في تبوك وتم اختياري رئيسا. وقد اتخذت قرارا ذاتيا أن أتعامل مع النادي حسب التصويت فالإدارة إدارة ديمقراطية. وعقدنا أول مجلس للنادي فاستبان لي التباين، لم أستطع أن أرسخ كيفية كتابة المحضر فالإخوة من الجامعة أيدوا لكن الذي يقوم بالكتابة لم يستطع أن يروض نفسه على الكتابة النظامية للمحاضر، وحاولت معه المرة تلو الأخرى ولكني استسلمت للواقع فهو أمر ثانوي. جاء القول حول بدء النشاط الثقافي فتبنى أحد الأعضاء من المجلس القديم فكرة التخطيط أولا ويحتاج إلى شهرين وأصررت على أني لا أعارض التخطيط، ولكن النشاط يبدأ فورا جنبا إلى جنب وأكثر الإخوان كان معي وقرنا زيارة لسمو الأمير فهد بن سلطان في قصر الإمارة، ولكن لم نلبث أن تصدر إحدى الصحف الثقافية نقدا لتكوين المجلس من أحد الأعضاء نقدا لاذعا، وأنا أدرك مقاصد الرجل من قبل فلم أحفل به ورددت عليه رداً منطقيا، غير أن الأمير أنصفنا منه. وقد وجهنا الأمير وطلب منا العمل الجاد والتواصل الثقافي حتى مع مثقفي العرب وانطلق العمل وقد تم تكوين اللجنة المنبرية من الدكتور/ عويض حمود العطوي، والدكتور/ سعد العريفي، وأنا رئيس لها. وكان كل منهما كفيلا بإدارة النادي إدارة كاملة وانطلقت انطلاقة قوية للحق، غير أن الدكتور عويض التحق بدورة في الرياض، وعمل الدكتور سعد العريفي عملا جادا قويا فاستقطبنا عددا من أهل المنطقة ومن خارجها. لكن الإخوة لم يعهدوا العمل التصويتي في المجلس وأراد كل منهم تأمين ما يريده فلم أستجب لهم وأولهم الدكتور سعد العريفي فنسبوا لي الضعف والخنوع. فلم أبالي، واعتزل الدكتور سعد العمل بهدوء فقمت بالعمل فانطلق صوت النادي مدويا وأردت من اللجنة الإعلامية أن تواكب الحدث واستقطبنا الصحافة ولكن العمل الإعلامي الداخلي في تبوك أريده أقوى مع أننا نرسل ثلاثة آلاف رسالة للفعالية الواحدة، لكن توزيع النشرات ضعيف بل وجدت

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

أن الموظفين لا يعملون، فمنهم من كلفناه بتوزيع رسائل على الدوائر الحكومية فوجدها الأستاذ علي آدم تحت مرتبة السائق واجتمعت مع الموظفين وكلهم شباب وقدمت لهم عروضا مغرية إن هم عملوا ولكن الجمود والخمول طاغ على الشباب فالمسؤول عن التوزيع شاب لعوب فيه قدرة التموج مع لطفه، وقد شجعته مع أمين المكتبة إن هما جذبا لنا أعدادا جيدة لفعاليات النادي ولكن قل العدد فلم يقوما بالتوزيع زيادة على ما هو معروف لديهم. وقد حاولت مع الدكتور سعد استقطاب بعض طلاب الجامعة وتشجيعهم بمبلغ مالي فلم نجد شيئا له تقدير، وإن كنت أتهم الشباب في النادي بتعميم منهجهم على كل من يتعاون معنا. وكنت أحثهم على ممارسة الفعل الثقافي لتطوير فكرهم حتى نواكب الحراك الثقافي ويكون دافعاً حماسياً للعمل.

أمّا الإعلام فكان فيه ضعف وليس هناك إبداع يذكر ولا متابعة ولا قدرة على شمولية الدعوة للمحاضرات والندوات وظل الأمر اجتهادا حتى اتينا ببعض الأخوة المتعاونين ومنهم (فايز العنزي) فقد أبدع إبداعا وأراحنا وكنت أرى أن المسؤولية الإعلامية مغنما من خلالها تبرز مكانة الأديب بتواصله مع الآخرين وبكتابته التقارير الصحفية غير أن الأخوة لم يبالوا بها.

وهناك عقد واهية لأولئك الذين لا يعملون ولا يكشفون عن أفكارهم وهم يرون أن الفكرة فكرتهم فإذا كانت ضمن الفريق لا تنسب للفرد وهذه حاولت معالجتها بالإفصاح عن كل صاحب فكرة أو عمل حتى في الصحافة والنت والإعلان في المحافل، ولكن الفكرة ذاتها خاطئة فالعمل أولا لله، وثانياً لممارسته، وثالثاً لتوضيح أهمية الفكرة وكذلك لظهورها في هذا الميدان الصالح لها وبعده تموت الفكرة لأن الموقف ولدها، والعمل بها يزرع الثقة ليشهد الناس بها، وبعضهم يخشى نجاح العمل للآخرين وهذا مرض في صاحب الفكرة ذاتها فلو عمل بها لفرض نفسه على المسؤول ومن هنا ماتت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفكار كثيرة وحرم الإنسان أجرها وأثرها ومن الأفراد ما يكون انتهازيا وهو لا يعمل ولكن يبادر للظهور بلا مبرر، إمّا بطلبه العمل أو محاولاته الفردية والواقع أن العمل هو خير لاسيما من صاحب النية الصالحة.

وكان من أكثر أعضاء النادي تفاعلا الأستاذ/ على آدم طوال السنتين الأولتين ولكنه تأثر منشغلا بلجنته في النشر والطبع.

وبعضهم أثّر على مدير الجامعة حتى أعلن مدير الجامعة عدم التعاون مع النادي الأدبي، وبدلا من تقديم الجامعة بعض فعالياتها في قاعات النادي مجانا فأخذت الجامعة تقدمها بأكثر من عشرين ألف ريال في القاعات الأخرى مع أني حاولت تفنيد الأمر لمدير الجامعة ولكنه رفض ومع ذلك فنشاط النادي أفضل بكثير من نشاط الجامعة في تلك المرحلة رغم ضعف ميزانية النادي. بل أعلنوا لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة عدم ممارسة المحاضرات والندوات إلا بإذن من الجامعة وتلك ممارسة قهرية أذعن لها بعض الإخوة المتعاقدين ورفضها بعض الأساتذة في الجامعة لكنهم حصلوا على لفت انتباه إنها مسألة أولئك القابعين وراء مكاتبهم يظنون أنهم يعملون وهم مكبلون. ويعود ذلك لضعف الثقافة للمسئولين عن التواصل الثقافي في الجامعة فمن صالح الجامعة أنها تستحوذ على الثقافة وتكون بانية، ويظهر نشاط الأعضاء في المنطقة، ومع ذلك فالقافلة تسير، فلم يزعزع كل ذلك نشاط النادي واستمر حتى ظهرت معارضات للتدفق النشاطي من خلال الأعضاء وبعض المسؤولين في المنطقة فيلمزون لي أن الأوائل لا نشاط لهم، وأنتم تجاوزتم الحد مع أن الأوائل قاموا بمجهود كبير، ولبعض ما حدث من مواقف فقد كدت أن أقدم استقالتي وعرضت الأمر على الأصدقاء، فأيد بعضهم الاستقالة وقال بعضهم أصبر ولا تسقطك الصدمة الأولى، فصبرت وواصلت المسيرة في تلك العقبات الجمة فصبرت وقد تمثلت بقول القائل صبرا

على مجامر الكرام صبرا وعاقبة الصبر الجميل جميلة بل إن الصبر مع الكرام الذين لا قدرة لكم على إقناعهم هو الحيلة الأفضل، وقد حصدت نتيجة هذا الصبر، فقد أكرمني الأمير فهد بن سلطان أمير تبوك بالتقدير وأضحى داعما للنادي ولي. وقد ساعدني المجلس، فالناس في الأغلب يصوتون للحق رغم عدم رضاهم الذاتي، وقد حاولت الاعتدال والأخذ بالحق، واطلاع المجلس حتى على المصروفات والمشتريات لا تخفى عليهم خافية وأبعدت ذاتي عن كل ما تميل له النفس، وأردنا نشاطا عاما واستعددنا لحفل تكريمي للأعضاء السابقين وبعثنا للإمارة بخطاب وحاولت الاتصال بالعلاقات، ولكن عدم الرد على المهاتفة هو الغالب، وحددنا يوما ولكنه رُفِض، وفي ذات يوم بعد صلاة الظهر والغذاء نمتُ فإذا مدير العلاقات يتصل بي يقول نحن جاهزون للحفلة الليلة، فقلت أما نحن في النادي فغير جاهزين. إن الذي يحضره الأمير يحتاج إلى دعوات وتجهيز إعلانات ودعوات المكرمين من خارج تبوك. ولست أدري عن ردود الفعل، وزاد القلق لي، وأنا أقول لماذا هذه المعاناة وأنا في غنى عنها، ولكن تارة أحس بفضل النادي وتواصله الثقافي، وقيمته في الوطن كله فألوذ بالصبر، وقد استمال النادي الوجهاء والأعيان فشعروا بالنادي وفعالياته حتى الذين لم يحضروا فهم يتابعون الصحف والنشرات، وكثير من الإخوة الوجهاء يدعمونني بالرأي والمشورة ويشجعونني على المواصلة. وفي ذات يوم كنت أنتظر في مكتب عميد الكلية إذا بشاب يقول مات النادي فقلت له نعمل جهدنا نرسل الرسائل ونكتب في الصحافة ونوزع فهل حضرت للنادي وأطلعت عن كثب فقال: أترفع عن النادي. فلم أقصر بأن أمطره بوابل من التوبيخ الذي يستحق أكثر منه لكني لمت نفسي ثم عرفت مصيبة الانطواء والالتزام وما يولدانه من وهم، وحقد، وغرور وهمي للذات فإنه وأمثاله أشر من النار على أنفسهم وعلى غيرهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم نلبث زمنا طويلا وفي ذات يوم دخلت على العميد فقال نفس المقولة وقال إن النادي مات بعد الدكتور أحمد، وهو سوري فقلت: ألا تحضر وتحكم وأنت مؤهل شرعي، وهل تقرأ الصحف، وهل تقرأ الإعلانات في الجامعة والكلية، وقال إن النادي مؤسس يخضع ويخشى الإمارة، فقلت له والحق أقول إن الأمير لم يتدخل ولم يمنع أحدا من الذين دعوناهم ولم نستأذنه في ذلك ولم يلمنا بل كان يشجعنا. ومن منطلقه هذا منع أعضاء التدريس من التعاون مع النادي إلا بعد إذن منه واستجاب له مدير الجامعة حتى بعد قولي لمدير الجامعة إن هذا الأمر يحول بين المشاركة الثقافية والاجتماعية للجامعة الذي يرفع صوت الجامعة ويكشف عن مخرجاتها ويسوء للجامعة وأعضاء هيئة التدريس، وقلت له إن الدكتور موسى العبيدان نائب رئيس النادي والدكتور عويض العطوي من أعضاء النادي وكلاهما له اسهامة. والنتيجة إصداره أمرا بمساءلتي عن غياب قبل بدء التدريس في الكلية وكذلك لومه لعضوات التدريس اللائي حضرن معرض الكتاب قاتل الله قصر البصر والبصيرة، وكان العميد قد كتب لي خطابا يدعوني فيه لأول محاضرة في الكلية يحضرها مدير الجامعة وأشار إلى مكانتي، وأعددت المحاضرة عن الثقافة وبقدرة قادر تحوّل المحاضرة إلى آخر ولكن هذه المحاضرة أعددتها في بحث وكذلك ألقيتها في جامعة طيبة في المدينة المنورة عام ١٤٣٢هـ، إن غياب المشورة وفقدان الموضوعية كل ذلك مصدر لعناء المدير الإداري وضعف الأداء ، ومن هنا فإني أتمنى إيجاد حلقات نقاش وحوار داخل كل مؤسسة. وغرس قابلية الرأي الجديد بعد التمحيص والإذعان للتصويت ومواصلة المشورة وتطوير العقل المتصيد للحق والخير والعدل.

وفي ليلة دعاني الدكتور وافي البلوي للعشاء، وتعرض لي دكتور من الجامعة باللائمة وتركت له فرصة إبداء ملحوظاته فقال لماذا لم توزعوا رسائل، ولماذا لم تفعلوا في

الصحف ولماذا لم توزع في لوحات الإعلانات في الكلية وكلها نعملها وقال له الأستاذ عليان الشامان وكيل الكلية في هذا اليوم الإعلانات منشورة عن المحاضرة الآتية حينما زرتني في المكتب، وقلت له: ليتك تحضر محاضرات النادي وهكذا عشرات اللوم بالهاتف والحضور والمجالس وكلهم بعد ذلك لم يحضروا. لكن الحقيقة تظهر والعمل بإخلاص يتجلى والمجتمع ينصف والقابعون في أوكارهم: يمتلؤون حقدا وذما. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. إلى جانب ذلك لم التحق بمجلس حافل بالوجهاء أو أركب طائرة، أو التحق في مجالس الوجهاء، إلا ورأيت من الثناء والتشجيع ما يطمئن للمسيرة.

أعود إلى علاقة النادي بالأمير الفاضل المثقف المبدع. كان الأمير في سفر بعد المقابلة السابقة وبعد رفض إقامة الحفل على عجل، فلما جاء لم أعلم باستقباله وزرته في اليوم التالي وإذا بجمع من كبار الضباط يتقدمهم قائد المنطقة، ومدير الشرطة اللواء أحمد الحواس وسلمت معهم على الأمير فرأيت أني نشاز في المجلس فقلت للأمير يبدو أنكم في اجتماع وأنا جئت مسلما لذا أستأذن سموكم فقال لي هو كذلك، ولكني أريد أن تقيم حفلا بمناسبة اليوم الوطني في يوم كذا بعد عشرة أيام وذلك كان في رمضان، وكان لفتة رائعة من سموه أدركت من خلالها أنه يؤيدنا ومتابع لنشاط النادي فأخذنا بالاستعداد للحفل وأكثر برامجه أمسية شعرية وتوزيع دروع التكريم على الأعضاء السابقين ولكن مسئول الجمعية الثقافية ينتهز الفرص الجاهزة، فقال يريد أن تشترك جمعية الفنون والثقافة مع النادي وهم لم يعملوا شيئا فاعترض الإخوة في المجلس ولكني حاولت عدم عرضه على المجلس وقلت لهم سأحادث الإمارة ورفضتُ قبوله إلا بخطاب رسمي لأنني كلمت الأمير عن النادي فقط.

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأتى تعميد من وكيل الإمارة. وأقمنا حفلنا الرائع، وأشار الأمير إلى أن النادي هو الذي قام بالعبء الأكبر، فأدركت إلمام الأمير بالواقع وفي كل مرة يعمل مسئول الثقافة مثل ذلك فنجح مرة واختطف الحفل منا في نفس الموعد الذي أرسلناه للمسئولين وهو يدرك الموعد لأنه عضو في النادي ورئيس الجمعية وحضرعنده الأمير وأقمنا حفلنا المتواضع ، وأنا أقدر ثقافته وإبداعه، ولطف لقائه وأتمنى له ولي النية الصالحة والإخلاص في العمل والبعد عن الذاتية.

في تلك الفترة حاولت أن يكون نشاط النادي يجمع بين أهل المنطقة فعقدنا الأمسيات للشعراء، وعقدنا الأمسيات القصصية، والندوات التي تجمع أعضاء هيئة التدريس رجالا ونساء في إطار الدائرة الإعلامية التي لااختلاط فيها ، وظل هذا منهج النادي.

بل حتى الشباب ولكن الاعتراض من الإخوة الأعضاء على إعطاء فرصة للشباب بحجة أن المحاضر ومحاضرته ليست من القوة بمكان، وكذلك بعض المحاضرين الذين لم يحملوا مؤهلات. ومع أن هؤلاء أبدوا إبداعا لكن المناوئين لهم في المجلس أكثر فاعلية. وأنا أدرك أن وراءها نوع من العنصرية وإطفاء لموجة الشباب فاللهم أصلح نياتنا وما أكثر ما أضيق ذرعا بها. لا سيما حين يستمرؤها بعض الأعضاء. فبعض المثقفين همهم المعارضة ومع ذلك فالنادي يستقطبهم ولكن لا يعملون وبعضهم يستنفرون بعض الشباب وبعض الصحفيين ضد النادي، ويدعون إدعاءات باطلة منها أن النادي طبع لرئيسه ونائبه وأعضائه، وقد تبين بطلان ذلك وقال السبيل وكيل الوزارة أنا أدرك ذلك قبل مقالة النادي بالنفي والتكذيب لكن قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا فتارة أتمثل بالمثل: ((بالمداراة تساس الأمور)). وأحدهم ادعى أنه لم تتح له الفرصة في النادي مع حضور الأمسيات فرد عليه النادي بأن نشر صورته وهو يلقي شعره في إحدى

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

الأمسيات، كنت أرى أن كل مثقف يحمل ضميرا صادقا ولكن تبين أن هناك من يحمل ضميراً ملوثاً. والمصيبة الأكبر أن هؤلاء يجدون لهم من ينشر غسيلهم في الصحافة وهذه ليست من الكلمة الحق والاعتدال. وقد غضب مني العضو الغائب الدائم فهدد بالصحافة فقلت له اكتب واشتك عند من ترى فأنا والله وراءك وصممت أن أخرج من الصمت

فــلا يغــررك طــول الحلــم مــني   فمـــا أبـــدا تصـــادفني حليمـــا

ولكنه لم يكتب شيئا إلى الآن، وظل يعمل بالباطن كثيراً ما تحملت هؤلاء وسهامهم ونارهم المحرقة كي يكون العمل الثقافي ناجحا ولذلك لم أبال بهم وسار العمل، إن أثر الحلم حجب عني كثيراً من المصادمات ومن ملك غضبه احترز من عدوه وحسب الحليم أن الناس أنصاره والحلم صعب مناله وأسال الله أن لايعرضنا لمواقف نحتاج فيها للصبر والحلم فإذا أرادها الله فنسأل الله أن يرزقنا الصبر والحلم فلله جنود السموات والأرض، ولم أرفع ضدهم دعوى لكني أدون ذلك للأمانة حتى يدرك الناس أن قيادة الكلمة تحمل معاناة، وأن هناك من يقود الشباب إلى الأدب العابث أو ما يؤدي إلى ضعف الوطنية. بل ويثبط الشباب وأذكر منهم سعود الحويطي فكان ملازما للمكتبة ثم لفعاليات النادي فأجرى أحدهم معه مقابلة واستدرجه لأقوال في النادي غير صحيحة فغاب سعود حياء عن المشهد الثقافي إلى اليوم والواقع أن له مستقبلا وإني لم أغضب منه بل أحبه لأني أدرك مثل هذه الأعمال بل إنني أتمنى أن تصفو نفس صاحبه ولو وثقت من ذلك وأمنت المكر لاحتضنته ودا وحبا فالهفوات تمر مرالعواصف وهذا المثقف جاءني قبل تشكيل النادي وذكر لي بأنه حاول أن يلقى محاضرة في النادي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرفضوا ذلك وأفسحت له المجال فألقى محاضرة في منتداي الخاص ولما تسلمنا النادي أفسحت له المجال ليلقي محاضرة في النادي، والواقع أني لا محذور عندي لأي مثقف أن يلقي محاضرة أو أمسية أو أي تعاون في النادي وهو بعد ذلك أخذ يحاول أن يثير كل شيء حول النادي وليته كان صادقا أمينا على الكلمة فوظف أصدقائه بل حاول الكذب عليهم وظلوا ينشرون عن النادي الأكاذيب وقد صبرت عليه فالصبر حيلة من لا حيلة له والصبر مرٌّ عاقبته حلوه، وهو وأمثاله من الشامتين والصبر على الشماتة مصيبة للشامت. فهل يتقي الله المثقفون في دفع الشباب لأي اتجاه فيحافظوا على شبابنا من الاندفاع إلى الهاوية هاوية التطرف إلى اليمين أو الشمال أو هاوية العنصرية أو هاوية الأحقاد. إن كل هذه الأمور رأيت معالمها للصد عن الثقافة وصدق الشاعر:

مادمت حيا فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المداراة

ومع ذلك فلم أقف ضد مشاركتهم بل أدعوهم لأن ذلك حقاً لهم ولأجل الاعتدال وقهر النفس عن الانتقام ، وفي آخر الأيام في النادي وظف أحد الأعضاء اقربائه ممن يحاولون التقاط الأخبار وكذلك غرر ببعض الشباب وحمل حملة على النادي وكلها مغالطات وأفسح لهم المجال في صحيفة يراسلها وهو كالجذوة تحت الرماد ، وأمنيتي أن تكون الصحافة حرة وتحمل أمانة الكلمة ،وتبتعد عن الأهواء الشخصية ،وبعض الصحف فتحت الأبواب للشللية التي تثير الزوابع والعتب ،و لنقل الخطر يكمن في استجابة مسؤولي التحرير ، ونشر الأخبار بلا تمحيص ولا عقاب لمن خالف ،ومع شكري وتقديري للصحف المتزنة ومدراء المكاتب في تبوك وهم يحملون الأمانة ويتثبتون غير أن هناك ثللية فيهم غربة عن المجتمع التبوكي وهما يخدم بعضهم بعضا ،وقد تبلور

هذا في مواضع كثيرة فهم يضخمون الحدث لمن ارادوا ويبررون لمن أرادوا ،ويمتنعون عن أكثر القضايا وشخصيات المجتمع الصاعده ماعدا الحوداث والغرق وقد تبلور هذا في التكوينات فعسى ألايكونوا كإخوان السوء الذين هم كشجرة النار يحرق بعضها بعضا وقد ظهرت معالم من ذلك ،وأتمنى أن يكون لهم التواصل وأن ينفضوا عنهم غبار الذاتية والثللية والنظرة القاصرة والفكرة الغرائبية ،وهذه ليست مقتصرة على الحالة الثقافية فحسب وإنما تعم قضايا المنطقة ومثل هؤلاء في المناطق الأخرى في سائر الاتجاهات العلمية.

فكم أحرج هؤلاء ومن مسؤول وجاراهم باتخاذ قرار ارتجالي وفيه تجاوز على آخرين بل بعض الأحيان ظلم وقهر وتارة انتصار لشريحة دون شريحة ولعل الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى تتحرى الحقيقة والواقع وأمانة الكلمة والتمحيص بين الحق والكذب وبين نبل الهدف وضيقه

كنت أتمنى من الإخوة الأصدقاء وطلابي الذين يدرسون ويقومون بالتوجيه في المدارس أو إدارات المدارس، بل حتى الأقارب من المثقفين أن يكونوا مشاركين وفاعلين في الانطلاقة الثقافية في النادي ولكن كل ذلك لم أره يتحقق حتى جزء منهم مما أذهلني وأصابني مرات متعددة بالإحباط، ولكن على الإنسان أن يعمل الخير وألّا يتوقع تبلور أثره مباشرة ولكن من يفعل الخير لا يعدم جوازيه. لكنني عقدت العزم على أن أسير وأعمل بما هو متاح لي وأهيئ المناشط الثقافية والواقع أنها كانت تستنزف طاقة النادي كاملة حتى زميلي الدكتور موسى كان يقول لي حين أطلب منه حث همم الموظفين يقول: إنك حملتهم عملا لم يعهدوه من قبل. والواقع أن الفعل الثقافي قام على الإدارة والمداراة أما العمل الإداري قام على المداراة فقط.

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومهما يكن من تهاون وتخاذل فإن النشاط يقوم لمن أراد من المجتمع، وتختفي حالات النقص كثيرا، والذي يسعدني أنني أجد في فترات كثيرة اندفاعا وتجاوبا من الأعضاء والموظفين يزيد من توهج العمل وإنجازه. ومن أفضل الجوانب في العمل هو جانب المالية فالمسئول المالي زميلي وصديقي الشاعر الأستاذ مسلم بن فريج العطوي وقد أتقن العمل المادي، بل وأنجزه بل لم يكن هناك تأخير أو خلاف فأنا قد أمنت من الجانب المالي الذي يشكل عمله ركنا من أركان العمل في كل جانب فجزاه الله خيرا ومن الموظفين العاملين طيبي الأخلاق فأحدهم: فهو ينجز العمل، بل يعمل جل عمل الموظفين، ولكنه يلوي عنقه لرأي زملائه الذين يخذلونه في العمل، وهو أيضا غير محافظ على أسرار العمل حتى المكتب عندي غير آمن فقد كسروا أدراجه، وأخذوا الأوراق، مع أني أرشدته وأرشدت كل زملائه ولم أكلفهم فوق طاقتهم وتبين لي أنهم أحسن حالا من أمثالهم في الدوائر الأخرى. فالشباب ينقصه الهمة والعزيمة، ويفتقد التدريب العملي، الذي يؤدي إلى التفاني والإخلاص والانجاز يتماثل الجامعي مع الآخرين فالعمل الإداري لم ينجز شيئا بل كان يقف ضد التطور ولم يحافظ على الأرشيف، ولم يحاول تطبيق أكثر قرارات المجلس الإدارية بل يرى بعضهم نفسه فوق الإدارة، وكنت أحاول المرة تلو الأخرى أن نتعاون على الانضباط الإداري، وتحقيق ما ينظم العمل الإداري، ويطوره، ويخرج مبنى النادي جيدا ولكن أدى عدم التعاون إلى تثبيط الهمم من الانجاز، والله أعلم بالمقاصد، ولذلك حافظت على ضرورات ما تقوم به الفعاليات، وضروريات المحافظة على صرف المال إلا في محله وكثيرا ما أضع الأمانة في عاتق المسؤول الإداري والنائب ورؤساء اللجان مع أني أحثهم على التدقيق. نسأل الله أن يعفو عنا فيما لا قدرة لنا فيه وفيما تجاوزنا فيه.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

وللحق فإني أميل للأقرباء والأصدقاء بل حتى لعشيرتي ولقبيلتي ولأهل منطقة تبوك وأتمنى لكل منهم رجالا ونساء أن يحضروا المشاهد الثقافية ولكن كل هذا الحب لم يجعلني أنحاز لكل هذه الفئات وأؤثرها على غيرها، بل يعلم الله أن المقدم عندي هو الذي يعمل ولم أكلف أحدا إلا ورأيته هو الأولى من غيره باستشارات الأعضاء، ولم أمنع أحدا إلا إذا خشيت منه عرقلة العمل في النادي وفعالياته. كنت أتهالك في طلب المزيد من العمل بل كنت أغض النظر عن التجاوزات من الأفراد، وأغضب مرات وأحاور بغضب إذا تجاوز الأمر ولكن ربما أظهر الغضب لأقوم بتعديل المسار ولكني ولله الحمد لا أتبع هوى النفس بإيقاع العقاب أو عمل الدسائس فقد أخذت بمضمون أقوال الفلاسفة خالف الهوى ولا تتبع رغبات النفس وقد علق في نفسي قول الشاعر:

إذا طالبتْكَ النَّفْسُ يوماً بشهوةٍ ... وكان عليها للخلافِ طريقُ

فخالفْ هواها ما استطعْت فإنما ... هواكَ عدوٌّ والخلافُ صديقُ[1]

وأقف وقفة متأنية مع الصديق الشاعر محمد فرج العطوي فقد أعجبت بشعره منذ طلبه في جامعة الملك سعود ، وهو رجل مبدع له كثير من الدواوين ولي معه لقاءات على المستوى الاجتماعي وهو مشارك ثقافي وهو قادر على إدارة النادي وقد أحسن صنعاً بإخراج مجلة حسمى فهي صدى للمنطقة وقد تعاون في كثير من المناشط ولو اختلفنا فإننا نلتقي للعمل معاً.

---

(١) التمثيل والمحاضرة: لأبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ص٤٥٣.

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم أحاول في حياتي أن أتخذ قرارا مباشرا وإنما أُرجئ التنفيذ لوقت آخر ليكون بعد ذهاب الغضب وبعد التأمل في مكونات القرار حتى الفردي منها وكذلك الأُسري ولكني لست متباطئ حتى تموت القضية بلا حل بل إنني أتخذ القرار بعدها سريعا واحتمل عاقبته وإن كان مرّاً بدلا من تراكمه، فيزداد مرضه ويصعب الشفاء منه أو يزيد المصيبة مصيبة.

إن مجالس النادي هي التي تدير النادي، وكل أمر لابّد من عرضه والمجلس يعقد حلقة حوار ونقاش ويغلب فيها العقلانية وهذا يؤدي إلى القرار الأسلم مهما كان التعارض بين الأعضاء، لكن الاتفاق أو أغلبية الأصوات هو الأصح لكن العلاقة مع الذاتيين وأصحاب الأهواء والمتربصين أمر يدعو للقلق، ولكني اتخذت منهجا أفادني كثيرا هو التأمل في كتاب الله عند القراءة في أوقات الصلاة، وقبل اللقاءات المثيرة أقرأ في كتب الفكر الإداري الحديثة، وكذلك كتب الأمثال، وقد وضعت عند مضجعي الليلي كتاب ((التمثيل والمحاضرة للثعالبي)) ويعلم الله أنه يطفئ شعلة الغضب والحقد ويهيئ الإنسان إلى امتصاص غضب الآخرين ونزواتهم، ولذلك قلّ أن يكون هناك توتر نفسي في المجالس.

وتعرض بعضهم للمسألة من رئيس النادي والأعضاء واللجان، فأحدهم يحضر قبل الموظفين لكن لم يستطع أن يعمل ما يعادل ساعة في اليوم أو أقل. وقد جلست معه مرات وأشعرته أن العمل بركة وأنه يبعد الأمراض النفسية لكن لا سماع للنداء إذا كانت النية سيئة فهم ينظرون ولا يرون، ويسمعون ولا يفقهون، بل وظفهم بعض الجلساء ضد النادي فهم يصرخون ضد النادي، وقد حذرتهم ولكن افترقنا على هذا المشهد الذي أتمنى زواله عن وطني كله، فكيف عن النادي كنت مغتراً أو واهما في نفسي بأني عندي القدرة العقلية والثقافية والإدارية لما أحمله من تجارب جديدة وكل

الجديد والحصري
NEW & EXCLUSIVE

جديد محارب فأتصور أن أكون قدوة في العمل سيما عند الشباب ولكن الواقع غير ذلك، فكنت أحاول التجديد، فأجد الرفض وأرى معالم التوجيه السلبي في أشياء إدارية للتثبيط عن العمل والإنجاز فكنت أُحذر بأني لست بالخبء ولا الخبء يمكر بي، فأنا لا أريد المكر ولكني أحذره ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله لكن على الإنسان أن يحذر بقدر جهده وما فوق ذلك فحسبه الله فحاولت إصلاح الإدارة وحفظ الأوراق بل حفظ صور المحاضر على الموظفين وقد سُحِبت من مكتبي وعندما طلبتها لم يحضروها مع أني جلست معهم جلسات، ولكن كل ذلك يقابل بالتهاون وأنا أعمل بالمداراة مع الإدارة، ففشلت الإدارة ونجحت المداراة حتى أني أعتذر لهم وأحاول إرضاءهم عند غضبهم، إنه مرض الإدارة المعاصرة في مجتمعنا، فالفرد يريد أن يُبذَلَ له كل شيء ولا يريد أن يبذل الواجب عليه، فهو يعرف ماله ولا يعرف ما عليه، ولذلك فإننا في زمن غياب الإدارة وتبلور المداراة مع أنه يجب سيرهما معا جنبا إلى جنب ولكن الواقع فرض على المديرين المداراة في هذا الزمن وأراه من عوامل ضعف الأمة الإسلامية.

استحوذ النادي الأدبي على كل جهدي وقدراتي وأعمالي، فقد كنت أقيم منتدى ثقافياً في منزلي كل أسبوع فلما تحملت مسؤولية النادي حجبته وحولت الجهد إلى النادي. وكذلك لم أستطع أن أواصل البحث الأكاديمي الذي يؤدي إلى تأليف كتاب كامل واقتصر عملي على جمع مقالاتي، وإخراجها في كتب، وكذلك على أبحاث لضرورية المشاركة في المنتديات. وقد وظفت للنادي اتصالاتي بالمثقفين والمثقفات في سائر مناطق المملكة وجامعاتها والنوادي الأدبية.

وكان لعلاقتي الحميمة مع أعضاء مجلس الشورى دور كبير فقد استقطبت أكثر المثقفين ودعوتهم للنادي والملتقيات، وحاولت حتى مع كبار الكتاب والذين لم يستجيبوا هم رؤساء التحرير في الصحف، وذلك لانشغالهم الكثيف وقد استقطبت مدراء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجامعات لعلاقتي معهم مثل الدكتور / أحمد الضبيب مدير جامعة الملك سعود والدكتور/ محمد السالم مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومعالي الوزير/ بندر العبيان والدكتور محمد الربيع وكيل جامعة الإمام والأستاذ / عبد الله الحقيل رئيس الدارة ، والدكتور/ مرزوق بن تنباك والدكتور /محمد الهدلق رئيس مركز الملك عبد الله للغة العربية، ومعالي الدكتور/ عبد العزيز الربيعة وشيخ الأدباء الدكتور/ محمد بن سعد بن حسن والدكتور / فهد السماري رئيس الدارة والدكتور /عبد الله الحيدري ورؤساء الأندية الأدبية.

وكبار المثقفين والمؤلفين وقد دونا تلك الأسماء في إصدار في النادي. ومن علاقاتي فقد اتصل بي معالي الوزير/ بندر العبيان وذكر بأنه في الفندق وزرته وأخذته بجولة ودخل المنزل والمكتبة، لكن الوقت يداهمنا فلم نشرب حتى القهوة وأقنعته بأن يحاضر محاضرة عن حقوق الإنسان، فاستجاب وكان لقاء متميزا. وكذلك اتصل بي الدكتور/ عبدالعزيز المانع أستاذ كرسي (المتنبي) في جامعة الملك سعود وألقى محاضرة عن طريق المتنبي في شمال غرب الجزيرة. وكثير من المحاضرات والندوات تمت بطريقة الود والاستجابة لصديق لهم، إلى جانب من حضروا النادي بدعوات وهم كثير من الجامعات والمفكرين والأدباء من سائر أقاليم المملكة وحاولت جهدي تطوير عمل اللجان، وأن يكون عملها فاعلا ونشيطا، ولكني اصطدمت بما هو واقع مما يحمله الكثير من عدم المبالاة وعدم تحمل المسؤولية، وتارة من الأهواء الشخصية، وبعضهم يريد أن تكون له ميزانية يتصرف بها فرفضت بتردد أولا ثم بشدة ولما طلبت من أحد أعضاء المجلس أن يتعاقد مع جهة من أجل لوحة أعلانية، فأتى لي بورقة تحمل ثلاثين ألفا فقلت هذه فوق قدرات النادي، وكنت أشحذ روح التعاون مع الإخوة خارج المجلس، فأتى لي أحدهم بورقة تحمل سبعة آلاف ريال وهي فوق قدرة النادي ولكنها

أقل بكثير من الورقة التي أتى بها عضو النادي المثقف، والورقتان في عمل واحد ومن هنا رفضت التعاقد إلا بعد عرضه على المجلس، وكان ذلك فيه توازن كبير رغم الاختلافات لكنني أقر بأن المجلس ساعدني كثيراً ضد إفراط بعض الزملاء، بل وتجاوزاتهم ضدي، فالمداولات حول الموضوع، ثم التصويت هما الوسيلة الكبرى لصالح الإدارة والمجتمع والفرد، وقد كشفت في النادي أن المال ليس هو وحدة المغري بل التعامل مع الشباب من كلا الطرفين الأول والمداولة في المجلس تكشف النشاز والانحياز والخطر في المجالس هي ما يسمى باللوبي والتنسيق المدبر من حيث لايدري رئيس النادي ويقوم بها بعض الأفراد لأهواء ذاتية تارة تنجح وتارة تجهض.

وحاولت أن نطور النشر ومواد الطباعة، وأتيت ببعض الرسائل الجامعية التي تبحث في الأدب السعودي، ولم نجد مثلها في منطقة تبوك ولكن الصوت قوي ضد ما يأتي من خارج المنطقة. يتزعمهم أحد المؤثرين فهو صوت مؤثر، ولذا خضعت لجنة النشر لمسيرتها الأولى في أغلب الأحيان مع أننا زدنا الحركة فيها وحاولنا جاهدين لكن الطباعة فيها للكتب أقل مما نتطلع إليه بكثير، ولم أحاول الاصطدام ولكن اجتهدت، وظهر أثره بعض الأحيان. كانت سياستي مع الآخر تقوم على التقدير لعلمه والاحترام له ومحاولة أن نتآزر لرفع شأن الثقافة وكل أعضاء النادي أهل لذلك، ولكن روح التنافس بين المثقفين بل بين أهل الاختصاص تقف حجر عثرة فأنا أقدر أنني منافس كبير لبعضهم حتى في الكلية من قبل وقد رأيت منه عدم التعاون معي حتى في معاملات التعاقد، أحثه عليها ليأخذ أوراقها لأنه عضو في المجلس في الرياض لكنه يرفض حتى في حالة التحول للجامعة فقد كان لعدم تعاون أركان الكلية والوكيل وهم المؤثرون، فقد كان لعدم تعاونهم أثره في حجب التعاقد معي لمدة ثلاثة أشهر. إنها روح التنافس غير الشريف، لأنها وصلت إلى الرفض والحرمان ولكن كل منهم أبتلي بأكثر مما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابتليت به في أشهر معدودات، ومن مبادئي أني لا أحجب حق الآخرين مهما كان الخلاف أو التنافس، فلما انتقلت إلى تبوك كنت المرشح الأول له عند أهل المنطقة لأنني أول من طالب به عند الأمراء عبد المجيد وممدوح، والأمير فهد بن سلطان ولأني أكثر تواصلا ولما جاءت الانتخابات الجزئية كنت المرشح لرئاسة النادي، وقد تواصلت علاقات الاحترام والتقدير والعمل الجامعي لكن تبرز أشياء أحاول أن أغض الطرف عن أكثرها. وبعضهم مخلص في العمل الأدبي والفكر والفعاليات الثقافية أما العمل الإداري فهو لم يقدم شيئا يذكر بل كانت تجربة غيابي الأولى عن المجلس لها أثرها الكبير، ففيها تمت الموافقة على أشياء كنت أعارضها تماما وتتمثل في نقل مكان المجلس، وسلفة بيد المسؤول المالي، ولم أعارضها بعد موافقة المجلس ولكنها فشلت فيما بعد فلم يستخدم المكان الذي كلف النادي أحد عشر ألفا، والسلفة أبدت خلافا لم يظهر على السطح بين المسؤول المالي والإداري. والذي أوحشني وكثير من أعضاء المجلس أن بعضهم يحتضن كل من يعارض النادي أو يكتب ضده على غير حق ولا إنصاف ،ولكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ، وأنا أقول في نفسي إذا عزّ أخوك فهن، وكذلك من يبدي احترامه لي فقد رفض أحدهم بحثا للدكتورة/ إلهام سرور مع جودته وقبل بحثا آخر أقل جودة من بحث إلهام فقد قرأت الموضوعين وأضحى هذا نهجه، فلعل الله يغفر له تجاوزاته وتجاوزاتي معه ومع غيره وعرضت الأمر عليه، فكان عند موقفه وهدد بالخروج من اللجنة وفي حينها أنا أشد حاجة إليه فينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح للماء الجاري وقد تجاوزت تلك الخلافات مع الجميع فمن حق المودة العفو عن الإخوان ،والإغضاء عن التقصير وإن كان لهم مني ذلك وعليهم مثله.

أما علاقتي مع عضو النادي فهي تقوم على تقدير إبداعه، وأتمنى علاقة الود وعلاقة الحوار الثقافي الفكري والاجتماعي وأتمنى صداقة كل مثقف في المنطقة والتعاون

على تطوير الفعل الثقافي، ولكن بعضهم رجل رافض لكل منافس له والله أعلم، ولكن الواقع أنني أجتمع معه في كثير من الآراء، فهو ذو فكر متطور وأكثر وعيا بالثقافة العامة وتكثر مساندته لي في المجلس أما في العمل والانجاز، والمواقف الضدية، ومحاولة الوقوف ضد النادي في الجامعة بل في كتاباته، فكل ذلك يوحي بموقف ضدي تماما لي ولأكثر أعضاء النادي ولعمل النادي، وقد كان لطيفا في المقابلات الشخصية، وجلست معه في النادي وصارحته إن هذه الأعمال تقف ضدك أنت فلن تزرع لك مؤيدين وأنت في بلدك، فعملك يحقق لك النجاح والشهادة من الآخرين، ولكن ذلك لم يزده إلا معارضة غير ظاهرة. ولولا أن الله منحني الصبر عليه وعلى غيره وعلى كثير من المواقف لتمكنت من إخراجهم من النادي لغيابهم على أقل تقدير لكن حاولت أن أقود العمل بالصبر والتأني فوفقني الله ولم أقف ضد أي شخصية إلا دفاعا في المجلس ومازال صدري مفتوحا لهم بل إني أحب التواصل معهم في الحوار الثقافي، ورغم تعالي بعضهم على المنتدى عندي وميادين العلم لا تعالي فيها فإني وإياهم نتقابل بود وهم أكثر حرصا فبعضهم حاز أجر حرارة اللقاء.

إن التواصل قيمة حقيقية لتنمية الفرد والمؤسسات والدول، إني عايشت روح التواصل منذ كنت طفلا، فقد عشقت مجالس الكبار، وصحبة الأقران وأدركت معناها في دراسة الكلية، فقد كنت مقترنا بالمثقفين من الطلاب التقي بهم وأحاورهم، كنت أثير الحوارات داخل مجتمع (العزبة) وهو السكن الذي يستوطنه مجموعة من أبناء المناطق في العاصمة الرياض، كنت أتحاور مع الضيوف وما أكثرهم، فلما تخرجت في الجامعة، أيضا التقي بالإخوة المدرسين وحتى الموظفين العاملين والتقي بالموجهين، ويذكر لي صديقي محمد التويجري الذي زارنا في أول سنة وهو رئيس لجنة الإشراف لامتحان الثانوية أنه أشار على مدير المعهد عبد العزيز الخضير بترشيحي وتفضيلي على زملائي. وهو ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حدث، ورغم انزوائي أثناء الدراسة في تبوك عن المجتمع التبوكي الفاعل، فإني عند تسلم الإدارة في المعهد العلمي عام ١٣٩٤هـ قد تواصلت مع المحكمة الشرعية ومع إمارة المنطقة ومع وفود العلماء أدعوهم لزيارة المعهد العلمي وقد كونت صداقات مع قائد المنطقة ومع رؤساء الدوائر الحكومية كل منهم يعرف المعهد العلمي بتبوك وكان هذا شأني في القصيم عندما كنت عضو هيئة التدريس وكذلك في الرياض محبا للمجتمع الثقافي، وعندما ترشحت لرئاسة النادي الأدبي بتبوك كان هاجسي أن يعلو صوت الثقافة والمثقف لمنطقة تبوك داخل المنطقة وخارجها، فبدأت بالمحاضرات، والتواصل مع الصحافة والإذاعة واستعصى علي التلفاز، فبدأ صوت النادي يظهر بفعل الفعاليات ونقل أخباره فالعمل هو الذي يصنع الخبر، وكان همي أن أنال رضا المسؤولين في الإمارة فهم الداعم الأكبر للتواصل الثقافي فحضور الأمير للنادي، واستقباله للضيوف أمر يدعم النادي. وكان همي أيضاً استقطاب المثقفين والمثقفات فلم أسمع بأحد منهم إلا وقد تواصلت معه أدعوه للمحاضرات والندوات وإدارتها وكذلك الشأن مع المبدعين حتى الشباب اتصل بهم بهاتفي الخاص.

ومن الوسائل الكبرى لإظهار المنطقة وأهلها هو الملتقي الثقافي، وقد كان يدور حول الشعر والرواية في جل النوادي الأدبية، واتخذ النقد السعودي ومراحله في نادي الرياض الأدبي منحنى أوسع. وقد رأيت أن هذا أُوسِع بحثا وتكرر الموضوع في أكثر من ناد، فأردت أن أخرج من هذا الاتجاه لرحابة الثقافة بوجه عام فاقترحت منطقة تبوك في الماضي والحاضر ولكنه فشل ليس لموضوعه ولكن لجدة الملتقى في المنطقة، وقد خططنا للموضوع في مجلس النادي وكتبنا مطويات لعناصر الموضوع وطبقناه وكان سمو الأمير فهد بن سلطان أمير المنطقة في سفر، فلم نوزعها لكن صادف أن في المدينة المنورة لقاء لجمعية المؤرخين السعوديين، وأنا عضو فيها فاغتنمت تواجدهم وكثافتهم والموضوع جزء

من اهتمام الجمعية فوزعت عليهم، ولما رجعت من المدينة كان الأمير قد عاد من سفره فذهبت مسلما ولأعرض عليه فكرة الملتقى، فشعرت أن الأمير ليس راض عن الوضع وناقشني كثيرا فيه وفي تاريخ المنطقة وأنا أعلم سعة إطلاعه، وأظن وبعض الظن إثم أن الأمر وصل إليه بصورة مثيرة وناقشني لماذا تعدونه هذا الإعداد المتكامل ولم تخبرني من قبل فقلت له نريد أن يصل إليك بعد أن يكتمل حتى تقتنع به، فقال وهل وزعته قلت لم نوزع المنشور إلا على جمعية التاريخ في المدينة لتواجدهم هناك فقال: لماذا توزعه قبل أن اطلع عليه والواقع أن نفسي داعبتني أن أخفي توزيعه ولكن الله ألهمني بقول الصدق والحق فما ندمت عليه فالصدق ينجي والكذب يشجي والصدق يورث المهابة والمحبة، وأتصور أن الأمير على علم بذلك فطلب الأمير تأجيله وأشعرني بأنه سيكلم سمو الأمير تركي نائب وزير الثقافة والإعلام، ومعالي الوزير، وقال لي بعد أن وقفت للخروج أنا أعدك بأنه سيقام تحت هذا العنوان. ولكني لم أعد للأمير لأكرر عليه الطلب لقوة شخصيته ومهابته. فخشيت أن أعرض نفسي للمساءلة مرة أخرى.

وبعد عام وبمحاسبة النفس وإلحاح بعض الزملاء لاسيما الدكتور/ موسى العبيدان حاولنا أن نعيد الطلب بصفة أخرى لأننا مطالبون من وكالة الوزارة، وكان الوكيل الدكتور عبد العزيز السبيل يرى معالجة الوضع بأسلوب جيد فهو مدرك لهيبة الأمير حاثاً على التواصل مع الأمير والعمل بتوجيهه، فطلبت موضوعا للملتقى وكنت أحضرت موضوعا حول (المفارقة في الشعر السعودي) فوافق عليه المجلس مع إدراكنا بضيق الموضوع، فأرسلناه إلى سمو الأمير فهد بن سلطان قبل طباعته، فكان الرد سريعا لنا بالموافقة ودعوة بعض الشخصيات. فكانت الإشارة الأخيرة دعتني إلى البحث عن موضوع أكثر شمولا مما يستقطب عددا من المفكرين والمثقفين، فكان الاقتراح بأن يكون العنوان (الثقافة والتنمية) فوافق عليه أعضاء المجلس وأرسلنا مطوياته ضمن الخطاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للأمير فوافق عليه مشكورا وأخذنا نعد لهذا الملتقى، فاعلنا في الصحف اليومية ووجهنا الدعوات للجامعات والنوادي الأدبية، ولم نتخذ الأسلوب الجاري في النوادي الأدبية وهو يقوم على الانتقاء، وخشية من عدم الاهتمام فقد وجهت رسائل إلى المثقفين، وما أكثر معارفي منهم ولله الحمد. فكانت الاستجابة كبيرة، وعقدت جلسات ليلية لمن يحضر من الأعضاء وكان الذين معي هم الدكتور موسى العبيدان وعلي آدم، ومسلم فريج، ويحضر الإخوة الآخرون في أوقات متباعدة ولكن حضور الدكتور/ عويض العطوي كان له دوره غير أنه يعطي الفكرة ويذهب فبعض أفكاره لم نطبقها ولو حضر لكان تم تنفيذها، لكن كثرة محاضراته وارتباطه بالإعلام وعمل الأبحاث والدورات جعله في شغل شاغل. كنت مشدودا بالاتصالات بالهاتف وكان المثقفون يعطون موافقة. لكن شعرت من الإخوة بعض التهاون للعمل حتى تأثرت نفسيا ولكني صممت على المواصلة ولو أقتضى الأمر دفع ماليتي التي بلغت مائتي الف ريال في البنوك واقترب الموعد وجاء ما يقارب من أربعين بحثا إلى جانب الرفض القوي من الدكتور موسى لمجرد التأخير أو ملامح البعد عن الموضوع. وكان الدكتور موسى هو المساند الرئيس أما الآخرون فلم يكن لهم الاندفاع المطلوب حتى لجنة الفحص للبحوث لم تجتمع حتى أطلب منهم التصويت فكان الدكتور موسى معي نقرأ الأبحاث. وعملت والدكتور موسى برنامج للملتقى وكتبنا الأسماء والبحوث واتخذت طريقا جديدا في النوادي وهو دعوة ضيوف للملتقى من كبار الشخصيات وقد دعوت أكثر من أربعين مفكرا وأديبا ومن أعضاء مجلس الشورى ومن الإعلاميين. وأرسلت البرنامج للمسئولين فأدركوا أن الأمر واقع وجدٌ ووجهوا باتخاذ ما يلزم فتوجه المجتمع معنا وضاعفت جهدي ونحن نرى أن يقوم النادي بجميع التكاليف، ولكننا حاولنا إدخال المجتمع معنا من الغرفة التجارية ورجال الأعمال، فلم نجد شيئا يذكر، فكله وهم. وأعان الله وحجزنا أفضل الفنادق

كاملا فأنبهر أهل الفندق. ولما اقتربت الأيام وجدت من أكثر الإخوة الأعضاء تعاونا، وأكثر ما أثر في نفسي أن بعضهم يستعد ويضمن العمل ثم نجد عنده ثغرات كبيرة نحاول سدادها. بجهد منا وقد رأينا أن يكون الملتقى وفعالياته في (فندق صحاري) لأجل التسهيل، وجعلنا الحفل تحت رعاية سمو الأمير فوفقنا الله في ذلك.

والواقع أن الأمير والإمارة كانوا عونا لنا ودعما، فالجميع يرغب رضاهم وقد حاولنا أن تكون هناك عروض شعبية، وقد حاول أكثر أعضاء المجلس عدم التعاون مع الجمعية لفقدان التعاون، وكلفنا آخر وهو له في الفروسية والشعبية نشاط، ولكننا افتقدناه وقت الحاجة وكان محمد فرج قد أعد بعضا من أقربائه فقاموا بعمل يشكرون عليه.

وقد أراد سمو الأمير أن يجعل المنطقة حاضرة في ذاكرة المثقفين فأمر أن يكون حفل جائزته في الأسبوع ذاته. وكان برنامج المنطقة حافلا: فزرنا الأمير في قصره بعد وصولهم في الطائرة بساعة واحدة، ثم حفل الافتتاح ثم العشاء وفي اليوم الثاني حضور حفل جائزة الأمير وكان ضيفها الشاعر الأمير/ محمد بن عبد الله الفيصل رحمه الله. وقد حجزنا الصف الأول وهو طويل جدا لضيوف النادي، ثم تناول الجميع طعام الغذاء في قصر سموه وقد أشاد بالنادي والحفل وشكرني على جمع هذا العدد من المثقفين ومنهم، الدكتور/ زياد عبد الرحمن السد يري، د/عبد الرحمن الشبيلي، د/سهيل قاضي مدير جامعة أم القرى، د/بدر كريم، والأستاذ/ عبد الفتاح أبو مدين. ومعالي الوزير/ محمد الشريف، والدكتور/ محمد القنيبط وغيرهم وقد ذكرناهم في إصدار النادي الأدبي الوثائقي ومن أهم الذكريات التي يرددها الضيوف على مسمعي زيارتهم للشركة الزراعية وتناولهم طعام الغذاء وكان رئيسها الأستاذ/ سعد السوط الذي احتفى بالجميع احتفاء يشكر عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والواقع إن الدكتور موسى العبيدان والأستاذ أحمد سليم العطوي ومعهم الشيخ سالم عوده شلهوب قد أبدعوا فالدكتور موسى أعد البرنامج وأشرف عليه وعلى إعداد القاعة، وواصل الإشراف عليه في كل جلسة وطيلة أيامه، وكذلك الأستاذ أحمد سليم شابا مثقفا تعاون معنا كل التعاون وابتكر الساعة ضابطة الوقت أمام الباحثين تشير إلى العد التنازلي أنهم عملوا على نجاح الملتقى وأنهم أكثر عملا وإخلاصا من اللجان الأخرى، فبعض المسؤولين عن اللجان الأخرى متهاون، قليل الحضور بل بعضهم عليه مآخذ فكنا نحاول تغطية كل طارئ وظهر الملتقى بمظهر الحب والود. والتآلف والتعاون بين الجميع أمام الضيوف وهذا هو الغاية من التآزر وإكمال بعضنا لبعض، وهكذا الدنيا تتفاوت أعمال البشر بل وتتضاد تارة أخرى.

ومن البرنامج استضافتهم في منزلي وسعدت بذلك فلو جاء أحدهم لأكرمته بأكثر من هذه الوليمة التي جمعتهم كلهم لي، فهي عندي من أفضل الولائم التي أقمتها فقد حضرها أكثر من مائة من المثقفين. وكان الحضور النسائي متميز في الملتقى فقد كان للدكتورة عائشة الحكمي قدرة التواصل والحضور وكان للأخت الأستاذة/ سناء السيف والأستاذة/ هيفاء الاميلس والأستاذة/ سارة البلوى حضور متميز. وتميز حفل الافتتاح بجمال الكلمات للأمير الذي أعجب الضيوف ببلاغته وبثقافته وكلمة الدكتورة مضاوي متميزة وأيضا فإن كلمتي أعددتها إعدادا جيدا فهي ذات بلاغة.

وقد تعرضنا لهجوم قوي من بعض الإخوة الدعاة الذين لم يبلغوا درجة العلماء بل إنهم لم يبلغوا درجة الجامعة إلا القليل منهم، وذلك بأنهم يحتجون على صوت المرأة، ومشاركتها، وتطوافها في بهو الفندق. وأكثرهن دكتورات تجاوزن مرحلة الكهولة أو هن فيها وقد استحوذ عليهن العلم مع التزامهن بضروريات الدين وثوابته وأنا أقول لهم أتمنى حضوركم في المحاضرات وفي البهو حتى تكونوا بمثابة الوقاية لما تتوجسون. ووصلت لي

الاحتجاجات من تبوك ومن بعض المدن وألبوا عليَّ بعض أعضاء النادي، ولكنهم على وعي أكثر منهم ومنهم الدكتور عويض حمود العطوي، فأعطاني قائمة ملحوظات. وسألته هل أنت مؤيدها فأجاب بقوله أنه يعرضها كما هي. والذين يعارضون لم يتسع أفقهم للخلاف، فهم يعملون بالظاهر. ونحن لم نخالف الشرع في كل أعمالنا. وقد كان العلماء في تبوك على معرفة بي وبوعيي بما يكون في النادي، ومنهم رئيس المحكمة الشيخ عبد العزيز الحميد والرئيس الجديد، الشيخ سعود بن يوسف ورئيس مكتب الدعوة الشيخ/ عبد الله المبارك ورئيس الهيئة سليمان العنزي. كلهم التقي بهم وغيرهم وهم يدركون ما نحن فيه، وكان هدفي أن تكون الثقافة المعاصرة الاجتماعية والمعرفية بل والعلمية والفكرية حاضرة في وعي المواطن سواء أهل التخصصات أو الشباب، وفي مقدمتهم الذين يظهرون الالتزام، وأنا أرحب بالالتزام إذا كان على وعي وأقول لأئمة المساجد تعالوا انقدوا وتثقفوا وثقفونا. ولكن كل يغني على ليلاه ويدعي أنه على صواب، وغيره على باطل لكن الحق والخير يظهر ويتجلى من خلال هذا العراك الفكري. وكان صديقي العزيز الدكتور/ عبد العزيز السبيل وكيل الوزارة المسؤول المباشر ولم يرغب الحضور لأمور تخصه إلا إنه يرقب الملتقى عن بعد وأكثر الحضور من زملائه فقد أتصل بي مباشرة وقال لي: إن هذا النجاح للملتقى لم تتوقعه، قلت له: صدقت وربي ودعمنا كما يدعم بقية الأندية الأدبية والواقع إن الملتقى أضحى قدوة للأندية الأدبية، فقد ذكر لي بعض رؤساء الأندية أنهم عرضوا الأمر على المسؤولين فاستجابوا لهم ودعموهم. إن كلفته كبيرة بالنسبة للنادي فقد كلف الملتقى الأول خمسمائة الف ريال لأن الاستعدادات له تحتاج إلى تكوين جديد ويرى بعض الحاضرين إنه لو كان عند بعض الدوائر الأخرى لكلف أكثر من مليون. وقد كنت واضحا في المصروفات والمشتريات معروضة على الأعضاء بكل شفافية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كانت الخشية بل الخوف يلازمني حول كل عمل جديد، وذلك دافع قوي للجوء إلى الله فأطلب منه العون والهداية وأتوكل عليه، ثم أفحص الأمور في صلاح القضية وواقعيتها وقبولها في المجتمع ثم أبحث عن منهج لها هذه دائمة الحضور في ذهني فما غفلت عنها إلا وجدت نفسي في مهب الرياح والوقوع في أحد الأخطاء.

ومن هنا فإننا قيمنا الملتقى الأول فوجدنا فيه نجاحا كبيرا ولكن النجاح قام به عدد قليل من أعضاء مجلس النادي، كنت أجلس كل ليلة في النادي واستثمر كل من يحضر من الأعضاء والموظفين. وكنت أرى خللا أثناء التنفيذ بل بعضهم يزعم أنه يعمل ويتعهد بأنه يعمل وكل ذلك يبتعد عن الإتقان وتارة عن المصداقية، بل إن بعضهم يعارض أفكارا كان لها أن تزيد في النجاح وكان الدعائم بعد الله على ثلاثة أعضاء وعلى الموظفين والمتعاونين. مما جعلني أتخوف من إقامة الملتقيات كلها ومع ذلك فإن الدكتور موسى العبيدان هو الذي يدفعني إلى الملتقى الثاني وتريثت، فلما رأيت إقبالهم وتعهد لي كثير منهم على العمل وتلافي الأخطاء طرحت موضوعا: هو (تحديات النقد الثقافي)، وبقدرة قادر حول الأخوة حصره في النقد الثقافي الأدبي. وهنا كان المحك فاعترضت على الموضوع لأنه يجعلنا نقف عند شخصية من الشخصيات التي عليها نظرات تدخلنا في الحداثة، وهذا يجعلنا في صدام مع المجتمع وطرحت عناصر تجعله شموليا: اجتماعيا ودينيا وصحفيا وتربويا فاعترضوا واصطفوا ضدي، وأبنت لهم أن الموضوع رفض في نادي المدينة المنورة، ولكنهم اتفقوا في جلسات متوالية، فلما رأيت أن الموضوع يوقع النادي في حرج اعترضت عليه بورقة عمل، وقلت لهم إن أردتم أن نرفع الأمر إلى الوزارة أو غيرها فالطريق مفتوح. وكان المعارضان هما. د/موسى العبيدان والأشد منه د/ عويض العطوي، وكلاهما قوي، فكيف إذا اجتمعا فتجمد الموضوع أشهر وفي الفترة قدم الدكتور/ عويض استقالته ولم أقبلها ولم أرفعها رغم محاولته الجادة

أن أعلنها، لأنني رأيت أن في ذلك ضررا عليه من حيث إنه داعية يعد أعظم شخصية في منطقة تبوك علما وخطبة وتفاعلا، وعلى وعي تام بالدعوة والمجتمع لكنه تخفى عليه تشابك العناصر التكوينية في المجتمع أو هو مندفع لرأيه الخاص، وكذلك خشيت على سمعة النادي ولا أريد أن ينفرط عقد الأعضاء، ولذلك لم أطلب حتى من الذي غادر المنطقة استقالة وهو الدكتور/ سعد العريفي. وأصبر على الذين يغيبون عن الجلسات لكن غياب المعارض الدكتور/ عويض عن الجلسات كان له أثره على طرح الموضوع المعدل وإلحاح الدكتور موسى وطلب مني أن أقدم موضوعا فطرحت الموضوع (تحديات الثقافة المعاصرة) وكان الدكتور موسى متحفزا لمعارضة العناصر غير أني استسلمت وكان ذلك توفيقا من الله بل أن رأيه ورأيهم هو الأصح والأصلح ما دام الموضوع هو الأساس وأُعلن الموضوع وكتبت عنه الصحافة واعترض عليه بعض الكتاب وحتى في الفضائيات والمقابلات ولكن القوة تأتي من الداخل، والواقع أن فتور الإخوة ازداد وقل من يعمل بل إن الأسبوع الذي قبل الملتقى لم يحضر له إلا الموظفون، وكنت وإياهم نعمل عملا متواصلا وقد قام الدكتور/ موسى والأستاذ/ أحمد سليم، وسالم شلهوب بالإشراف على الجلسات وهذا الأهم. ولذلك تريثت في الإعلان عن ملتقى ثالث رغم إلحاح الدكتور/ موسى العبيدان بحجة أننا إدارة مريضة عملنا بتمديد من الوزير لأشهر معدودة ثم حاولت إصدار نشره تكشف عن عمل النادي وتوثقه فتعهدت الأستاذة هيلة البغدادي ولكن المجلس عارض وأحالها إلى لجنة النشر التي لم تعمل فيها لمدة ستة أشهر مع إلحاحي فقلت لهم إن لم تصدروها فإني سأصدرها في كتاب خاص بي أطبعه على حسابي الخاص وأشير إلى تعثره فاجتهدوا لأخر لحظه وصدر الكتاب. ومن مثل هذا الموقف يتبين قدرة الإدارة على استدراج المدير الناجح لعمل أعضاء الفريق فهم يملكون قدرات كبيرة وكثيرة ولولا تعاونهم وتعاضد الجميع لم يعلو شأن النادي في المنطقة بل في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البلاد فحيث ما وليت وجهي أو التقيت بأحد أو هاتفت فإني أجد صدى النادي يستحوذ على الحوار ولا يخلو الأمر من ألفاظ الثناء.

والواقع أن العمل في الإدارة يكون على ثلاثة أشكال إمّا يكون منحازا إلى فئة دون فئة وهنا تكون له قوة وصداقة مع هذه الشريحة وله صدام مع الشريحة الأخرى وأمّا أن يداري المدير بلا إدارة فيكون العمل مريضاً وإمّا أن يكون مديراً هاجسه نجاح الإدارة يجازي المستحق ويعاقب المهمل وهذا يخرج من الإدارة بلا محبة ولا مودة من الجميع ولكن بلا عداء ولا تبرير وبرهان للعداء وأظن نفسي من القسم الأخير ومع كثرة الجدل بيني وبينهم فإني أقدم الشكر والتقدير والثناء بل والدعاء لكل من عمل خيرا لي أعلمه والكثير لا أعلمه وللنادي من سائر أعضاء النادي الذين عملت معهم وعملوا معي، وأقدر جهدهم ولكن اسأل الله أن لا يكلهم إليّ وإلى تصنيفي وإنما ينصفهم بالأجر والتوفيق وأن يعفو عني فيما أعرف وفيما لا أعرفه بل اسأل الله أن يعفو عن الأوهام ووساوس النفس فأعوذ بالله من الوسواس الخناس ومن النفس الأمارة بالسوء قال تعالى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ(١).

وأقول اللهم ألف بين قلبي وقلب كل من اختلفت معه وأغفر لي وله واجعلنا يوم القيامة ممن قال الله فيهم: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ(٢).

وقد كتب الكثير من الأدباء والمفكرين في الصحف عن الملتقيات ومنهم الكاتب المشهور عبد الحفيظ الشمري الذي قال:

---

(١) سورة الحشر: آية (١٠).

(٢) سورة الحجر: آية (٤٧).

{{يحقّ لرواد ملتقى تبوك الثقافي الأول الذي عقد قبل أيام أن يستفيضوا بالثناء ويغرقوا بالدهشة عطفاً على ما قدم من جهد رائع من قبل المنظمين بلجانهم العامة بدأب، والمتحفزة لتقديم ما يرضي بروح جمالية تصطبغ بلون الحب، وتتذوقها بنكهة ودهم الشمالي النبيل.. ساعتين أن تكون تبوك هنا في القلب رغم أنها هناك على التخوم.

قرأ البعض من سيرة تبوك في رواية (البلدة الأخرى) للكاتب المصري إبراهيم عبد المجيد، فكانت هي الفكرة العالقة في وعينا عنها، فمنذ أن تلمسنا تفاصيلها في تلك الرواية لم تشأ لنا الظروف زيارتها، فكان في القلب حسرة لأننا قرأناها، ولم تهيأ الظروف لنزورها، أو نلامس حدود الوطن هناك، حتى جاء هذا الملتقى فكان محمد العطوي.. الشاعر الجميل ابن تبوك هو مصافحنا الأول في لحظة الدخول الأولى.

لم يلبث إلا ويطل وجه الأديب الناقد الدكتور مسعد العطوي بين دهاليز الملتقى في نزل (صحارى تبوك) الذي جاء مؤتلقا بحب وحبور، وسعادة بأهل الملتقى الذين جاؤوا من أماكن مختلفة من الوطن، فقد عاضدت فرحة (مسعد) أمارات البشر على وجوه من يحفل بالضيوف، ويقدمهم ويرتب لهم محطات تحركهم، ومساحات البوح بما لديهم من أوراق ومطارحات وأسئلة.

ضيوف الملتقى إضمامة من جيل خدم التجربة، وأثرى المشهد الثقافي والمعرفي على نحو الدكتور عبدالرحمن الشبيلي، والدكتور بدر كريم، والدكتور عائض الردادي، ومرزوق بن تنباك، وعبدالله الحقيل، وصالح السالم، وجيل جديد منهم الدكتور عبدالله المعيقل ومعجب العدواني، ومحمد الحمد، وفاطمة القاسم، وسعاد المانع، وفواز اللعبون، وعبدالله الحيدري، وصالح المحمود ومن تم ذكرهم هو من قبيل المثال وليس الحصر، مع حفظ حق الألقاب لهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التبوكيون ومن خلال ملتقاهم الثقافي الذي يقام لأول مرة خلا من الأخطاء والتجاوزات والمحسوبيات التي قد تراها في بعض الملتقيات، فلم يقص أحد عن ما تم الترتيب له، كما انتظم الوقت وسجلت ظاهرة جديدة تحسب لأدبي تبوك حقوق اختراعها وهي تلك المراقبة الصارمة للوقت من خلال الساعة الإلكترونية التي ترصد حصص المحاضرين والمداخلين، فكان التصرف عادلاً رغم قصره.

الملتقى بأوراقه الثلاثين ظل محافظا على زخمه حتى آخر جلسة من جلساته، فكان الحديث لا ينقطع عن ذكر محاسن هذا التنظيم.

وفي نهاية الملتقى وصلني خطاب الشكر من سمو الأمير فهد بن سلطان ومن معالي وزير الثقافة:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة تبوك
(٠٠٧)
العلاقات العامة

الرقم: ١٠٠٠٧
التاريخ: ٢٠/ ٦/ ١٤٣١هـ
المرفقات: ...

يحفظ الملتقى الثاني في النادي الأدبي

سعادة الدكتور / مسعد بن عيد العطوي

رئيس النادي الادبي بمنطقة تبوك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

تسلمنا خطابكم المتضمن مشاعركم الطيبة بمناسبة اقامة الملتقى الثقافي الثاني في المنطقة

وأننا اذ نهنئكم على ماتحقق للملتقى من النجاح فإننا نشكركم ونقدر لكم ما بذ لتموه من جهود وكافة منسوبيكم ٠

تمنياتنا لكم بمزيد التوفيق لخدمة ابناء المنطقة ثقافياً وادبياً٠

ولكم تحياتنـــا ٠

أمير منطقة تبـوك

٢٨/ ٥

فهد بن سلطان بن عبدالعزيز

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا خطاب وزير الثقافة:

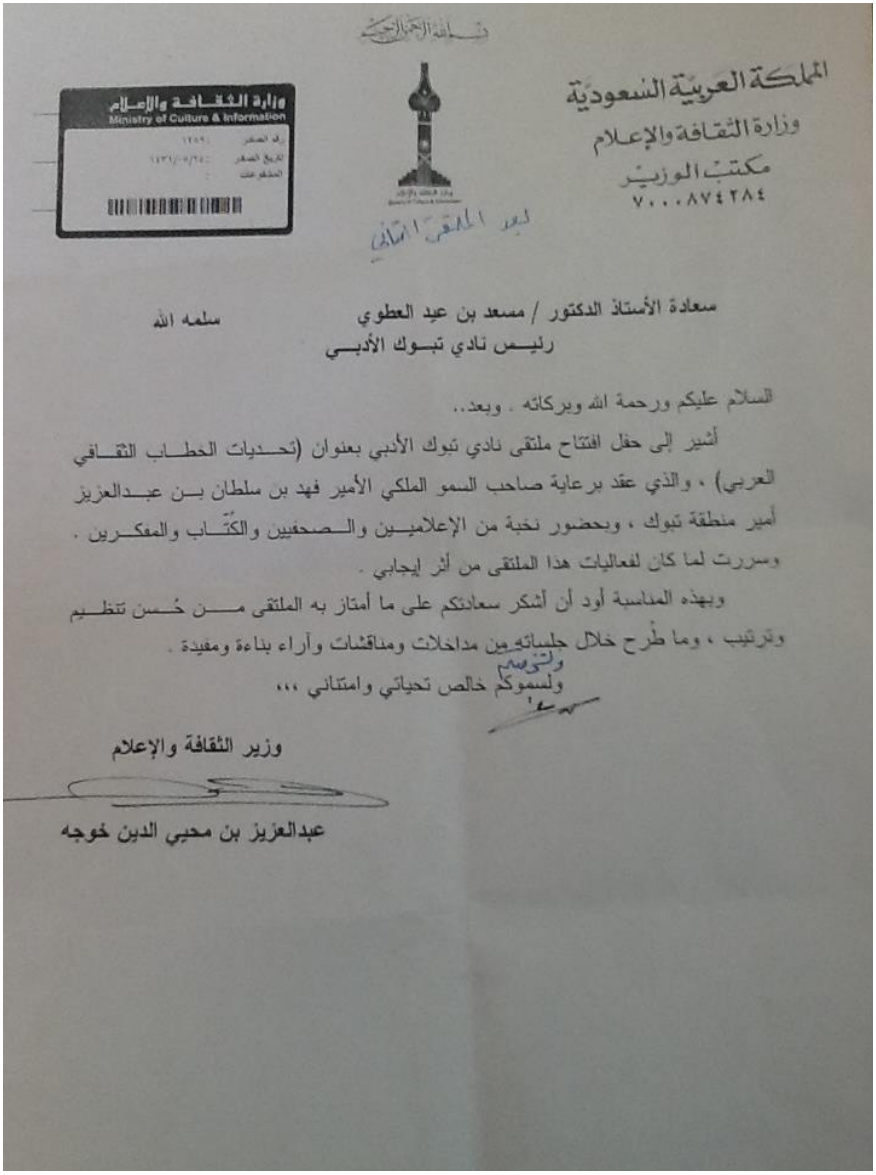

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الثقافة والإعلام
مكتب الوزير
٧٠٠٠٨٧٤٢٨٤

وزارة الثقافة والإعلام
Ministry of Culture & Information

سعادة الأستاذ الدكتور / مسعد بن عيد العطوي سلمه الله
رئيس نادي تبوك الأدبي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد..

أشير إلى حفل افتتاح ملتقى نادي تبوك الأدبي بعنوان (تحديات الخطاب الثقافي العربي) ، والذي عقد برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز أمير منطقة تبوك ، وبحضور نخبة من الإعلاميين والصحفيين والكُتّاب والمفكرين . وسررت لما كان لفعاليات هذا الملتقى من أثر إيجابي .

وبهذه المناسبة أود أن أشكر سعادتكم على ما أمتاز به الملتقى من حُسن تنظيم وترتيب ، وما طُرح خلال جلساته من مداخلات ومناقشات وآراء بناءة ومفيدة .

ولسموكم خالص تحياتي وامتناني ،،،

وزير الثقافة والإعلام

عبدالعزيز بن محيي الدين خوجه

الترشيح للنادي:

ولما رأيت إحجام الناس عن الثقافة حتى أولئك الذين في الجامعة من أعضاء هيئة التدريس وعدم مبالاتهم بالحراك الثقافي، فلم يحضروا وكانوا أشد نقدا وظلما للعاملين بالنادي بل رأيت أن أصحابي الذين معي يمتنعون عن حضور الثقافة لكن أكثر أهل المنطقة يشجعني ويأخذ بيدي غير أنهم قلَّ أن يحضروا المناشط الثقافية لذا فقد زهدت في النادي. ومما زاد في زهدي فيه رأيت أن هناك ممن جمع قبيلته، وأخذ يدفع بهم للتسجيل في الجمعية فتكاثر رجال القبائل وطلب مني أبناء القبيلة حتى المشايخ أن يساندوني ولكني رفضت فقلت لبعضهم مادام لم تحضروا الفعاليات الثقافية، فأنا لا أريد الأصوات ولو طلبت من طلابي في اللغة العربية لاستجابوا لي بل حتى بعض أبناء المنطقة والمثقفين والقبائل الأخرى أرادوا دعمي والتصويت لي، ومع ذلك لم أرشح نفسي لها احتجاجا على الإحجام الثقافي وقد فاز من استطاع أن يوظف الرسائل الانتخابية من الدعاية والاتصالات أني أسجل للشباب الموظفين في النادي وهم محمد الفاضل، وعبد المجيد الطيار وماجد العنزي، تفاعلهم معي واجتهادهم في الملتقيات فهم نعم الرجال والنخوة عندهم وهم أيضا لطيفي التعامل مع الضيوف، وكانوا يلوون أعناقهم لرؤسائهم القدامى في الإدارة ولكن تكشف لهم الأمر وأخذوا يتعاونون معي بل بعضهم صارحني باسم الازدواجية فأنا أكلف وبعض الإداريين يثبط.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحتويات

أبو طربوش.. ١
الطفل مسعد.. ٧
الشتاء.. ١٨
الربيع والصيف.. ٢٤
مناسبة الأطعمة.. ٤٦
رحلة الهجرة.. ٦٣
التآكل البدوي.. ٧٧
المعهد العلمي.. ٨٣
الكلية.. ٨٩
الزواج.. ١١٠
مرحلة التحول.. ١١٧
الانتقال إلى القصيم.. ١٦١
الرياض والتحولات.. ١٨١
الشورى.. ٢٢٦
الرحلات.. ٢٤١
النادي الأدبي.. ٢٩٤